شَرح العقيدة الواسطية

للشيخ

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

ملاحظة: أصل هذا الشرح دروس لفضيلة الشيخ؛ ألقاها في المسجد النبوي، ولم يراجعها الشيخ بعد الصف والتفريغ

ح ١٤٣٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ،،، أما بعد:

فهذه هي العقيدة الواسطية صنَّفها شيخُ الإسلام وتقيُّ الدِّين: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسَّلام ابن تيمِّية، المولود سنة ستمائة وواحد وستون، وولد في حرَّان، وحرَّان تقع في الجنوب الشَّرقي من تركيا الآن على الحدود السُّورية، وهذا البلد يقطنه العرب والأتراك والأكراد، ولكن شيخ الإسلام رحمه الله من العرب.

وقد نزح من حرَّان - لما دخل التتار إلى ديارهم - فنزح مع والده إلى دمشق، ونشأ فيها وطلب العلم، ودرَّس وصنَّف، وكان غايةً في الذَّكاء وقوة الذَّاكرة، وكثرة التعبُّد وقوة العلم، قال الذَّهبيُّ عنه رحمه الله: ((ما قابلت عيني مثله)) وقال أيضاً: ((لم أرى رجلاً أشدَّ ابتهالاً وتضرعاً إلى الله منه)) وزار مصر وألَّف هناك ودرَّس، وكان يشرح سورة نوح في كل يوم جمعة بعد الفجر وانتهى منها في عشرة أعوام.

وقد سُجِنَ أكثر من مرة بسبب ما أفتى به من فتاوى مثل: النهي عن شدِّ الرحال إلى القبور، وسجن حوالي أربع مرات ومدة السنوات التي

مكث في السجن فيها خمس سنوات، بل سنتان إلاَّ يسيرة من آخر عمره أُودع في قلعةٍ في دمشق ومات فيها سنة سبعمائة وثمانية وعشرين.

وقد تخرج على يديه أفذاذٌ من العلماء: كابن القيم، وابن كثير، والذَّهبي، والمزي وغيرهم من كبار العلماء.

ونشأ في عصرٍ ادلمت فيه الخطوب حتى ظنَّ النَّاس أنَّ مذهب الأشاعرة هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، حتى قيض الله ﷻ لهذا الدِّين شيخ الإسلام ﵀، وبيَّن الحقَّ في ذلك.

وله مصنفات نافعةٌ كثيرةٌ منها: هذه العقيدة الواسطية وهي من أجمع بل أجمع الكتب المصنَّفة في أسماء الله ﷻ وصفاته.

وسبب تألفيه لها قال هو: « قدم إليَّ قاضي بنواحي واسط، وطلب مني أنْ أكتب عقيدةً قال: ليَّ ولأهلي؛ لينتفعوا بها فاعتذرت منه، فألح عليَّ .. قال: فكتبت هذه العقيدة في جلسة بعد العصر » وكتبها لرجلٍ واحدٍ ولأهل بيته فنفع الله ﷻ بها، وواسط: بلدٌ يقع جنوب بغداد، وهو متوسط بين البصرة وبين الكوفة لذا سـمُّي هذا البلد واسط، ونُسِبَة هذه العقيدة إلى بلد قاضي نواحي ذلك السائل فقيل: « العَقِيدَةُ الوَاسِطِيَّةُ » نِسْبةً إلى بلدة واسط.

وألَّفها شيخ الإسلام ﵀ وعمره سبع وثلاثون سنة، وقرئت عليه مراراً فقرأ عليه أحد طلابه وقال: قرأتها عليه من أولها إلى آخرها، وحصلت مناظرة في مصر بعد سنوات من تأليفها لها بحضور والي مصر مع العلماء في ذلك العصر وقال لهم: «أمهلت خصمي ثلاث سنوات إنْ أتوا بشيءٍ منها يخالف الكتاب أو السُّنَّة أنْ أرجع عنه ولم يأتوا بشيءٍ» وقال: «كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهَا رَدٌّ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ الْطَّوَائِفِ».

وسبب انحراف النَّاس عن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة؛ لانتشار مذهب الجهمية بين النَّاس في تلك القرون، حيث تطاول على الربِّ ﷻ ونفه عنه أسماؤه وصفاته.

وأول بدعة خرجت في الإسلام هي بدعة الخوارج لما أتى ذلك الرجل إلى النَّبيِّ ﷺ كما في البخاري ومسلم قال له: «اعْدِل فإنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ» فهذا أول رجل خرج عن الشَّريعة ورمى النَّبيَّ ﷺ بالظلم.

ثم بعد ذلك في عهد الصحابة بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ نشأت فرقة القدرية الذين يقولون: إنَّ الله لا يعلم بالأمور قبل حدوثها - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، وأنَّه لم يشأ ذلك ولم يكتبْ ذلك، وكفرَّ الصحابة ﷺ من اعتقد ذلك القول.

ثم بعد ذلك تطورت البدعة فظهرت بدعة الإرجاء فقالوا: لا يلزم العمل وإنما يكفي الإيمان بالقلب، فلا يحتاج إلى أنْ تصلي، ولا إلى أنْ تؤذن، ولا أنْ تتلوا القرآن.

ثم بعد ذلك ظهرت فرقة الجهمية حيث تطاول على الربَّ ﷻ ونفه عنه أسماؤه وصفاته، فأجمع السلف على تكفيرهم وعلى محاربتهم، وصنَّفوا المصنفات الكثيرة في الردِّ عليهم.

وأصول الفرق خمسة: « الخوارج، والروافض، والجهمية، والمرجئة، والقدرية » كل طائفة لو خرجت لا تعدو على هذه الأصول الخمسة.

الخوارج: في الوعيد من النصوص، والقدرية: في نفي الله ﷻ بالحوادث، والمرجئة: في الإيمان، والجهمية: في نفي الصفات، والروافض: في سبِّ الصَّحابة.

ومن ينكر الأسماء والصفات - فيما يخصنا في الواسطية - يقال له: جهميٌّ، وتفرع عن هذه الطائفة: المعتزلة فأثبتوا الأسماء ونفوا الصفات، وتفرع عنها أيضاً: الأشاعرة، وتفرع عنها أيضاً الماترودية فمن أنكر الأسماء والصفات يقال له: جهمي، وكذا يصح أنْ يطلق هذا الوصف على من أنكر ولو شيئاً من ذلك لكون أصول مقولته من الجهمية.

وهنا نذكر عدَّة قواعد في الأسماء والصفات:

القاعدة الأولى: الفرق بين الأسماء والصفات.

الأسماء: هي ما يدلُّ على الذات، مثل الله ﷻ اسمه: عزيزٌ وكريمٌ وحميدٌ وقديرٌ وعظيمٌ فتدلُّ على ذاته سبحانه.

والصفات: معنىً قائم بالذات، فعندنا ذات الله ﷻ من معاني هذه الذات: الكرم والعزة والقوة والعظمة والعلم ... وهكذا.

القاعدة الثانية: أسماء الله ﷻ توقيفية، يعني: لا تُعلم إلاَّ بالنص؛ لأنَّ الله ﷻ لم يره أحدٌ في الدنيا فالإيمان بأسمائه غيبي لا نثبت لله ﷻ اسماءً أو صفةً إلاَّ ما جاء النص بها.

القاعدة الثالثة: عدد أسماء الله سبحانه، أسماء الله - سبحانه وتعالى - لا حصر لها لقول النَّبيِّ ﷺ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»، ومن أسماء الله ﷻ تسعة وتسعون اسماءً من علمها أو عمل بمقتضاها دخل الجنَّة كما في صحيح البخاريِّ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا - في لفظ: مَنْ أَحْصَاهَا، وفي لفظ: مَنْ حَفِظَهَا - دَخَلَ الجنَّة» ومعنى هذا الحديث: إنَّ لله ﷻ أسماءً كثيرةً لكن إذا حَفِظَ العبد منها تسعة وتسعين اسماءً وعمل بما دلَّت عليه دخل الجنَّة.

القاعدة الرابعة: الأسماء يدعى بها ويسمَّى بها، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فتقول: يا رحمان ويا رحيم، وتقول: هذا عبدالله وهذا عبدالرحيم.

وأما الصفات فلا تدعى بل قال شيخ الإسلام: «مَنْ دَعَا الصِّفَةَ كَفَرَ» مثل: لو قال شخصٌ: يا قوة الله انقذني فهذا - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - كفرٌ، وإنَّما يُتوسَّل بالصِّفة ولا يدعى بها كما قال ﷺ: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ»، وكقوله ﷺ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ».

القاعدة الخامسة: أسماء الله ﷻ كلَّها مدحٌ وثناءٌ وتمجيدٌ وتعظيمٌ، كما قال سبحانه: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] أي: التي لا أحسنَ منها. فكلُّ اسم لله جميل وعال: كالعزيز الكريم العظيم الودود الرؤوف ... وهكذا، وصفاته سبحانه عُلا البَّالغة في التَّمام والكمال، مثل: العلم والسمع والبصر.

القاعدة السادسة: أنَّنا نثبت الأسماء والصفات على ظاهرها لا نتأولها ولا نحرفها، ولا نمثل ولا نعطل، فالسمع سمع والسميع سميع والبصر بصر والبصير بصير - سبحانه وتعالى - .

القاعدة السابعة: أنَّ كلَّ اسم نأخذ منه صفةً ولا عكس، فإذا قيل: القدير نأخذ القدرة والسميع نأخذ السمع والبصير نأخذ البصر ... وهكذا.

أما الصَّفة لا نأخذ منها اسماءً فمن صفات الله الوجه لا نأخذ من الوجه اسماءً، وكذا اليدان لله ﷻ لا نأخذ منهما اسماءً، والعينان لله لا نأخذ منهما اسماءً ... وهكذا.

القاعدة الثامنة: أنَّ أضيق الأمور الصفات؛ إذْ لا نأخذ منها اسماءً، ثم أوسع منها الاسم فكلُّ اسمٍ نأخذ منه صفةً، ثم الإخبار فباب الإخبار عن الله ﷻ واسعٌ، مثل تقول: لك الحمد يا رب أعطيت المساكين والأرامل وفرجت الكروب وفكية العاني ... وهكذا. هذا باب الإخبار واسعٌ.

القاعدة التاسعة: أنَّ الأفعال لا يأخذ منها أسماءً، الأفعال: مثل ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٧]. فلا نأخذ الفعل ((يُضِلُّ)) اسماءً فلا نقول: الضال، وكذا ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: ٣٠] ((يَمْكُرُ)) فلا نأخذ منه اسماءً نقول: الماكر، ومثل: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء: ٨١] الفعل ((يَكْتُبُ)) لا نأخذ منه اسماءً فنقول: إنَّ الله هو الكاتب، فالأسماء نأخذها كما جاءت اسماءً ولا نأخذ من الأفعال اسماءً.

القاعدة العاشرة: أنَّنا يجب أنْ نؤمن بمعنى تلك الأسماء والصفات ولا نعلم كيفية تلك الصفات، فنؤمن بأنَّ الله ﷻ سميع ولا نعلم كيف يسمع، ونؤمن بأنَّ الله ﷻ ينزل ولا نعلم كيف ينزل؛ لأنَّ الله ﷻ أخبرنا بأنَّه سميعٌ ولم يخبرنا كيف يسمع.

القاعدة الحادية عشرة: أنَّ صفات الله ﷻ منها ما هو ثبوتيٌّ كالعزيز والعظيم، ومنها ما هو ما يسمِّيه العلماء سلبيٌّ يعني: نفيٌّ بما يليق بجلال الله مثل: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، ومثل: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص:٤]، ومثل: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

القاعدة الثانية عشرة: أنَّ من صفات الله ﷻ منها ما هو ذاتيٌّ، والمقصود به ما يتعلق بذات الله لا ينفك عنه بحالٍ مثل: القوة والعظمة والعلم، ومنها ما هو فعليٌّ مثل: السَّخط والرِّضى، ومنها ما هو ذاتيٌّ وفعليٌّ مثل: النزول والكلام فعليٌّ الله يتكلم وذاتيٌّ موصوفٌ الله ﷻ بالكلام.

القاعدة الثالثة عشر: أنَّ عقولنا لا يمكن أنْ تتصور صفات الله، فيجب علينا أنَّ نؤمن بها من غير تمثيل ولا تكييف فلا نقول: إنَّ كلام الله مثل كلام فلان - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، ولا نقول: إنَّ كلام الله كيفيته كذا وكذا.

القاعدة الرابعة عشر: أنَّ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات: إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله ﷻ عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ.

ومعنى هذه القاعدة: «إثبات ما أثبته الله لنفسه» مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. «وما أثبته له رسوله ﷺ» مثل: كقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ».

«ونفي ما نفاه الله ﷻ عن نفسه» كقوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤]، وكقوله ﷻ: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] «أو نفاه عنه رسوله ﷺ» كقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» فالنَّبيُّ ﷺ نفى العور عن ربنا ﷻ.

وما لم يردْ نصٌ أنَّه ليس من أسماء الله فلا يثبت كالرشيد مثلاً فلا يقال: عبدالرشيد، وكالجواد لا يقال: عبدالجواد، وكذا اسم الساتر فلا يقال: يا ساتر وإنما ثبت الستير فيقال: يا ستير، وكذا اسم ليس من أسماء الله المنتقم فلا يقال مثلاً: يا منتقم انتقم ليَّ، وإنما خبرٌ عن الله ﷻ أنَّه ذو انتقام ... وهكذا.

القاعدة الخامسة عشر: أنَّ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة: إثباتٌ مفصلٌ ونفيٌ مجملٌ.

«إثباتٌ مفصلٌ» مثل: سميع بصير عليم قدير قوي قهار ملك قدوس ... وهكذا.

«ونفيٌ مجملٌ» مثل: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤]، ومثل: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

ومعنى هذه القاعدة: «إثباتٌ مفصلٌ» فنفصل نقول: الله سميع يقيناً ما عندنا شكٌّ والله بصير، ولا نثبت إثباتاً مجملاً بأنْ نقول مثلاً: لا تذكر لِيَّ أيَّ اسم من أسماء الله فكلُّ شيءٍ الله يريده من أسمائه وصفاته نثبتها نقول: لا، هذا مذهب المفوضة، ومذهبنا - أهل السُّنَّة والجماعة - إثباتٌ مفصلٌ سميع بصير عليم قدير ... وهكذا.

ومعنى قولنا: «ونفيٌ مجملٌ» فلا يفصل في النفي إلاَّ لحاجة لذلك فلا يقال: الله ليس بصغيرٍ - سبحانه وتعالى -، ولا يقال: الله ليس بأعمى، ولا يقال مثلاً: إنَّ الله ليس بحزينٍ - تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ -، وإنما نجعل نفياً مجملاً فنقول: الله ليس له صاحبةً ولا نفصل فنقول: ليست فلانةً زوجة لله ولا فلانة ولا فلانة - تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ -، وكذا ﴿ لَمْ يَلِدْ﴾ فلا يفصل لم يلد زيداً وفلاناً، ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣] لم يلده فلان ولا فلان ولا فلان، وإنما النفي المجمل وهذا هو نهج الكتاب والسُّنَّة ؛ لأنَّ النفي المجمل لا يفيد تعظيماً وإنَّما فقط يذكر في النصوص؛ لبيان: كمال الله في موطن الحاجة.

هذه بعض القواعد في الأسماء والصفات - وبإذن الله - يتلوها بعد ذلك شرح الواسطية، ولما صنَّف المصنفُ - ﵀ - الواسطية بعد عمرٍ طويلٍ مديدٍ توفي وعمره سبعة وستون عاماً في دمشق، وقبره الآن في ساحة كلية طبِّ الأسنان في دمشق، وبجانبه تلميذه ابن كثيرٍ - ﵀ -.

قال ﵀: (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. وَأَشْهَدُ أَلاَّ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﷺ تَسْلِيمًا مَزِيدًا**)

(**بِسْمِ اللَّهِ**) الباء: هنا للبركة والاستعانة، أي: ابدأُ مستعيناً ومتبركاً «بسم الله» ، وكلُّ اسم ذكر الله ﷻ عليه تحلُّ البركة عليه، فمن ذلك: أنَّ الذَّبيحة إذا ذكر اسم الله عليها حلَّت وجاز أكلها، وإذا لم يذكر اسم الله عليها لا تؤكل؛ لأنَّها فقدت البركة بالتسمية قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وكذا الصَّيد إذا تلفظ بالتسمية عليه حلَّ، وإذا لم يسم لم يحلْ كما قال ﵊ «إِذَا رَمَيْتَ بِسَهْمِكَ فَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، فَإِنْ وَجَدْتَهُ قَدْ قَتَلَ فَكُلْ إِلاَّ أَنْ تَجِدَهُ قَدْ وَقَعَ فِي مَاءٍ؛ فَلاَ تَأْكُلْ» .

«بسم الله» الاسم مأخوذٌ من السُّمو أي: الرفعة ، والعلامة يعني: هذا علامةٌ على شيءٍ ذكر اسم الله ﷻ عليه. «بسم الله» أي: أتبرك واستعين «بسم الله» فالله هو أعرف المعارف، وهو اسم عليه سبحانه لا يطلق على غيره.

(**الرَّحْمَنِ**) أي: أتبرك أيضاً باسمه الرحمن وأستعين به، (**الرَّحِيمِ**) أي: استعين وأتبرك أيضاً باسمه الرحيم. والرحمن تشتق منه صفة الرحمة،

والرحيم اسم أيضاً تشتق منه صفة الرحمة. كالعلي والأعلى كلاهما لصفة واحدة وهي العلو.

والفرق بينهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «اسْمَانِ رَقِيقَانِ - يعني: واسعان - أَحَدُهُمَا أَرَقُّ مِنَ الآخَرِ - يعني: أوسع من الآخر - وَهُو الرَّحْمَنُ» لأنَّ الرحمن للدنيا والآخرة، أما الرحيم فللآخرة قال سبحانه: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣] أي: الرحمة للمؤمنين في الآخرة لا يشترك فيها معهم الكفَّار وإنَّما خاصةٌ بالمؤمنين.

ولم يثبت أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يبدأ خطبه بالبسملة وإنَّما بحمد الله والثناء عليه، وكلُّ حديث ورد في البسملة لا يثبت.

قال: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ**) الألف واللام للاستغراق يعني: جميع المحامد لله سبحانه، وعليه فلا يقال للمخلوق: الحمْدُ لك، وإنما يقال له مثلاً: لك حمدٌ لكن لا يقال: الحمْدُ لك؛ لأنَّ جميع المحامد لله.

والحمد ذُكْرُ محاسن المحمود مع حبِّه وتعظيمه والذُّل له، ولو أنَّ شخصاً حمد آخر محبَّةً له ومعظماً له، لكن لم يذل له لا يعتبر حامداً له.

والفرق بين الحمد والشكر: أنَّ الحمد أعمُّ من ناحية أنَّه يكون مقابل نعمة وغير مقابل للنعمة، فالله ﷻ يحمد حتى في المصائب،

والشكر أعمُّ من ناحية أنَّ القيام به يكون بالقلب واللسان والجوارح. أما الحمد فلا يكون إلاَّ بالقلب واللِّسان.

ومن أعظم الثناء على الله هو قول: الحمدُ لله؛ لذلك قال ﷺ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ»، وأول آية في كتاب الله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وإذا قال المصلِّي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال سبحانه: «حَمِدَنِي عَبْدِي»، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: مربي جميع العالمين بنعمه، فهو رباهم وهم في بطون أماتهم حتى يلقى كلُّ إنسانٍ مصيره إما إلى الجنَّة أو إلى النَّار.

(الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى) أي: بالعلم النافع، **(وَدِينِ الْحَقِّ)** أي: العمل الصالح كما قال ابن عباس **(لِيُظْهِرَهُ)** يعني: ليعليه ولينصره **(عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)** هنا الألف واللام لام الجنس، يعني: جميع الأديان. فكلُّ دين أمام دين الإسلام يزهق قال سبحانه: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وقال سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة ٢١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، **(وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)** أي: وكفى بالله شاهداً على أنَّ دين الإسلام هو الدين الحق، وأنَّ الرسول هو الرسول الحق من عند الله.

قال: **(وَأَشْهَدُ)** أي: أقرُّ وأعترفُ بقلبي، وأنطقُ بلساني، وأعملُ بجوارحي بما تقتضيه تلك الكلمة، وأجانب ما يضادها **(أَلاَّ إِلَهَ)** أصلُها أنْ لا، ولا نافية للجنس يعني: لا يوجد إله في الكون مطلقاً، ثم تثبت

وتقول: (**إِلَّا اللَّهُ**) وهذه الكلمة من أوجز وأبلغ العبارات في اللغة العربية حيث نفت جميع الآلهة التي تعبد بالباطل، ثم أثبتت أنَّه لا يعبد بحقٍّ إلاَّ الله بأوجز عبارة وبحروف «لا، إلاَّ» .

(**وَحْدَهُ**) هذا تأكيد (**لَا شَرِيكَ لَهُ**) تأكيدٌ آخر، وكلمة « وَحْدَهُ » هذا تأكيدٌ للإثبات يعني: إلاَّ الله «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » يعني: وأشهد ألاَّ إله ولا شريك مع الله أحداً.

ثم قال: (**إِقْرَارًا بِهِ**) هذا حالٌ يعني: كيف شهادتي هذه؟ « إِقْرَارًا » فكأنك تقول: يا رب أنا أشهد بتلك الكلمة، وأنا مقرٌّ بها، ومسرورٌ بها، وناطقٌ بها لساني، وعاملتٌ بها جوارحي، (**وَتَوْحِيدًا**) أي: تلفظت بتلك الشهادة موحداً لك - ﷻ -.

قال: (**وَأَشْهَدُ**) كذلك أقرُّ وأشهد بـــ (**أَنَّ مُحَمَّداً**) عليه الصَّلاة والسَّلام (**عَبْدُهُ**) للردِّ على الغلاة فيه (**وَرَسُولُهُ**) للردِّ على منْ لم يتبعه ممن جفوه بترك طاعته (**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**) الصلاة من الله يعني: الثناء، يعني: يا رب أثنى عليه في الملأ الأعلى، وصلاة الله على النَّبيِّ بمعنى الثناء عليه فإذا قلت: « صَلَّى اللَّهُ » يعني: يا رب صل عليه، فهذا من باب الإنشاء، وإذا أردت أنْ تخبر: فأنت يا رب أثنيت عليه في الملأ الأعلى، « وَعَلَى آلِهِ » آل النَّبيِّ ﷺ هم قرابته من آل بيته من المؤمنين، فكلُّ مؤمن قريبٌ من النَّبيِّ ﷺ ندعو بأنْ الله يثني عليه في الملأ الأعلى، وهذا من تمام محبتنا

للنبيِّ ﷺ بأنَّنا نحبُّ ونثني على من كان من بيت النبوة إذا كان مؤمناً، ويخصُّ بذلك بنو هاشم منهم؛ فهم عترةُ النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام.

«وَعَلَى آلِهِ» الآل ذَكَرَهُم للردِّ على النواصب الذين يبغضون قرابات النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، «وَأَصْحَابِه» أي: صحابة النَّبيِّ ﷺ، وهم من رأى النَّبيَّ ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، وهذا ردٌّ على الرافضة الذين يبغضون صحابة رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام.

وعليه فمن قال: « صلى الله عليه وآله وسلم » وأسقط الصحابة فهي عبارةٌ خاطئةٌ تُوافق هوى الروافض، والصواب الجمع بين الآل والصحب في الصَّلاة والسَّلام عليهم **(وَسَلَّمَ)** يعني: يا رب سلِّم النَّبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وسلِّم قراباته المؤمنين من آل بيته، وسلِّم صحابته من كلِّ آفةٍ ومكروهٍ حتى ولو كانوا أمواتاً مما يحصر في القبور، أو يوم الحشر، **(تَسْلِيمًا مَزِيدًا)** يعني: ندعوك يا رب بأنْ يكون سالمين من كلِّ آفةٍ، ندعوك كثيراً بأنْ يسلموا من أيِّ مكروهٍ يحلق بهم.

قال ﵀: (**اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ - أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ -: الْإِيمَانُ بِاَللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.**)

قوله: (**اعْتِقَادُ**) الاعتقاد لغةً: الربط فتقول: عَقَدَ الحبل إذا رَبَطَه.

واصطلاحاً: اعتقادُ الذهنِ بحكمٍ جازمٍ سواء كان حقاً أم باطلاً هذا يسمى اعتقاداً. مثل: لو اعتقد شخصٌ أنَّ المسيح هو ابن الله نقول: هذا اعتقادٌ لكنه باطلٌ، ولو اعتقد شخصٌ أنَّ الله واحدٌ اعتقاد لكن وهو صحيح.

والفرق بين العقيدة والتوحيد: أنَّ العقيدةَ أعمُّ فتشمل توحيد الله ﷻ، وتشمل وجوب الإيمان بالصحابة وفضلهم والذَّب عنهم، وتشمل أيضاً وجوب برِّ الوالدين وصلة الرحم والجار وغير ذلك ممَّا ذكره شيخ الإسلام في هذه العقيدة.

أما التوحيد فهو فقط في أنواع التوحيد الثلاثة الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فكتاب التوحيد للشَّيخ محمد بن عبدالوهاب نقول: كتاب التوحيد؛ لأنَّه في التوحيد فقط. والواسطية نقول: عقيدة؛ لأنَّها في توحيد الله ﷻ وزاد شيئاً عن ذلك.

قال: (**الْفِرْقَةِ**) يعني: الطائفة، قال سبحانه: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾ [التوبة: ١٢٢] أي: طائفة (**النَّاجِيَةِ**) أي: من عذاب الله، كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» فالواحدة هي التي تنجو من النَّار، واليهود والنصارى قال شيخ الإسلام: « لا يعدون من فرق هذه الأمة بالإجماع » (**الْمَنْصُورَةِ**) أي: التي وعد الله ﷻ بنصرها وحالها كذلك، قال سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [غافر: ٥١].

«الْظَاهِرَةِ » يعني: المؤيدة بنصر الله، كما قال سبحانه: ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤] يعني: منصورين (**إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ**) أي: إلى قرب قيام الساعة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» وهم على ذلك وليس المقصود « إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ » حقيقةً؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبر بأنَّ السَّاعة تقام على شرار الخلق.

قال: (**أَهْلِ**) يعني: أصحاب (**السُّنَّةِ**) يعني: الذين يأخذون بالسُّنَّة، فإذا كانوا يأخذون بالسُّنَّة فمن باب أولى الكتاب، (**وَالْجَمَاعَةِ**) أي: الذين اجتمعوا على الأخذ بسُنَّة النَّبيِّ ﷺ، وهذه الجماعة والفرقة هم: مَنْ اقتفى

أثر النَّبيِّ ﷺ وسار على نهج صاحبته الكرام؛ كما قال ﷺ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» ما هو اعتقادهم؟

قال: (الْإِيمَانُ بِاَللَّهِ) هو الركن الأول الذي ذكره النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام لجبريل لما سأله جبريل: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ» ، وجميع أركان الإيمان غير الإيمان بالله عائدة إلى الإيمان بالله «الْإِيمَانُ بِاَللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » كلها تعود إلى الركن الأول هذا.

قال: « الْإِيمَانُ بِاَللَّهِ » يعني: توحيده في ربوبيته، وتوحيده في ألوهيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته.

قال: (وَمَلَائِكَتِهِ) يعني: الإيمان بالملائكة من أنَّهم عِبَاد الله مكرمون، وعددهم وأعمالهم هذا على سبيل الإجمال، أما على سبيل التفصيل الإيمان بما جاء النص في أسمائهم وهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ومالك، ومن لم نعرف أسماؤهم نؤمن بهم جملةً كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [المدثر: ٣١] .

(وَكُتُبِهِ) نؤمن بها على سبيل الإجمال فيما أجمل، ونؤمن بها على سبيل التفصيل فيما فُصَّل من ذكر أسماء الكتب والذي جاءنا من أسمائها القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى.

(وَرُسُلِهِ) نؤمن بهم على سبيل الإجمال فيما أجمل، ونؤمن بهم على سبيل التفصيل فيما فُصَّل فمما فُصَّل ما جاء ذكرهم في كتاب الله مثل: إبراهيم وموسى وعيسى ونوح وغيرهم.

(وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ) يعني: مما يحصل بعد موت الإنسان، فأيام الآخرة أول أمر فيها هو الموت فمن مات دخل في الآخرة، لذلك قال: «وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ» والبعث بعد الموت يشمل عدة أمور ذكر المصنفُ ﵀ بعضها في باطن العقيدة، مثل: فتنة القبر، والصراط، والميزان، والصحف وغير ذلك كما سيأتي - إنْ شاء الله -.

(وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) يعني: الإيمان بما قدَّره الله ﷻ على العبد.

والفرق بين القضاء والقدر: أنَّ القدر شيءٌ يسبق، والقضاء حصل. فتقول: الله قضى على ذلك بحادثٍ فالحادث لما حصل نقول: قضى، وقدر يعني: شيءٌ مقدَّر من قبل. وسيأتي تفصيل القدر والمراد بالقدر - بإذن الله - في باطن العقيدة.

قال ﷺ: **(وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؛ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ:** ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾**)**

لما ذكر المصنفُ ﷺ أنَّ اعتقاد الفرقة الناجية: « الْإِيمَانُ بِاَللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ ... إلى آخره » .

قال: **(وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ)** يعني: وممَّا يتضمنه الإيمان بالله، قال: **(الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)** هذه قاعدة عند أهل السُّنَّة وقد قرَّر هذه القاعدة الإمام أحمد بن حنبل ﷺ فقال: « نؤمن بما وصفه الله ﷻ به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والسُّنَّة » فمن أعظم القواعد في الأسماء والصفات قال: « الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ » يعني: في الصفات ولم يتعرض إلى الأسماء؛ لأنَّ النزاع هنا مع الجهمية في الصفات. ومن ينكر الاسم أنكر الصفة، ومن ينكر الصفة لم يثبت الأسماء منها سوى المعتزلة قالوا: بأسماء لا معاني لها من الصفات - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - **(فِي كِتَابِهِ)** فوصف نفسه الله ﷻ في كتابه بالقوة كما قال سبحانه: ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وبما وصفه به نفسه أنَّه رزَّاق وقوي ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٨]،

وكذلك وصف الله بأنَّه متينٌ، وكلُّ اسم يأخذ منه صفة فإذا قلنا: عزيز نأخذ منه صفة العزة ... وهكذا.

وقوله: «**الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ**» يدل على أنَّ الأسماء والصفات توقيفية لا مجال للعقل فيها؛ لأنَّ الله ﷻ لم يره أحدٌ فلا نؤمن إلاَّ بما جاء به النص.

قال: (**وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ** ﷺ) مثل: «وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، ومثل: «إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ» هذه القاعدة.

ثم بدأ يؤكد هذه القاعدة فقال: (**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ**) يعني: تصريف وتأويل المعني إلى معناً آخر، والتحريف إما أنْ يكون للفظ والمعنى، مثل: من حرف باستوى قال: استولى، وكتحريف اليهود لما قيل لهم: ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ [البقرة: ٥٨] قالوا: حنطة في شعيرة، من تحريف اللَّفظ: لو قال شخصٌ: الحمدَ لله، وأهل السُّنَّة لا يحرفون الصِّفات وإنما يثبتونها ويمرونها كما جاءت، (**وَلَا تَعْطِيلٍ**) يعني: من غير جحد للصفات وإنما يثبتونها، فنثبت السمع والبصر والمجيء والكلام لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته.

قال: (**وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ**) يعني: لا نخترع كيفيةً لصفة من صفات الله فلا نقول: إنَّ يد الله كيفيتها كذا وكذا؛ لأنَّ كَيف ممنوعٌ في الصفات

وإنَّما نؤمن بالصِّفة ولا نسأل عن الكيفية نقول: الاستواء معلومٌ ولا نقول: كيف هو؟ ونقول: الله يسمع ولا نقول: كيف يسمع؟ ونقول: الله يتكلم ولا نقول: كيف يتكلم؟ بل إنَّ السؤال بكيف عن الصفة من البدعة، **(وَلَا تَمْثِيلٍ)** يعني: لا نمثل صفة من صفات الله بشيءٍ من مخلوقاته فلا نقول مثلاً: - تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ - يدُ الله مثل يدُ فلان.

والفرق بين التكييف والتمثيل: أنَّ التكييف لا أمثلها بشيءٍ من صفات المخلوقين وإنما لو قال شخصٌ: يدُ الله طويله طولها كذا وعرضها كذا - تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ - هذه كيفية، لكن تمثيل يدُ فلان مثل يدٌ فلان، ورأس فلان مثل رأس فلان تأتي بمثيل.

فلما ذكر هذه الاحترازات التي نشأت منها الطوائف وهم أهل التعطيل من الجهمية ومن المعتزلة ومن فروعهم الأشاعرة والماترودية، وكذا الممثلة وكذا المكيفة الذين يقولون: يدُ الله ككذا، وكذا المحرفة من الجهمية والأشاعرة وغيرهم.

أيضاً حذَّرك من التفويض ومعنى التفويض لو قال شخصٌ: أنا أفوض الصفات كما هي ولا أقول: الله سميع ولا أقول: ليس بسميع وإنما أقول: نثبت كما يريد الله ونفي كما نفاه الله، نقول: هذا هو مذهب المفوضة وهو شرٌّ من المعطِّلة؛ لأنَّ المفوض يعتقد أنَّ القرآن لم يبين شيئاً من

ذلك، والله يقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]، ولا يلزم من قوله أيضاً أنَّ النَّبيَّ ﷺ يتكلم بشيءٍ لا نعرفه كأن يثبت بأنَّ الله يستحي، وبأنَّ الله ستير فنقول: ما نعرف هذا، وهذا المذهب شرٌّ من الإلحاد كما قال شيخ الإسلام رحمه الله.

وشُبهة الجهمية والممثلة ومن نحى نحوهم من المكيفة والمحرفة قالوا: لو أثبتنا الصفات لله للزم من ذلك التمثيل، فلو قلنا: الله سميع معناه مثل المخلوقين فحتى لا يكون مثل المخلوقين نقول: الله لا يسمع حتى لا نشبهه بالمخلوقين، وهذا نقصٌ في العقل وردٌّ للنصوص فالله ﷻ له صفة تليق بجلالته وعظمته، والمخلوق له صفة تليق بحاله، فالفيل يسمع والنملة تسمع وسمع الفيل ليس كسمع النملة، فإذا كانت الصفة تتفاوت في المخلوقين فتفاوتها من بين المخلوق والخالق أولى!

لذا إذا قيل لك: ما هي شبهة المعطِّلة والجهمية والفرقة التي سبقت - من: المحرفة والمعطلة والممثلة والمكيفة -؟ نقول: لأنَّهم فروا من التَّشبيه فوقعوا ما هو أشدُّ منه.

لما بيَّن المصنفُ الاحترازات السابقة «مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ» إذاً ما هو مذهب السلف؟ قال: **(بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ هذا ردٌّ على الممثلة وهي شبهة السَّابقين، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ هذا إثباتٌ لله وهو ردٌّ على

المعطلة، فهم قالوا: نعطل لئلا نمثل. وأهل السُّنَّة قالوا: لا نمثل بأحد من خلقه ونثبت الصفات لله.

قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وفي هذه الآية أيضاً قاعدة لأهل السُّنَّة وهي النفي المجمل وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ فلم يقل: الله ليس كفلان ولا فلان ولا فلان وإنما مجمل، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ قاعدة أهل السُّنَّة أيضاً الإثبات المفصل السميع البصير الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ... وهكذا. وهذا من تعظيم الله ﷻ ومن كمال صفاته وعلوِّ أسمائه.*

قال ﵀: **(فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ: الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ.)**

لما ذكر المصنفُ ﵀ أنَّ أهل السُّنَّة يثبتون ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل هنا إثبات، ثم استدل يثبتون سميع بصير عظيم ملك قدوس، وقال: « بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ » .

الآن يشرح بماذا نثبت الأسماء لله والصفات، وبماذا أثبتنا صفة السميع البصير في الآية؟ قال: لأنَّ أهل السُّنَّة **(فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)** فالله ﷻ يصف نفسه بالسمع وبالبصر لا ننفيه، **(وَلَا يُحَرِّفُونَ: الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)** يعني: نثبته، وإثباتنا له من غير تحريف الله ﷻ يقول: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] لا نحرف استوى باستولى، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] لا نحرف ونؤولها ونقول: جاء أمر ربك.

(وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ) يعني: لا نعطلها لا نلحد في أسماء الله لا نقول: أنَّ الله لا يسمع - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، أو لا يبصر، أو لا يتكلم، أو لا يَنْزِل ... وهكذا. لماذا؟ لأنَّنا نؤمن بأسماء الله وصفاته، ولأنَّنا أيضاً لا نلحد في آيات الله يعني: نصدق ما جاء به القرآن العظيم، الله

يقول: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال عن الآيات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ ﴾ [فصلت: ٤٠].

فمن أنكر الصفة نقول: هذا كذَّب النص وألحد فيه لذلك لو قال شخصٌ: لماذا تثبتون صفات الله؟ نقول: لأنَّنا من أهل السُّنَّة فلا ننفي ما أثبته الله لنفسه، ونحن نثبت ما أثبته ما أراده الله من غير تحريف، ونحن نثبت ما أراده الله ولا نعطل تلك الصفة لله؛ لئلا نقع في أمرٍ عظيمٍ وهو الكفر بآيات الله بعدم الإيمان بها.

وسيأتي - إنْ شاء الله - بيان لماذا لا نمثل، ولا نكيف صفات الله بصفات غيره وهو شرح الجزء الأول من قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ فهو بدأ بالشطر الثاني من الآية ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ؛ لأنَّه ذكر أصل القاعدة يثبتون ما أثبته الله لنفسه.*

قال رحمه الله: **(وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفْءَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ)**.

هنا يشرح المصنفُ رحمه الله قاعدة عظمية هي الشطر الأول من الآية السابقة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فقال المصنفُ: **(وَلَا يُكَيِّفُونَ)** يعني: لا نقول: إنَّ كيفية الوجه مثلاً كذا وكذا - تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ -، **(وَلَا يُمَثِّلُونَ)** يعني: لا نقول: يدُ الله مثل يد فلان - تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ -، فممنوعٌ علينا أنْ نكيف وأنْ نمثل لأربعة أمورٍ ذكرها المصنفُ.

الأمر الأول قال: **(لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ)** يعني: ليس هناك ربٌّ مسامٍ لله في مكانته حتى نراه - أي: الربُّ الثاني - ونقول: إنَّ ربنا صفته كذا وكذا وهذا ممنوعٌ، **(وَلَا كُفْءَ لَهُ)** يعني: ليس هناك ربٌّ مكافٍ له قريبٌ من صفاته حتى نقول: إنَّ صفات ربنا كذا وكذا أو مثل كذا وكذا، **(وَلَا نِدَّ لَهُ)** يعني: لا يوجد ربٌّ مشابهٍ له حتى نقول: إنَّ ربنا صفاته كذا وكذا أو كيفية صفاته كذا وكذا. هنا انتهى من الشطر الأول لا يوجد ربٌّ آخر في الأوصاف الثلاثة: مسامٍ له، مكافٍ، شبيه.

الأمر الثاني: **(وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ)** فلا نقول: يدُ الله مثل يد فلان من البشر، ولا سمع فلان مثل سمع فلان من المخلوقات، فإذا تعذر وجود

ربِّ آخر بالصفات الثلاثة والقاعدة العظيمة: أنَّ الله ﷻ لا يقاس بخلقه ما بقي لنا إلاَّ شيءٌ واحدٌ وهو أنَّ نؤمن بما أخبر الله عن نفسه لذلك قال: **(فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ)** وهو الذي قال: أنا أسمع وأُبصر وأرى وأجيء وآتي ... وهكذا، «أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ» **(وَ)** هو أيضاً أعلم **(بِغَيْرِهِ)** فإذا كان أعلم بنفسه فمن باب أولى أنْ يكون أعلم بغيره. فصفاته ليست كصفاتهم.

الأمر الثالث: يجب أنْ نؤمن بالنص الذي أخبر الله عن صفاته؛ لأنَّ الله صادقٌ لذلك قال: **(وَأَصْدَقُ قِيلًا)** فهو أعلم بنفسه ويخبرنا بالصدق، الله يخبر عن نفسه أنَّه سميع وبصير وقوي وقهار، الله يقول: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢]، وقال: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٩٥].

الأمر الرابع: **(وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ)** يعني: كلامه بيِّن واضح - ﷻ - لذلك قال: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]، فقال عن نفسه مثلاً: الملكُ القدوسُ العزيزُ الحكيمُ الكبيرُ المتعالي بشيٍ واضحٍ بيِّنٍ، فإذا كان الله ﷻ يخبر عن نفسه وهو صادق بما يخبر وواضح يجب علينا ألاَّ نمثل ولا نكيف؛ لأنَّنا لم نرى ربنا ولم نرى أحداً مسامٍ أو مكافئٍ أو شبيهٍ من الآلهة به سبحانه ويمتنع أنْ يقاس من خلقه؛ لأنَّ الله يقول: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

فإذا قيل لك: لماذا لا تكيف ولا تمثل صفات الله بصفات غيره؟

نقول: أولاً: لأنَّنا لم نر الله حتى نكيف ونمثل.

الأمر الثاني: لا يوجد آلهة أخرى لا مسامٍ لها بمثل الصفات، ولا مكافئ لها ولا شبيها به سبحانه، ولا يجوز أنْ يقاس الله بخلقه. فوجب أنْ نؤمن بما أخبرنا الله عن نفسه؛ لأنَّه أعلم بنفسه وهو - ﷻ - صادقٌ وكلامه بيِّنٌ وواضحٌ في صفاته وفي غيرها.*

قال رحمه الله: **(ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ** سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، **فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ)**

« ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ... » هذه عطفٌ على قوله: « فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ ... ».

ومعنى هذا: أنَّ المصنفَ رحمه الله لما قال: «فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ: الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ .. إلى أنْ قال: وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ .. قال: فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ » أي: إنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يثبتون الأسماء والصفات على ما جاء به الكتاب والسُّنَّة لأمرين:

الأمر الأول: سَبَقَ وهو قوله: « فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ » فنؤمن بالأسماء والصفات؛ لأنَّنا لم نرى ربنا - سبحانه وتعالى - وهو الذي أخبرنا عن أسمائه وصفاته لأنَّه أعلم بنفسه، وهو صادقٌ سبحانه في قوله، وقولُه واضحٌ وبيِّنٌ.

والأمر الثاني: نأخذ باعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّ الرسل صادقون لذلك قال: (**ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ**) ومدام أنَّ الرسل صادقون فنعتقد بما أخبرونا به من أسماء الله وصفاته مثل: لما أخبر النَّبيُّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ» فنؤمن؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يكذب على ربه، (**مُصَدَّقُونَ**) أي: يجب أنْ يصدقهم النَّاس لأنَّنا مأمورون بتصديق ما أخبروا به، فلما كان واجبٌ أنْ نؤمن بالأسماء والصفات لصدق الله ولصدق رسله قال: (**بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ**) فهم كاذبون؛ لأنَّهم قالوا بغير علم ومكذبون؛ لأنَّ كلامهم بغير علم.

ولما كان كلامهم كذبُ؛ لأنَّه لم يبنى على علمٍ قال: (**فَسَبَّحَ نَفْسَهُ**) يعني: نزه نفسه (**عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ**) للرسل من: تعطيل أسماء الله وصفاته، أو تحريفها، أو تكييفها، أو تمثيلها فلما وصفوا الله بالنقائص قال الله: (﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ ﴾) يعني: أنا أنزه نفسي من كل عيبٍ ونقصٍ كما يقول هؤلاء الكذابون الذين قالوا عليَّ بغير علمٍ.

لذلك قال: (**وَلِهَذَا قَالَ** ﷻ: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ * وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾) فسَّر الآية بقوله: (**فَسَبَّحَ نَفْسَهُ**)؛ لوجود هذا الذنب الكبير الذي اقترفوه وقالوه فيَّ، (**عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ**) قال: (**وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ**) يعني: سلَّم على المرسلين

وأثنى عليهم لماذا؟ (**لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ**) فالله أثنى عليهم؛ لأنَّهم وصفوا الله بصفاته كما أراد الله ﷻ.

القسم الأول: أُنكِرَ عليهم بالتسبيح وهم الكذَّابون.

القسم الثاني: أثنى الله ﷻ عليهم وهم الرسل الصادقون؛ لأنَّهم وصفوا الله بكلِّ كمالٍ وبكلِّ تمامٍ.

إذاً لو قال لك شخصٌ: لماذا تثبت الأسماء والصفات، أو تنفي عن الله ما لم يثبته لنفسه ولم يثبته له رسوله؟ تقول لأمرين:

الأمر الأول: لأنَّ الله أعلم بنفسه، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً.

الأمر الثاني: لأنَّ رسله صادقون مصدقون*.

قال رحمه الله: **(وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ: بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ)**

« وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ: بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ » هذه قاعدة من قواعد أهل السُّنَّة: أنَّ الكتاب والسُّنَّة أتى بالنفي وبالإثبات.

« نفي ما نفاه الله جل وعلا عن نفسه » مثل: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ ﴾ [الإخلاص: ٣]، وكقوله أيضاً جل وعلا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]. « وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم » مثل: «فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا» .

«وإثبات ما أثبته الله جل وعلا لنفسه» مثل: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] «وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم» مثل: «««يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ».

وقد جمعت هذه القاعدة قوله سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ هذه نفيٌ، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ هذه إثباتٌ. فمعتقد أهل السُّنَّة والجماعة فيه نفيٌّ لكن كما جاءت به النصوص، وفيه إثباتٌ لكن أيضاً كما جاءت به النصوص ففيه ردٌّ على الجهمية.

والقاعدة الثانية: ما هي طريقة النفي، وما هي طريقة الإثبات؟ طريقة النفي نفيٌّ مجملٌ ولم يأت إلاَّ لبيان سببٍ يقتضى نفي نقص ما وصفه به المشركون مثل: لما قال النصارى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، قال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، يعني: هذا نفيٌّ ليس لله زوجة لكن أتت؛ لبيان ما أُفتري الله ﷻ فيه، ومثل: لما قال كفَّار قريش: أنسب لنا ربك، وقالوا: إنَّ الله له ولد ووالد، قال الله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣]، ومثل: النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام لما رفع الصَّحابة رضي الله عنهم أصواتهم بالذكر قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا» بيَّن لهم النَّبيُّ ﷺ هذا النفي لبيان ما يعتقدونه بأنَّ الله لا يسمع الصوت إذا كان مخافتة. فالنفي مجمل وفي النفي المجمل كمال للموصوف.

والقاعدة الثالثة: أنَّ الإثبات يكون مفصلاً، كقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] هذا إثباتٌ مفصلٌ.

وخالف في ذلك أهل البدع وجعلوا نفياً مفصلاً فقال بعضهم: الله ﷻ ليس بزبالٍ - تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ -، وفي الإثبات خالفوا أهل السُّنَّة فجعلوه مجملاً كالمفوِّضة وقالوا: نحن نثبت ما يريده الله لكن لا نفصل في ذكر الأسماء والصفات.

والمصنفُ قال: (**وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ: بَيْنَ النَّفْيِ**) المجملِ (**وَالْإِثْبَاتِ**) المفصل (**فَلَا عُدُولَ**) يعني: إذا تبين أَنَّ النصوص من الكتاب والسُّنَّة أتت بالنفي والإجمال (**لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**) يعني: لا ضير ولا حجَّة لهم عن اعتقاد هذه القاعدة؛ لأَنَّها جاءت بها المرسلون لذلك قال: (**عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ**) فأهل السُّنَّة أخذوا بهذه القاعدة؛ لأَنَّها جاءت بها النصوص.

ثم بعد ذلك لتثبيت من يعتقد ذلك وهو النفي المجمل والإثبات المفصل بيَّن لك أَنَّك لست وحدك فقال: (**فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ**) يعني: هذا هو القول الحق.

« وَالصِّرَاطُ » : فِعَالُ بمعنى مفعول، يعني: مصروط يعني: نمشي عليه «الْمُسْتَقِيمُ » الذي لا اعوجاج فيه. يعني: اعتقد ذلك فهذا هو المذهب الصحيح.

ثم بيَّن بعد ذلك مَنْ هم الذين سلكوا هذا المسلك؟ فقال: (**صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**) يعني: الذين أعطاهم الله ﷻ النِّعمة المطلقة العظيمة وهي نعمة الدِّين مَنْ هم؟ «مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ » يعني: أقول إنَّ هؤلاء وهم صفوة من مشى على الأرض يثبتون لله الأسماء والصفات، وينفون عنه ما جاء النص بنفيه عنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

(مِنَ النَّبِيِّينَ) يعني: كل من أوحي إليه من الأنبياء يعتقدون ذلك، **(وَالصِّدِّيقِينَ)** الصَّدَّيق: هو من صدق حاله ظاهراً بلسانه وجوارحه، وباطناً بقلبه قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد أجمعت الأمة على تلقيب أبي بكر بالصديق .. قال: ولم يعرف عنه كذبة قطُّ لا في جاهلية ولا في إسلام»، **(وَالشُّهَدَاءِ)** يعني: من ماتوا في المعركة ضدِّ الكفَّار، **(وَالصَّالِحِينَ)** الذين أعطاهم الله عز وجل العلم والعبادة والصلاح، فيدخل فيهم العبَّاد والعلماء.

فإذا كان هؤلاء ممن يوحى إليهم، ومن الذين صدقوا من الله، ومن الذين فدوا أرواحهم لله، ومن الذين نفعوا أنفسهم والخلق بالعلم والعبادة يثبتون لله الأسماء والصفات فطمئن لما تعتقده وهو الصحيح؛ فقد سلك ذلك المنهج هؤلاء الأخيار، أما من انحرف فلم يعرفوا بعلمٍ ولا عبادة - وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ -.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ، الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ يَقُولُ:** ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾).

(وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ) يعني: في الجملة السَّابقة وهي: « وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ: بَيْنَ النَّفْيِ » المجمل « وَالْإِثْبَاتِ » المفصل.

والمصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبدأ الآن يفصل في آيات الصفات إلى نصف العقيدة الواسطية، إلى قوله: « وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ - أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ -: بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » يعني: إلى القدر، والمصنفُ يشرح هذه الجملة بذكر صفات الله جَلَّ وَعَلَا.

قال: **(مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)** بين النفي والإثبات حيث فيها ثلاث إثباتات، وثلاث صفات منفية **(فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ)**؛ لأنَّها خَلَصت في وصف الله تعالى، فليس فيها شيءٌ من الأوامر ولا النواهي **(الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)**؛ لقول النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البخاريِّ ومسلم: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، قَالَ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» يعني: في الجزاء والثواب. وكانت ثلث القرآن؛ لأنَّ القرآن ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إما أحكام « أوامر ونواهي » .

القسم الثاني: خبرٌ عن المخلوقين، مثل قصة عاد وثمود وقصة آدم.

القسم الثالث: أو خبرٌ عن الله ﷻ فكانت ثلث القرآن؛ لأنَّها تأخذ قسماً كاملاً ممَّا في القرآن.

قال: (**حَيْثُ يَقُولُ**) تعالى: (﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾) يبدأ الآن في ذكر الصفات، أول صفة ذكرها الله ﷻ صفة الألوهية وهو قوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ والله أي: المألوه. أي: التي تتعلق القلوب به وتأله إليه، ففي إثبات هذه الصفة كمال الله ﷻ.

الصفة الثانية: ﴿ أَحَدٌ ﴾ صفة الأحدية، وصفة الأحدية جاءت في القرآن دلَّ عليها اسم « أحد » كما في هذه السورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، ودلَّ عليها أيضاً اسم الواحد كما في قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦] سبحانه.

الصفة الثالثة: قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ ومعنى الصَّمَدُ لها ثلاثة تفاسير لأهل السُّنَّة:

التفسير الأول لمعنى الصَّمد: أي: الكامل في صفاته؛ فهو الكامل في علوِّه وهو الكامل في علمه، والكامل في رحمته ... وهكذا.

التفسير الثاني: الَّذي تصمد إليه وتلجأ إليه الخلائق عند الكروب.

التفسير الثالث: الَّذي لا جوف له يعني: ليس له أمعاء ولا ما في البطن ... وهكذا، وكلُّ هذه تفاسير لأهل السُّنَّة وتدور في فلكٍ واحدٍ وهو

أنَّ الخلائق تصمد إليه وتلجأ إليه الشدائد؛ لكماله سبحانه في صفاته وكمال ذاته. فالصفة هنا الصَّمَديَّة.

وهذه الصفات الثلاث في هذه السورة من أعظم الصفات «الله» الألوهية، وواحد، وكامل - سبحانه وتعالى - هذه ثلاث صفات إثبات.

ثم صفات النفي ثلاث أيضاً:

الصفة الأولى: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ يعني: لم يلده أحدٌ أي: ليس له أمٌّ، وهذا لكمال تفرَّده سبحانه.

الصفة الثانية: ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ يعني: ليس له ولدٌ، يعني: ليس له زوجةٌ حتى يأتي منه ولدٌ، والله يقول: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَاحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١]، يعني: زوجة. وهذا لبيان كمال تفرَّده - سبحانه وتعالى -.

الصفة الثالثة: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ يعني: ليس له مكافئٌ فهو سبحانه لم يلد، ولم يولد، وليس له مكافئٌ في صفاته، وليس له مكافئٌ لكمال ذاته سبحانه.

فدلَّ على أنَّ منهج القرآن الإثبات المفصل «الله، أحد، صمد» ونفيٌّ مجمل وقلنا: نفيٌّ مجمل حيث قال: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ لم يقل: لم يلد فلاناً ولا فلاناً ولا فلاناً إلاَّ في الرَّد في النَّصارى مثلاً، وكذا ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فلم يفصل في النفي فلم يقل: لم تلده فلانة ولا فلانة ولا فلانة، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ لم يقل: لا يكافئوه هبل ولا اللَّات ولا العزى وإنما:

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ فنأخذ من هذه السورة ثلاث صفات إثبات، ونفي ثلاثة صفات لإثبات ضدَّها.

قال ﵀: **(وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ، حَيْثُ يَقُولُ:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ **. وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ)**

لما ذكر المصنفُ ﵀ أنَّ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة: الجمع بين النفي والإثبات، وذكر أنَّ سورة الإخلاص جمعت بين النفي والإثبات لما ذكر السورة كاملةً تعدل ثُلثُ القرآن.

شَرَعَ بعد ذلك في أعظم آية في كتاب الله فيها الجمع بين النفي والإثبات، قال: **(وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)** - ﷻ - **(فِي أَعْظَمِ آيَةٍ)** والدليل على أنَّها أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي حديث أُبي لما سأله النَّبيُّ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؟ قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» يعني: هنيئاً لك في العلم،

ويدل على فقه الصحابة رضي الله عنهم بآيات العقيدة حيث عرف أنَّها أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي؛ لاشتمالها على صفات الربِّ سبحانه.

ولهذا يجوز تفضيل آيات القرآن بعضها على بعض فنقول: أعظم سورة: سورة الفاتحة، وأعظم آية: آية الكرسي وهي أعظم من قوله سبحانه مثلاً: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٤]، والتفضيل جاء بالنص في الحديث السابق.

قال: (**فِي كِتَابِهِ**) هذه الآية ذكر فيها خمسة أسماء لله، وذكر فيها ستٌّ وعشرون صفةً من صفات الله عز وجل إما بالإثبات أو النفي؛ لبيان الكمال لله - سبحانه وتعالى -.

وسميت آية الكرسي بهذا الاسم لورود ذكر الكرسي فيها (**حَيْثُ يَقُولُ**: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾) الأسماء الخمسة التي في هذه الآية: « الله، الحي، القيوم، العلي، العظيم » وكلُّ اسم من هؤلاء الأسماء الخمسة تدل على صفة كما سيأتي.

قال: ﴿ ٱللَّهُ ﴾ هذا اسمٌ من أسماء الله نأخذ منها أيضاً صفة وهي صفة الألوهية لله سبحانه، « ولا إله إلاَّ الله » نفي الشريك عن الله لإثبات صفة الوحدانية لله، ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ﴾ إثبات الحياة لله، ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ يعني: القائمُ بنفسه غير محتاج لغيره، بل غيره محتاجٌ إليه قال

سبحانه: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤]، - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وهذه الاسم يأخذ منه صفة القيومية لله سبحانه.

وهاتان الصفتان: من أوسع الصفات، فالحياء والقيومية تستلزم السمع والبصر والقدرة والعلم والرحمة ... وهكذا.

قال: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ ﴾ السِّنة: مقدمة النوم، وهو نفي النعاس عن الله لإثبات كمال حياته سبحانه؛ لأنَّه قال: « الْحَيُّ الْقَيُّومُ » فالسِّنة للحي، قال: ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ نفي النوم عن الله لإثبات كمال قيوميته سبحانه يعني: كأنَّه سبحانه قال: « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ الْقَيُّومُ لَا يَأْخُذُهُ نَوْمٌ ».

(﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾) هذا إثبات الملك لله، (﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾) هذا استفهام يعني: لا أحد يشفع عند الله في عدم دخول من استحق النَّار ألاَّ يدخلها حتى يأذن الله وذلك لكمال الله في قوته وسلطانه وملكه سبحانه. (﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾) يعني: من الأمور الحاضرة والمستقبلة، (﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾) يعلم الأمور الماضية.

«﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾» إثبات كمال العلم، «﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾» لنفي النسيان عن الله عَزَّ وَجَلَّ فالأول لكمال العلم لنفي الجهل عن الله سبحانه في المستقبل لا يجهله الله، والماضي لا ينساه، قال الله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾

[مريم: ٦٤]، وقال: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه: ٥٢] سبحانه.

(﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾) هذا فيه إثبات عظمة الله وكبره وهو الكبير والعظيم، فلا يحيط الخلق بشيءٍ من علمه، ولا يعلمون شيئاً عنه إلاَّ ما أخبرهم الله ﷻ عنه أو عن لسان رسوله ﷺ.

وقوله: «﴿ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾» إثبات صفة المشيئة لله ﷻ، وكذا قوله: «﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ ﴾» إثبات صفة العندية لله فليس مختلطة بالخلق ولا متحداً بهم.

(﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾) الكرسي قال ابن عباس: « موضع القدمين من الرحمن » - سبحانه وتعالى -، والعرش أكبر منه، والله ﷻ مستوٍ على عرشه وهو الكبير المتعال.

وقوله: «﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾» يدل على كِبَر الله سبحانه؛ فإذا كان موضع القدمين يسع السماوات والأرض فكيف بالعرش؟ وكيف بربِّ العالمين - سبحانه وتعالى -؟

قوله: (﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ ﴾) أَيْ: لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ (﴿ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾) لكمال قوته وقدرته سبحانه، (﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ﴾) هذا إثبات اسم لله ونأخذ منه صفة إثبات العلو لله، علو القدر والقهر والذات فله العلو المطلق

سبحانه، فهو من صفاته الذاتية (﴿ ٱلۡعَظِيمُ ﴾) اسم من أسماء الله ونأخذ منه صفةً من صفاته وهي العظمة.

فافتتحت هذه الآية بصفة الألوهية وختمت بصفة العظمة، فهو المستحق إذاً للعبادة - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

لذلك قال: (**وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ**) يشير بذلك إلى ما في البخاريِّ من حديث أبي هريرة مع قصة الجن الذي يسرق من بيت المال قال: «دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ؛ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ» .

فقرأت أسطرٍ يسيرةٍ يسخر الله للعبد من يحرسه ليلاً طويلاً من شياطين الإنس والجنِّ، ولا يمكن هذا في الأمور الدنيوية مطلقاً، فلو شخصٌ قرأ ثلاثة أسطرٍ مثلاً في أيِّ كتابٍ لا يمكن أنْ يحرس من شياطين الإنس والجنِّ بل هذا ينزل من السماء من يحفظك، وهذا من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ بالخلق.

ولهذا يسُن للمسلم ألاَّ يدعها قبل أنْ ينام، والنَّبيُّ ﷺ قال كما في النسائي: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ: لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلاَّ الْمَوْتُ» ؛ لأنَّها مشتملة على وحدانية الله.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:** ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾، **وَقَوْلِهِ:** ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾).

(**وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:**) أي: وقد دخل فيما وصف الله عز وجل به نفسه ما جاء في قوله تعالى: (﴿ وَتَوَكَّلْ ﴾) التَّوكلُ، وتفويض الأمور إلى الله عز وجل مع فعل الأسباب المباحة بشرط عدم الركون إليها، مثل: شخصٌ يتوكل على الله أنَّ يرزقه الولد فيتزوج، ولا يركن إلى التزوج يقول: لو ما تزوجت سيأتيني ولد فقد يكون عقيماً ... وهكذا.

(﴿ عَلَى ٱلْحَيِّ ﴾) الحيُّ اسم من أسماء الله تعالى، والصفة فيه الحياة قال ابن القيم رحمه الله: « وصفة الحياة هي أصل الصفات » فمما تستلزمه تلك الصفة: السمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة والمشيئة ... وهكذا، (﴿ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾) هذا نفيٌّ أنَّ الله لا يموت؛ لبيان كمال حياته سبحانه.

وساق المصنفُ رحمه الله هذه الآية؛ لبيان: اسماً من أسماء الله وهو الحيُّ ونأخذ منه صفة وهي الحياة.

ثم بعد ذلك قال المصنفُ: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾) ساق المصنفُ رحمه الله هذه الآية؛ لبيان أربع أسماء لله سبحانه تليق بجلاله وعظمته، ونأخذ منها أربع صفات ومع ختام الآية (﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾) صفة العلم.

« ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ ﴾ » : فسَّره النَّبيُّ ﷺ بقوله: «فَلَيْس قَبْلَكَ شَيْءٌ» فلم يكن شيئاً قبل الله ﷻ هو الأول، (﴿ وَٱلْآخِرُ ﴾) : فسَّره النَّبيُّ ﷺ بقوله: «فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ » ونأخذ من اسم الأول صفة الأوَّلية، والآخر نأخذ صفة الآخرِّية.

« ﴿ وَٱلظَّاهِرُ ﴾ » : فسَّره النَّبيُّ ﷺ بقوله: «فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» فهو العليُّ الأعلى، « ﴿ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ » : فسَّره النَّبيُّ ﷺ بقوله: «فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» فهو مطَّلعٌ على كلِّ شيءٍ فليس شيءٌ محجوبٌ دون الله، فكما هو ظاهرٌ ليس شيءٌ فوقه أيضاً لا يخفى عليه شيءٌ مما هو في باطن الأشياء كحصنٍ وصندوقٍ ونحو ذلك، ونأخذ من اسم الظاهر صفة الظَّاهرية، والباطن نأخذ من صفة البَّاطنية لله ﷻ كما تليق بجلاله وعظمته، أي: أنَّ الله لا يخفى عليه شيءٌ.

والصفة الأولى والثانية: في الزمان « أول وآخر » ، والصفة الثالثة والرابعة: في المكان، فالله فوق عباده وغيرُ مختلطٍ بهم ولا يخفى عليه شيءٌ

من أفعال عباده، لذلك ختم تلك الصفات الأربع بقوله: « ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ » ختمها بالعلم.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾، ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ ﴾ ، ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾).

منهج المصنفُ رحمه الله في الآيات في إثبات صفة: إذا كان لإثبات صفةٍ واحدةٍ لا يجعل بين الآيات لفظة: « وَقَوْلِهِ » وإنما يذكر الآية ثم بعدها آية بدون « وَقَوْلِهِ » ، وإذا كان يريد إثبات صفةٍ جديدةٍ يقول: « وَقَوْلِهِ » . فهنا قال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾) ... وهكذا.

ساق المصنفُ رحمه الله هنا خمس آيات؛ لإثبات صفة العلم لله عز وجل.

قال: (**وَقَوْلِهِ**:) أي: وممَّا وصفَ به عز وجل نفسه ما جاء في قوله تعالى: (﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾) يعني: الذي لا تخفى عليه خافيةً، وهي مع الرحمة أوسع صفات الله قال سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧]، فما من شيء إلاَّ وقد أدركه علم الله -سبحانه وتعالى- (﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾) في قضائه،

وحكيمٌ في شرائعه، وحكيمٌ في تدبير الكون. والحكمة: موضعُ الشيءِ في موضعه.

ودلَّت هذه الآية على إثبات اسمين من أسماء الله « العلم، والحكمة » وإثبات مدلولهما إثبات العليم العلم، والحكيم الحكمة، فالاسم الأول: العليم. والاسم الثاني: الحكيم.

ثم قال: (﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾) سَبَق. (﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾) الخبرة: كمال العلم، فهي أخصُّ من العلم فهو عالمٌ بهذا وخبيرٌ بكلِّ شيءٍ. وصفة الخبرة على ما يليق بجلال الله وعظمته.

ودلَّت هذه الآية على إثبات اسمين: « العليم، الخبير » وإثبات مدلولهما وهي صفة العلم، والخبرة.

ثم بعد ذلك ساق المصنفُ ثلاث آياتٍ فيها تفصيل لما يعلمه الله ﷻ؛ لأنَّه لما بيَّن أنَّ الله عليمٌ بكلِّ شيءٍ ذكر ثلاث آياتٍ جاء النص بعلمه بها مع علم الله بكلِّ شيءٍ.

قال: (﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾) يعني: علمه سبحانه بما يدخل في الأرض (﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾) يعني: لا يخفى عليه شيءٌ من أمر الأرض ولا أمر السماء - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -.

((﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾)) يعني: ما يدخل من المطر والأموات وغير ذلك ((﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾)) من النبات والكنوز وغير ذلك ((﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾)) من الوحي والغيث ((﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾)) من الملائكة ومن الأعمال الصالحة ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩] - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -.

ثم بعد ذلك ذكر آية بأنَّ المختص بعلم الغيب هو ربُّ العالمين قال سبحانه: (﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾) ثم ذكر (﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾) فالله يعلمه، ومكتوبٌ أيضاً ذلك كما سيأتي إنْ شاء الله في القدر.

((﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾)) يعني: مبادئ الغيب يعلمها، وإذا كان يعلم مبادئ الغيب فمنتهاها من باب أولى يعلمها، وما سيحدث في الكون بعد دقيقةٍ حتى جبريل لا يعلمه فهو مختصٌّ بالله وحده سبحانه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، فإذا كانت الملائكة لا تعلم ما سيحدث بعد يسيرٍ فدلَّ على من باب أولى جهل الكهان بذلك وكذبهم فيه.

((﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ ﴾)) من أفعالٍ وأقوالٍ ((﴿وَٱلْبَحْرِ ﴾)) من جواهر وحيتانٍ ومياهٍ وغير ذلك ((﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾)) سبحانه لا

في شرق الأرض ولا في غربها بل ذلك عند الله في كتاب «﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ ﴾» إلاَّ الله ﷻ يعلمها حبَّة ولو صغيرة، وفي الظلام يراها ويعلم عنها وهو الذي يحييها وهو الذي يدبرها، الله يقول: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ ﴾ [يونس: ٣]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. قال: « ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ » فعلم ذلك وكتبه وشاءه سبحانه أنْ يقع.

ثم بعد ذلك قال: (﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ ﴾) ساق آية لبيان علم الله ﷻ بما في الأرحام من الأجنَّة.

« ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ ﴾ » في بطنها هل هو ذكرٌ أو أنثى، شقيٌّ أو سعيدٌ؟ « ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ ﴾ » فإذا كان الجنين الذي يتخلق من نطفةٍ يسيرةٍ الله يعلمها ويرعاها حتى يخرج ذلك الجنين من بطن أمه، وقبل نفخ الروح فيه لا أحد يعلم هل هو ذكرٌ أم أنثى؟ ولا أحد يعلم هل هو شقيٌّ أو سعيدٌ؟ ولا أحد يعلم عن رزقه؟ ولا أحد يعلم عن أجله؟

فإذا أمر الله ﷻ بنفخ الروح فيه وبعث إليه الملك بكتب رزقه وأجله وعمله وشقيٍّ أو سعيدٍ زال علم الغيب هنا فالله بيَّنه.

وللطبِّ الحديث إذا عَرَفَ هل هو ذكرٌ أم أنثى نقول: قد زال علم الغيب بذلك، أما قبل نفخ الروح فيه فجميع الأطباء متفقون أنَّه لا يعرف هل هو ذكرٌ أم أنثى؟ فلا يعرفونه هل هو ذكرٌ أم أنثى إلاَّ بعد نفخ

الروح فيه، حتى الملائكة لا تعلم هل هو ذكرٌ أو أنثى قبل نفخ الروح فيه وهذا من كمال علم الله سبحانه، لذلك قال: « ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ ».

ففي الآيات السابقة إثبات علم الله تعالى لجميع المخلوقات في السماوات وفي الأرض، وما في ذرَّةٍ في الكون إلاَّ وعلمه مدركٌ لها - ﷻ -، وإذا كان كذلك يجب على العبد أنْ يراقب ربَّه لعلم الله به وبأفعاله وأقواله.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴾، **وَقَوْلِهِ:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾، **وَقَوْلِهِ:** ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾)

(**وَقَوْلِهِ:** ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴾)

ساق المصنفُ رحمه الله هذه الآية؛ لبيان صفتي: القدرة والعلم لله عز وجل.

(**وَقَوْلِهِ:** ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾) الاسم: القدير، والصفة: القدرة وهو سبحانه قديرٌ على كلِّ شيءٍ كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] فأمره بالكاف والنون، ولا يصح أنْ يقال: بين الكاف والنون وإنما بالكاف والنون.

(﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴾) في إثبات صفة العلم لله عز وجل وأنَّ علمه محيطٌ بكلِّ شيءٍ كما قال سبحانه في آية أخرى عن قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧] وهاتان الصفتان أوسع صفات الله عز وجل العلم والرحمة.

ثم قال: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾) - سبحانه وتعالى - ساقها المصنفُ لإثبات ثلاث صفات لله عز وجل وهي: الرزق، القوة، وإثبات المتين وما دلَّ عليه من صفة.

((﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾)) يعني: منه الرزق وجاء أيضاً اسم الرازق في السُّنَّة، والرازق والرزَّاق كلاهما اسماً والصفة منهما الرزق، والله ﷻ وعد برزق كلِّ دابةٍ في الأرض من إنسانٍ، أو بهيمٍ، أو طائرٍ أو غير ذلك كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

وأشرك الله ﷻ في ذلك الرزق المسلم والكافر فالله ﷻ وعد أيضاً برزق الكافر لكن في الآخرة يُحرِّم الله ﷻ على الكافر الرزق الذي في الجنَّة ويجعله خالصاً للمؤمنين كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا (يشترك فيها المسلم والكافر) خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ (للمؤمنين فقط)﴾ [الأعراف: ٣٢] ويستوي فيها أيضاً الظالم والمظلوم، والبرُّ والفاجر.

ولما ذكر الله ﷻ أنَّ الله هو الرزاق بيَّن أنَّ رزقه أتى من قوة، فقال: ((﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ﴾)) أي: صاحب القوة كما قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ﴾ [الشورى: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ١٦٥].

((﴿ ٱلْمَتِينُ ﴾)) يعني: الشَّديد فهو متينٌ في أفعاله سبحانه، ومتينٌ في أسمائه وفي صفاته ليس فيها ضعفٌ، ومتينٌ سبحانه في أقواله. هذا الاسم يأخذ منه ما دلَّ عليه من الصفة المتينُ: الـمِتَنُ لله سبحانه.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾) فيه ردٌّ على الممثلة (﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾) فيه ردٌّ على المعطلة، وأهل السُّنَّة أخذوا بطرفي الآية

بأولها وآخرها فقالوا: الله «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » وأثبتوا صفة السمع والبصر على ما يليق بجلال الله وعظمته « وَهُوَ السَّمِيعُ » فيه إثباتٌ لصفة السمع والله ﷻ لا يخفى عليه شيءٌ من أصوات عباده، السمع للأصوات كما قالت عائشة: « أتت المجادلة إلى النَّبيِّ ﷺ وما بيني وبينها إلاَّ حجاب وإن بعض كلامي يخفى عليَّ، والله ﷻ من فوق سماوته قال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾» والفعل سمع إذا كان لازماً فمعناه أجاب كقول المصلي إذا رفع من الركوع «سمع الله لمن حمده » أي: أجاب الله من حمده وشكره؛ لأنَّ هذا فعلٌ لازمٌ « سمع الله لمن » وإذا كان متعدياً فهو بمعنى السماع كما في قوله: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨١]. « الْبَصِيرُ » يعني: بالمرئيات فكلُّ ما يرى الله بصيرٌ به، وكلُّ ما يسمع الله يسمعه لا يخفى عليه شيءٌ قال سبحانه: ﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [هود: ٥].

ثم بعد ذلك قال: (﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾) أي: نِعْمَ الذي يعظكم الله به وهو القرآن العظيم قال سبحانه: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ [ق: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ (قال:) يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]، وخير ما يعظ به الواعظ نفسه وغيره هو بكلام الله.

(﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ ﴾) ولا زال؛ لأَنَّ كان منها ما يدل على المضيء، ومنها ما يدل على المضيء مع الاستمرار، وكان في أسماء الله تدل على المضيء والاستمرار (﴿ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾) ففيه إثبات صفة السمع والبصر لله على ما يليق بجلاله وعظمته.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ...)

ساق المصنفُ رحمه الله أربع آيات؛ لبيان صفتي: المشيئة والإرادة، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الإرادة والمشيئة قد ضلَّ فيها كثيراً من النَّاس، والسبب في ذلك في عدم تفريقهم بين الإرادتين كما سيأتي، والإرادة صفة من صفات الله عز وجل وهي تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: إرادة كونية قدرية. يعني: الله عز وجل أراد كوناً وقدراً أنْ يقع مثل: أنْ يشرب الرجل الخمر، أو أنْ يزني فلانٌ، الله أراد ذلك قدراً وكوناً؛ ليبتلي العباد. وهذه الإرادة عامة من وجهٍ كما سيأتي وخاصةٌ من وجهٍ.

والقسم الثاني: إرادة دينية شرعية. يعني: الله عز وجل أراد ذلك ديناً وشرعاً مثل: الصلاة، فالله عز وجل أراد أنْ يصلي المصلي. وهذه الإرادة بمعنى: المحبَّة، فكلُّ عملٍ أراده الله عز وجل ديناً وشرعاً فهو يحبه مثل: الصلاة والصوم وتلاوة القرآن وطلب العلم ... وهكذا.

أما الإرادة الكونية القدرية فهي عامة إذا كانت في المعصية فالله لا يحبها مثل: السارق، وتجتمع الإرادتان في حق الطائع، فالذي يصلي الله ﷻ أراد كوناً وقدراً أنْ يصلي، وديناً وشرعاً الله أراد أنْ يصلي وهو يحبها.

والإرادة الكونية القدرية بمعنى المشيئة، يعني: الله شاء أنَّ السارق يسرق، وشاء أنَّ فلاناً يُقْتَل ظلماً مثلاً، والإرادة الدينية الشرعية بمعنى المحبَّة هذا الفرق بين الإرادتين.

فلو قال شخصٌ لآخر: لماذا لا تصلي؟ فقال: الله أراد أنِّي لا أصلي ولأنَّه أراد أنِّي لا أصلي دلَّ على أنَّه يحب الذين لا يصلون! وبناءً على عدم التفريق كانت هذه من شُبه المشركين، قال سبحانه عنهم: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٣٥].

ولذلك ضلَّ كثيرٌ من النَّاس في عدم الاستقامة لا سيما من أهل الشرك؛ لأنَّهم يقولون: الله أرادنا مثلاً ديانة النصرانية؛ لأنَّ الله ﷻ أوجدنا هكذا نصارى، ولا أوجدنا هكذا نصارى إلاَّ نحب ذلك.

وأما صفة المشيئة فهي لا تنقسم وإنما مشيئة فقط بمعنى الإرادة الكونية القدرية لذلك قال المصنفُ رحمه الله في إثبات الصفتين: (**وَقَوْلِهِ:**) تعالى: (﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾) يعني: بستانك (﴿ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾) هنا

المشيئة (﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾) يعني: هلاَّ لما دخلت البستان قلت: أراد الله ﷻ بكرمه وفضله أنْ يكون البستان هكذا من الجمال، فهنا إثبات صفة المشيئة وهنا «﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾» ما هنا: مبتدأ يعني: هذا الذي شاءه الله.

قال: (﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾) هنا إثبات صفة المشيئة (﴿ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾) هنا إثبات المشيئة فقط (﴿ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾) إثبات الإرادة الكونية القدرية. فاستدل المصنفُ بهذه الآية؛ لبيان أنَّ الإرادة الكونية القدرية بمعنى المشيئة. «﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ ﴾» بينهما «﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾».

ثم بعد ذلك قال: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾) هذه إرادة دينية شرعية؛ لأنَّه لما بيَّن ماذا يحرم، وماذا يحلُّ قال: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾» إرادةً دينيةً شرعيةً أولها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ ﴾ [المائدة: ١] بحلِّ بهيمة الأنعام.

قال: (﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾) هنا إرادة دينية شرعية بمعنى المحبَّة (﴿ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ﴾) هنا إرادة كونية قدرية (﴿ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾) يعني: ضيق في التنفس (﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي

ﱡﭐ ﭐﱿ ﱠ) قيل: كأنك تأمره بأنْ يصعد إلى السماء فيضيق صدره، وقيل: أنَّ كلما ارتفع الشخص ضاق نفسه وكلا المعنيين صحيح.

فدلَّ على إثبات صفة المشيئة لله ﻷ، وللعباد مشيئة لكن مشيئة الله فوق مشيئة العباد كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الإنسان: ٣٠].

ولو قال شخصٌ: هل الإنسان مسيرٌ أم مخيرٌ؟ نقول: مسيرٌ ومخيرٌ هو يختار بأنْ يخرج من هذا الباب أو ذاك الباب، ومسيرٌ بمشيئة الله فالذي يشاءه هو الذي يقع، وأنت مخيرٌ تتزوج فاطمة أم أسماء أم عائشة لكن الذي يقع هو الذي يشاءه الله ﻷ.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾، ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾، ﴿ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾، ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ **...**)

ساق المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا سبع آياتٍ؛ لإثبات صفة المحبَّة لله جَلَّ وَعَلَا.

والمحبَّة إما أنْ تكون من الخلق وإما أنْ تكون من الخالق، فمحبَّة الخلق للخالق لا نزاع فيها فمن قال: إنِّي أحبُّ الله لم ينازع في ذلك أهل التَّعطيل، وإنَّما النزاع هو في إثبات محبَّة الله جَلَّ وَعَلَا لمن جاء النص في أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يحبهم، فنفى المعطلة أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يُحِب وأثبتوا أنَّه يُحَب.

ولذلك ساق المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبع آياتٍ؛ لبيان أنَّ الله يُحِب، فقال: (﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾) والمحسنُ: هو الذي أصلح ظاهره وباطنه، فمن أصلح ظاهره وباطنه فإنَّ الله تعالى يحبِّه - سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ -، وإذا أحبَّه الله جَلَّ وَعَلَا تأتي ثمرات المحبَّة من التوفيق والسداد والعمل الصالح ويثمر عملاً صالحاً آخر ... وهكذا.

قال: (﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾) يعني: العادلين، فالعادلُ يحبِّه الله جَلَّ وَعَلَا بل هم على منابر من نور عن يمين الرحمن - سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ -، والعدلُ سواء في البيت مع الأولاد، أو مع الأخوة، أو عدل المعلم مع طلابه، أو عدل

الزوج مع زوجاته، أو من كان صاحب دائرة مع موظفيه، وكذا العدل بين الأخصام عند القاضي، فكلُّ هذا من باب العدل، فمن عدل الله ﷻ يحبّه.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾) يعني: إذا استقام الكفَّار على عهدهم، فاستقيموا لهم بحفظكم للعهد، وإذا فعلتم ذلك فالله ﷻ يحبّ المتقين؛ لأنَّ من التقوى ألاَّ تنقض عهداً مع من تبغض إذا عاهدته.

ثم قال: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾) المراد به: من يكثر من التوبة وهكذا إذا أذنب المسلم ذنباً ولو يسيراً يجب عليه أنْ يتوب، ويدعو ربَّه بأنْ يغفر له وأنْ يتوب عليه، فالتوبة ليست من الذنوب العظيمة بل ولو من اليسيرة لذلك قال ابن القيم: « ويغفل عن التوبة ناسٌ كثيرٌ حتى ولو كان الشخص يذنب ذنباً ثم يعود إليه يجب عليه أنْ يتوب مرة أخرى » وما ذكره بعض أهل العلم بأنَّ هذا من اللعب والهزل بالدين فغير صحيح؛ لأنَّ الله أمر بالتوبة من كلِّ ذنب حتى ولو تكرر. فمثلاً: لو رأى شخصٌ امرأةً لا تحلُّ له يتوب، وإذا رأها من الغد يتوب ... وهكذا، (﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾) فيمن قام بواجبات الطهارة القلبية أو الظاهرة من الوضوء والغُسُل وغير ذلك.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾) يعني: إذا تركتم هذا الدين، فالله ﷻ سوف يأتي بغيركم، وهؤلاء أحسن منكم كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

« ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ﴾ » فيه إثبات المحبَّة من الله لمن ينصر دينه «﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ » ساق المصنفُ هذه الآية لزيادة « ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ » ؛ لبيان أنَّ الله ﷻ أيضاً يُحَبُّ فيصح أنْ تكون المحبَّة من الطرفين لكن المحمود هو أنَّ الله ﷻ يُحِبُّك. أما منْ يدَّعي المحبَّة ولا يعمل فهذا مذمومٌ.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾) يعني: أنَّ الله ﷻ يُحِبُّ المقاتلين الذين صفوفهم في القتال مستقيمةً كاستقامة صفِّ الصلاة؛ لأنَّ هذا قوة على الأعداء.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾) هذه إثبات المحبَّة من الخلق للخالق (﴿ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾) إثبات أنَّ الله يُحِبُّ من امتثل أوامره.

وهذا من عظيم صفات الله أنَّ الله يُحِبُّ عباده الذين جاءت النصوص أنَّهم يحِبُّهم، ونستفيد من ذلك: أنَّ المتَّقي والمحسن والصَّالح يزداد من الصَّلاح والإيمان والاستقامة ليحبَّه الله ﷻ؛ لأنَّ الله يُحِب.

ثم بعد ذلك قال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾) ساق المصنف رحمه الله هذه الآية لإثبات صفة الرضى لله عز وجل.

الرضى صفة تليق بجلال الله وعظمته، ونقول: الرضى معلومٌ، والكيف مجهولٌ، ولا نأول بإعطاء الثواب مثلاً أو بدخول الجنَّة، والرضى أعظم من لذَّة النظر إلى وجه الكريم؛ لأنَّ الله عز وجل لما رضي عن عباده المؤمنين أذن لهم بالنظر إلى وجهه الكريم، لذلك قال سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [التوبة: ٧٢] يعني: أكبر نعيماً وفضلاً من دخولهم الجنَّة.

وهناك صفة لم يذكرها المصنفُ وهي صفة الخلَّة وهي أعلى منازل المحبَّة، ولم يأت نصٌ أنَّ الله قد خالل أحداً من خلقه سوى خليليه: إبراهيم عليه السلام، ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام فقال عن إبراهيم: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم: « وإنَّ الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً » . إذاً الله عز وجل يُحِبُّ ويرضى ويخالل وخالل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم عليه السَّلام.

وكلُّ هذه الصفات الثلاث على ما يليق بجلال الله وعظمته، ويصح للمسلم أنْ يقول لأخيه: هذا خليلي.

أما نبينا محمد ﷺ فقد امتلئ قلبه بمحبَّة الله؛ فانصرف جميع قلبه لله لذلك قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ» لكن قلبي كلُّه ممتلئ لله لذلك قال: «وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي» وتبيَّن بهذا أنَّ المسلم كلَّما أكثر من العبادات والطاعات نال الثواب العظيم في رضى الله ﷻ ومحبته.*

قال رحمه الله: (وَقَوْلِهِ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾، ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾، ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾،﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾)

ساق المصنفُ رحمه الله ست آياتٍ؛ لإثبات صفة الرحمة لله عز وجل.

فقال: (وَقَوْلِهِ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾) دلَّ على صفة الرحمة اسمان عظيمان: «الرحمن والرحيم» والرحمن: يدل على معناً متعلقٌ بذاته سبحانه، والرحيم: يدل على معناً يصل إلى المخلوق، فالله رحمان ورحمته تصل إلى المخلوق.

الرحمن: اسم قائمٌ بذاته - سبحانه وتعالى - متعلقٌ به، والرحمن أيضاً اسم قائمٌ بالله عز وجل لكن رحمته موصولة إلى خلقه يدل على ذلك: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٣] متعلقة بالعباد كما سيأتي.

وهذه الآية أو جزء من الآية وهي: ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النمل: ٣٠]، تدلُّ على إثبات ثلاث أسماء لله عز وجل « الله، والرحمن، والرحيم » وتدلُّ على إثبات صفتين « الألوهية، والرحمة » .

فإذا قيل: ما معنى الرحمة؟ نقول: الرحمة معلومة، ولا يجوز تفسيرها بإرادة الإنعام، أو الثَّواب، أو الإحسان وإنما نثبت الرحمة لله، الله عز وجل يرحم - سبحانه وتعالى- والرحمة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: صفةٌ متعلقةٌ بذاته - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

القسم الثاني: رحمةُ الله عَزَّ وَجَلَّ خلقها، وهذه الرحمة خلق منها مئة رحمة كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا .. قال: فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ» فالأولى: ليست مخلوقة، والثانية: الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي خلقها، وكما قال عَزَّ وَجَلَّ في الحديث القدسي أيضاً عن الجنَّة: «أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي» هذه رحمة مخلوقة.

والرحمة أوسع صفات الله عَزَّ وَجَلَّ قال سبحانه: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً ﴾ [غافر: ٧] وقال: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» ، قال سبحانه: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] فالرحمة سبقت العذاب.

قال: (﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾) فأوسع صفة الرحمة، وأيضاً العلم لكن الذي يصل إلى العباد يختص بهم الرحمة، أما العلم فهو عائدٌ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وحده.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾) أي: أنَّ اسم الرحيم يتعلق بالمخلوقين، صفة رحمة موصولة للعباد. والكافر يرحم في الدنيا مع المؤمن أما في الآخرة فلا يرحم إلاَّ المؤمن.

قال: (﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾) يعني: كتب كتاباً تفضل به على نفسه على عباده - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، فالله كتب أنَّه رحيمٌ، والسَّعيد من انتفع برحمة الله سبحانه باتخاذ أسبابها. من أعظم أسبابها طاعة الله ورسوله كما قال سبحانه: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

قال: (﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾) أيضاً لإثبات صفة الرحمة لله عَزَّ وَجَلَّ، كما فيها إثبات صفة المغفرة «الغفور».

قال: (﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ﴾) يعني: الله عَزَّ وَجَلَّ خير الحافظين في أمرين:

الأمر الأول: يحفظ العمل الصالح فلا يضيعه، كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «احفظ الله يحفظك» فعملك الصالح يحفظه ويدَّخره لك.

الأمر الثاني: حفظ الله لعبده من الشرور، كما قال سبحانه: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١].

قال: (﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾) هذه صيغة تفضيل، يعني: هناك من يرحم ولكن الله أرحم منهم، ومن الذين يرحمون الخلق لكن الله عَزَّ وَجَلَّ أرحم من الخلق كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «للهُ أرحم بخلقه من الوالدة بولدها».

فدلَّ أنَّ الله أرحم من الخلق، ودلَّ على اتساع صفة الرحمة، ودلَّ على أنَّ المنتفعين بها في الدنيا والآخرة هم المؤمنون، ودلَّ على أنَّ الملائكة تتوسل

إلى الله ﷻ بمغفرة ذنوب المؤمنين برحمته في قوله: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ [غافر: ٧]، ودلَّ على أنَّه يشرع في كلِّ بداية كتابٍ تأسياً بالأنبياء أنَّ يستعان بأوسع صفاته سبحانه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾. **وَقَوْلِهِ:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾. **وَقَوْلِهِ:** ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ ...)

هذه خمس آياتٍ ساقها المصنفُ فيها: سبع صفاتٍ.

قال: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾) - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - (﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا﴾) أي: خلوداً طويلاً وليس مأبداً إذا كان القاتل مسلماً لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، والموحدُ باتفاق أهل العلم مآله إلى الجنَّة.

(﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾) هذه الصفة الأولى: وهي إثبات صفة الغضب لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته، وغضب الله عز وجل يشتَّد في المحشر كما في حديث: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ» ففيه إثبات الغضب لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته.

(﴿وَلَعَنَهُۥ﴾) هذه الصفة الثانية: فيه إثبات صفة اللَّعن لله عز وجل بالقول، يعني: الله عز وجل بقوله يلعن لعنت فلاناً وفلاناً - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، واللَّعن كما هو معلومٌ الطرد والإبعاد عن رحمة الله عز وجل.

قال: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾) الشاهد: « مَا أَسْخَطَ اللَّهُ » فيه إثبات صفة السخط لله عز وجل كما يليق

بجلاله وعظمته، فهو يسخط على من يستحق السخط، وهو من الصفات الفعلية.

قال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾) الصفة الرابعة: آسَفُونَا فيه إثبات صفة الأسف لله ﷻ، والمراد بالأسف هنا: الغضب، ويرد الأسف في اللغة ويراد به الحزن ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٤]، وكما قالت عائشة: «إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ رقيقٌ» يعني: حزين وبكَّاء. والحزن لا يوصف فيه الله ﷻ، وإنَّما يوصف بالمعنى الأول وهو الغضب «﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾» .

الصفة الخامسة: (﴿ ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾) ففيه صفة الانتقام لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته - سبحانه وتعالى -، فمن صفاته أنَّه ينتقم.

قال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾) الصفة السادسة: إثبات صفة الكُرْه لله ﷻ، وجاء النص بأنَّ الله يكره بعض الأفعال مثل: «﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾ » وكقوله سبحانه: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٨].

وجاء أنَّ الله ﷻ يكره أشخاصاً كما في الحديث: «وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ» فَمَنْ أكثر من قيل وقال يكره صاحبه، والله ﷻ يحِبُّ أيضاً المتقين ولا يكرههم، ويكره الكافرين ويكره الظالمين.

قال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾) الشاهد: ((مَقْتًا)) فيه إثبات صفة الـمَقْت لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، والـمَقْتُ: شدَّة البغض وممن يمقتهم الله الذين يقولون ما لا يفعلون. وجميع هذه الصفات تثبت لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته - ﷻ -.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ...)

ساق المصنفُ رحمه الله أربع آياتٍ؛ لإثبات صفة الإتيان والمجيء لله عز وجل إتياناً حقيقياً لا يعلم كيفيته إلاَّ الله سبحانه.

قال: (﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ ﴾) يعني: مع ظللٍ ولا يجوز أنْ يقال: في ظرفية بمعنى أنَّ الله في داخله ظلل، ظلل يعني: سحاب الأبيض ولا يكون معناه: أنَّ الله داخل السحاب الأبيض؛ لأنَّ الله كبيرٌ ما يحويه شيءٌ - سبحانه وتعالى- والمراد: «﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾» ومع إتيانه تأتي السحاب الأبيض مع الله عز وجل، وهي سحاب ليست كالسحاب الأسود الذي فيه العذاب. (﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾) يعني: هل ينظرون إلاَّ إتيان الملائكة (﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾) وذلك بفصل القضاء بين العباد.

فدلَّ على إثبات الإتيان لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته، ومنه قوله عليه الصَّلاة والسَّلام في الحديث القدسي: «وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» ففيه إثبات الهرولة لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته، ولا يجوز أنْ تأول بإعطاء الثَّواب أو الأجر ونحو ذلك من التَّأويلات الباطلة.

قال: (﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾) لنزع الروح (﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾) للفصل بين العباد (﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾) فسَّرها النَّبيُّ ﷺ في البخاريِّ ومسلم: « بِطُلوعِ الشَّمسِ مِنْ مَغْرِبِهَا »

والشاهد: «﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾» فيه إثبات صفة الإتيان لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته - سبحانه وتعالى -.

الآن آيتان في إثبات صفة الإتيان، والآية الثالثة في إثبات صفة المجيء، قال: (﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾) وهذا يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه: ١٠٥ – ١٠٧]. تُدَكُّ دكًّا.

(﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾) للفصل بين العباد « وَجَاءَ رَبُّكَ » فيه إثبات صفة المجيء لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، ولا يُثْبِتُ صفة المجيء سوى أهل السُّنَّة ولهذا إذا أردت أنْ تعرف أنَّ صاحب التفسير من أهل السُّنَّة أم لا؟ فانظر إلى تفسير هذه الآية إذا قال: وَجَاءَ رَبُّكَ قال: « مجيئاً كما يليق بجلاله وعظمته » فهو من أهل السُّنَّة، وغير أهل السُّنَّة يفسرنها بالأمر فيقولون: « وَجَاءَ أَمْرُ رَبْكِ » فإذا رأيت التفسير بهذا فهو ليس من أهل السُّنَّة، ولا يصح أنْ يفسر المجيء بالأمر؛ لأنَّ أمر الله ﷻ يأتي في كل حينٍ وليس في يوم القيامة فقط، كما قال سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] – سبحانه وتعالى –.

ثم بعد ذلك ذكر الآية الرابعة وفيها إثبات الصفتين: المجيء والإتيان قال: (﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾) يعني: تتشقق السماء ويأتي الربُّ ﷻ ومعه الغمام السحاب الأبيض، ويأتي ﷻ للفصل بين العباد (﴿ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾) مع الله يأتون وجاء في الحديث: أنَّهم يحيطون بالخلق؛ لئلا يفروا من المحشر قال سبحانه: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ٣٣ ﴾ [الرحمن: ٣٣] بشدَّة الهول ما يرون يريدون أنْ يفروا فيرون الملائكة تصدوهم من ذلك الموقف العظيم.

ولم يذكر فيه صفة نزول الله ﷻ لكن المعنى يدلُّ عليه من الآيات السابقة تتنزل الملائكة، وتتشقق السماء، ويأتي الظلل، والمراد: والله ﷻ يأتي ففيه إثبات هاتين الصفتين لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته، كيف يأتي؟ الله أعلم. كيف يجيء؟ نقول: الله أعلم. كيف يهرول؟ نقول: الله أعلم.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾. **وَقَوْلِهِ:** ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾)

ساق المصنفُ رحمه الله لإثبات صفة الوجه لله عز وجل آيتين اثنتين.

الآية الأولى قال: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾) الوجه: من الصفات الذَّاتية لله عز وجل وهذه الآية قبلها: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧] بعد النفخ في الصور.

قال: كلُّ من كان على الأرض يموت سوى وجه الله، وعُبِّر بالجزء ويراد به الكلُّ أي: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى كُلُّ شَيءٍ فِي اللهِ عز وجل، ولا يقال: سوى وجهه بل هذا من الجزء ويراد به الكلُّ، ولا يجوز أنْ يأول الوجه هنا بالقدرة، فالقدرة صفة والوجه صفة، ولا تضم صفة إلى صفة لجحد صفة أخرى فعند العرب الوجه وجه والقدرة قدرة، وفي الحديث: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» - سبحانه وتعالى -.

قال: (﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾) أيضاً في ذلك الموقف، فكلُّ شيءٍ يَهلك من المخلوقات إلاَّ وجه الله عز وجل، ففيه إثبات صفة الوجه لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته.

وهو سبحانه جميلٌ يُحِبُّ الجمال يعني: وجهه لا أجمل منه. ولهذا أعظم نعيمٍ لأهل الجنَّة ليس ما فيها من الملذَّات والمآكل والمشارب والأنهار، وإنما أعظم نعيمٍ فيها النظر إلى وجه الله ﷻ قال سبحانه: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس: ٢٦] فسَّر النَّبيُّ ﷺ الزيادة: بِالنَّظَرِ إلى وجه الله الكريم، وفي الحديث: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ، قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ» لأنَّ جمال وجه الله أجمل من أنهار الجنَّة وأجمل من الحور العين وغيرها، ولأنَّ النفوس تتشوف إلى الوجه الذي خلقها وهو الله ﷻ، وإذا استشعر المؤمن أنَّه يعمل العمل الصالح ليرى ربَّه هذا من أعظم النعيم.

ثم بعد ذلك ساق المصنفُ رحمه الله لإثبات أيضاً صفةً من الصفات الذَّاتية لله ﷻ، فقال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾، ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾) ساقها لإثبات صفة اليدين لله ﷻ آيتين اثنتين.

قال: (﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾) أي: يا إبليس من السجود (﴿ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ ﴾) وهو آدم (﴿ بِيَدَيَّۖ ﴾) ويديَّ في هذه الآية مثنى، فدلَّ على أنَّ لله ﷻ يدين اثنتين تليقان به سبحانه إحداها: يمينٌ والأخرى: شمالٌ، وفي الحديث المتفق عليه: «يَطْوِي اللَّه ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ

الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ - وفي رواية: يأخذهن بيده الأخرى - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟» وفي الحديث الآخر أيضاً في الصحيح: «وَكِلْتَا يَدَي الله ﷻ يَمِينٌ» سبحانه، ولا يصح أنْ تفسر اليدان بالقوة؛ لأنَّنا لو قلنا: أنَّ المراد بها القوة لكانت لله قوتين، وهذا لا يصح بل الله ﷻ قال: ﴿ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [البقرة: ١٦٥] فليست قوتين ولا ثلاثة.

الأمر الثاني: إذا فسَّرناها بالقوة معناه مثَّلنا قوة الله ﷻ بقوة الخلق، فالذي فرَّوا منه من خشة المشابهة لليدين لله ليدين البشر وقعوا فيه بتشبيههم لقوة الله بقوة البشر، وإذا أثبتنا الصفة كما تليق بجلاله وعظمته زال الإشكال، وكذا قوله سبحانه: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ [الفتح: ١٠] هذه حقيقة لا مجازاً أنَّ يد الله ﷻ فوق يد الصحابة لما بايعوا النَّبيَّ ﷺ في بيعة الرضوان، ولا يجوز أنْ تأول بالنَّعمة فليست لله نعمةٌ واحدةٌ بل له نِعَمٌ كثيرةٌ سبحانه.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾) هنا ليس في صدر هذه الآية تثنية اليدين وإنما الإفراد «يَدُ اللهِ» لكن في لغة العرب أنَّ المفرد إذا أُضِيفَ يراد به الجمع مثل قولك: «هَذَا مَبْلَغُ زَيْدٍ» وهو ليس ريال واحد وإنما مبالغ كثيرة.

ثم بعد صدر هذه الآية أتى بالمثنى: (﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾) - ﷻ - فدلَّ أنَّ لله ﷻ يدين اثنتين كما تليق بجلال الله وعظمته.

وثبت في صحيح البخاري ومسلم خمسة أصابع لله ﷻ كما في الحديث: «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ» خمسة أصابع، وثبت أيضاً في الصحيح أنَّ لله ﷻ أنامل كما في الحديث القدسي: «وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الْأَعْلَى؟» فدلَّ على أنَّ لله ﷻ أنامل كما تليق بجلاله وعظمته، وأيضاً جاء أنَّ الله ﷻ يكتب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: « كتب الله التوراة بيده » وكلُّ ذلك كما يليق بجلال الله - ﷻ - وعظمته.

قال: (﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾) أي: بالعطاء والبذل (﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾) وأما قوله سبحانه: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧] فالمراد في هذه الآية: باتفاق أهل السُّنَّة وغيرهم أي: القوة؛ لأنَّ الله ﷻ لم يقل: ((بِأَيْدِينَا)) وإنما قال: « بِأَيْيْدٍ » يعني: بقوةٍ، وأيضاً صفة الأيدي الكثيرة صفة قبحٍ وليست جمال، ولهذا فلم يقل أحدٌ بأنَّ هذه الآية فيه إثبات صفة اليد لله ﷻ وإنما المراد: « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِقُوَةٍ وَإِنَّا لَمُوْسِعُونَ » .*

قال رحمه الله: (وَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾، ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾)

ذكر المصنفُ رحمه الله هنا ثلاث آياتٍ؛ لإثبات صفة العينين لله عز وجل. وهذه الثلاث الآيات اثنتين منهما فيها إثبات صفة الجمع للأعين، وآية ثالثة بالإفراد كما سيأتي.

قال: (وَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾) هنا الجمع للأعين، ولله عز وجل عينان اثنتان كما تليق بجلاله وعظمته جاءت السُّنَّة مُصرِّحةً بذلك كما في صحيح البخاريِّ في صفة الدَّجال قال: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» والعَوَرُ لا يكون إلاَّ لمن له عينان اثنتان، فلا يكون العَوَرُ في عينٍ واحدةٍ ولا يكون العَوَرُ في الثلاث.

وهنا قال: « بِأَعْيُنِنَا » بالجمع وتوضيح ذلك: أنَّ أقل الجمع عند العرب اثنان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

والجواب الثاني: أنَّ هذا الضمير « نا » أؤتي به تعظيم كقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩]. وقد اتَّفق أهل السُّنَّة على أنَّ لله عينين اثنتين.

وقوله سبحانه: « بِأَعْيُنِنَا » أي: بمرأى منَّا وهذه الرؤية منَّا بأعيننا لك، ومن لوازم تلك الرؤية بالعين الإشفاق والعطف ونحو ذلك، فأهل

السُّنَّة يثبتون أنَّ الله ﷻ يرى بعينين، وأهل التحريف يقولون: أنَّ الله يرى لكن ليس بعينين؛ لأنَّهم يقولون: لو أثبتنا أنَّ لله عينين لشبَّهنا ونحن نقول: لله عينان تليق بجلاله وعظمته ليست كعينيِّ البشر. وإذا قيل كيف هذه العينان؟ نقول: الله أعلم. فنفوض الكيف ونكله إلى الله - سبحانه وتعالى - ؛ لأنَّ الله ﷻ أخبرنا أنَّه يرى بعينين ولم يخبرنا كيف تلك العينان.

ثم قال: (﴿ وَحَمَلْنَٰهُ ﴾) أي: نوح (﴿ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾) يعني: مسامر لما عمَّا طوفان الأرض (﴿ تَجْرِى ﴾) أي: سفينة نوح (﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾) أي: بمرأى منَّا نراك يا نوح أنت ومن معك في الفلك نراك بأعيننا، في حديث ابن عباس: « أنَّ النَّبيَّ عليه الصلاة والسلام لما نزلت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨] وضع سبابتيه على عينيه » فدلَّ على أنَّ لله عينين اثنتين - سبحانه وتعالى -.

وهنا « بِأَعْيُنِنَا » يجاب عنها كما في الآية السابقة إما للتعظيم كما في مطلع الآية التي قبلها « وَحَمَلْنَاهُ » والحمل هو الله، فما قال: « وَحَمَلْتُهُ » فأؤتي بضمير « نا » للتعظيم «وَحَمَلْنَاهُ» للتعظيم فهنا أقل الجمع اثنان.

ثم قال: (﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾) هنا أُتي بالعين مفردة، وعند العرب إذا أضيف المفرد فإنَّه يعمُّ مثل لو تقول: عندي في البيت - بحمد الله - كتاباً وتقصد كتب، وتقول: هذا مبلغي وفي جيبك مبالغ

كثيرة ... وهكذا. وأتت السُّنَّة بتفصيل ذلك وتوضيحه بأنَّ لله ﷻ عينان تليقان بجلاله وعظميته.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ ﴾، ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾، ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ ...)

ساق المصنفُ رحمه الله لإثبات صفة السمع أربع آياتٍ:

الآية الأولى قال: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾) هذا إثبات صفة السمع بصيغة الماضي، والله جل وعلا يسمع سمعاً حقيقياً ولا نعلم كيف يسمع؟ وسبق أنَّ الله جل وعلا يرى وجاء النص أنَّه يرى بعينيه - سبحانه وتعالى -، أما السمع نقول: يسمع ولا نثبت غير ذلك فلا نقول: يسمع بأذن أو بأذنيه - تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ -؛ لأنَّ الله أخبرنا بأنَّه يسمع ولم يخبرنا كيف يسمع؟ والبصر أخبرنا الله جل وعلا بأنَّه يرى بعينيه ولم يخبرنا كيف يرى بعينيه؟

فقوله: « ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾ » هذا في الماضي وسمعه - سبحانه وتعالى - ليس كسمع المخلوقين، فعائشة رضي الله عنها قالت: « أتت المجادلة إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم تشتكي زوجها، وليس بيني وبينها سوى حجاب - يعني: قماش - قالت: وإنَّه يخفى عليَّ بعض كلامها، والله جل وعلا سمعها فوق سبع سماوات فقال: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ... ﴾ ».

(﴿ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ ﴾) فيه إثبات صفة السمع في فعل المضارع ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ إثبات صفة السمع بصيغة

اسم الفاعل، وقال الشَّيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «ولا يصح أنْ نجعل صفة السمع من صفات الله عز وجل الذَّاتية».

ثم قال: (﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾) هذا فيه إثبات صفة السمع، وساقها الله عز وجل هنا لتهديد اليهود بأنَّ مقالتهم لم تخف على الله - سبحانه وتعالى -.

ثم قال: (﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ﴾) فيه إثبات صفة السمع (﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾) يدل على إحاطة سمع الله عز وجل لجميع المخلوقات - سبحانه وتعالى -، وهو سبحانه سمع تسبيح يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت في ظلمات البحر، وهو سبحانه فوق سماواته سمع ذلك.

قال: (﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾) هذا فيه إثبات صفة السمع للمؤمنين وسمعه للمؤمنين إذا قيل لهم ذلك؛ لتأييدهم ولتقويتهم فإذا قلت: سنذهب إلى الرجل الظالم والله عز وجل سوف يسمع كلامنا وكلامه، ففيه تعلقٌ بالله عز وجل فالله قال لموسى وهارون: «﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ﴾» كلامكما وكلامه - يعني: فرعون - «﴿وَأَرَىٰ﴾» يعني: أراكما وأراه، ففي ذلك توكل على الله عز وجل.*

قال ﷺ: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾، ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾، ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾)

ساقها المصنفُ ﷺ؛ لإثبات: رؤية الله ﷻ لعباده ثلاث آياتٍ.

الآية الأولى قال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾) وهذا على سبيل التهديد لمن منع المصلي أنْ يصلي ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾ [العلق: ٩ – ١٠] إلى أنْ قال: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ ففيه إثبات رؤية الله ﷻ لعباده، وهو يرى الكافر والعاصي وهذا تهديدٌ لهما، ويرى أيضاً المؤمن واستشعار أنَّ الله ﷻ يرى المؤمن يدعوه إلى إخلاص العمل لله - سبحانه وتعالى -.

قال: (﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾) فيه إثبات رؤية الله ﷻ للعابدين، فالآية الأولى: أنَّ الله يرى الكافرين تهديداً لهم، وهنا يرى المؤمنين ترغيباً لهم بأنْ يعبدوه لا سيما في تهجد اللَّيل لذلك قال: (﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾) .

الآية الثالثة: لإثبات أنَّ الله يرى أعمال العاملين فقال: (﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾) ففيه إثبات أنَّ الله ﷻ يرى ويبصر كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥].*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾. **وَقَوْلِهِ:** ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾، ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾. **وَقَوْلِهِ:** ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾)

ساق المصنفُ رحمه الله هنا أربع آيات لإثبات ثلاث صفات لله جل وعلا.

قال: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾) المِحَالُ: ورد في تفسيرها أمران:

الأمر الأول: « وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ » أي: القوة من المماحلة وهو مرويٌّ عن السلف.

والتفسير الثاني: « وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ » أي: المكر وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والآيات التي سَلْسَلَها المصنفُ هنا كأنَّه يشير إلى المعنى الثاني، وهو شديد الحيلة والمكر وليس المراد القوة، فعلى القول الأول وهو شديد القوة فيه إثبات القوة لله جل وعلا، وعلى القول الثاني وهو شديد المكر فيه إثبات المكر لله جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته كما سيأتي، وهذه الصفة لا تُثْبت لله جل وعلا على إطلاقها؛ لأنَّها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: إما أنْ تكون ذماً وهو المكر بشخصٍ غافلٍ وهذا ذمٌّ.

القسم الثاني: مكرٌ محمودٌ وهو المكر بالماكرين وهذا الذي يثبت لله جل وعلا بأنْ تقول: الله جل وعلا يمكر بالماكر، أو تقول: الله جل وعلا خيرُ الماكرين كما قال عن نفسه: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ولا يجوز أنْ يقال:

الله ماكر - تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ - وإنما على التفصيل السابق الله ماكرٌ بالماكر. وهنا « وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ » نقول: الله شديد المكر أي: بالماكر.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ وَمَكَرُواْ ﴾) المكر: هو فعل الأسباب الخفية للإضرار بالآخر (﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾) فيه إثبات صفة المكر لله ﷻ وهو من الصفات الفعلية لله تعالى، وإثبات تلك الصفة على التفصيل السابق لا يجوز إثباتها على الإطلاق وإنما بالتقييد، أو بأنْ يقال: (﴿ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾) - سبحانه وتعالى -.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾) كالآية السابقة من باب المقابلة مكروا فمكرنا.

والآية الرابعة قال: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا * وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾) فيه إثبات صفة الكيد لله ﷻ بالكائد، فمن يكيد لرسله أو لعباده الصالحين الله ﷻ يكيد به، والكيد من صفات الله ﷻ الفعلية والتفصيل فيها كالتفصيل في المكر فنقول: الله يكيد للكائد، أو نقول: الله خيرُ الكائدين، ولا يجوز أنْ نقول: الله كائد على إطلاقها، وإذا كان الكيد في الخير فهذا صفة مدحٍ كما قال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ ﴾ [يوسف: ٧٦] كدنا له وحققنا له ما يريد مع إخوته.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾. **وَقَوْلِهِ:** ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. **وَقَوْلِهِ:** ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾)

ساق المصنفُ رحمه الله هنا أربع آياتٍ لإثبات خمس صفات لله عز وجل.

قال: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾) في هذه الآية إثبات صفتين لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته.

الصفة الأولى: العفو.

والصفة الثانية: القدرة.

والعفو يكون غالباً في سبب ترك واجبٍ، والمغفرة تكون غالباً في سبب فعل المعاصي، فمن صفات الله أنَّ الله يعفو إنْ ترك العبد شيئاً من الواجبات، ومن صفات الله عز وجل أنَّ الله قديرٌ على معاقبة العبد بل قديرٌ على كلِّ شيءٍ.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾) في هذه الآية إثبات صفة المغفرة لله عز وجل أي: عدم المآخذة بالذنب والستر عليه. والصفة الرابعة: إثبات الرحمة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته.

ثم بعد ذلك ساق الصفة الخامسة: وهي صفة العزة فقال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ ﴾) أي: المطلقة من القدرة والقهر والسلطان لذلك قال لما أهلك الله الأمم : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩١] كما في سورة الشعراء، فبعزته هلك الأمم الكافرة.

(﴿ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾) كذلك العزة لرسوله عليه الصَّلاة والسَّلام لكن العزتان تختلف، فتختلف عزة الخالق بالمخلوق فللّٰه عزة تليق بجلاله وعظمته، وللنبيِّ ﷺ عزة تليق بحاله عليه الصَّلاة والسَّلام، وليست عزته كعزة الله؛ فالنَّبيُّ ﷺ اختفى في الغار، وحُصِرَ في الشِّعْب؛ فدلَّ على أنَّ عزته ليست كعزة الله.

(﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾) كذلك العزة للمؤمنين لكن ليست كعزة الله، وهم في عزةٍ ما تمسكوا بالدين وإنْ ابتعدوا عنه نالهم من الذِّلة بقدر بعدهم عن الدين قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] يعني: ضعفاً؛ فدلَّ على أنَّ عزة المؤمن ليست كعزة الله مطلقه.

ثم قال: (﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾) هذا قول إبليس، أَقْسَمَ بعزة الله أنَّه سيغوي جميع البشر إلاَّ المخلصين منهم، ففيه هذا إثبات صفة العزة لله ﷻ وأقسم بالعزة؛ لأنَّ الله ﷻ بعزته يمنع تسلط السلطان على المؤمن.

وفي الآية أيضاً إثبات أنَّ إبليس يثبت الصفات لله ﷻ على خلاف الجهمية والمعتزلة فهم شرٌّ منه في ذلك، ويدلُ أيضاً أنَّ إبليس يعظِّم ربَّه في نفسه لكنه عدوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين حيث أقسم بالله ﷻ.

ويجب على المسلم أنْ يجعل قَسَمَ إبليس بين عينيه؛ فيتذكر ألاَّ يوقعه في إضلاله فهو يقول للربِّ: أُقْسِمُ بالله أنِّي سوف أضل هذا وهذا وهذا، فأسعى إلى عدم إِبْرَارِ إبليس بقسمه عليك.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾. **وَقَوْلِهِ**: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾، ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾.)

ساق المصنفُ رحمه الله خمس آياتٍ لإثبات الاسم لله عز وجل، ونفي المثيل عنه.

قال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ تَبَارَكَ ﴾) تبارك في اللغة: أي: تَعَاظَمَ وَتَعَالَى (﴿ ٱسْمُ رَبِّكَ ﴾) اسم مفرد مضاف، والمراد به: أي: أسماء الله، أي: تباركت وعلت جميع أسماء الله وهو سبحانه (﴿ ذِى ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾) فدلَّ على إثبات الاسم لله، فنثبت اسماءً لله على ما يليق بجلاله وعظمته.

ثم بعد ذلك شرع في ذكر آيات؛ لبيان أنَّ الله ليس كمثله شيءٌ فنثبت صفاتٍ له كما تليق بجلاله وعظمته كما أثبتنا له أسماء.

فقال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِۦ ﴾) يعني: اصبرْ صبراً شديداً على عبادة الله (﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾) يعني: هل تعلم أحداً يساميه - سبحانه وتعالى - في ذاته وفي أسمائه وفي أفعاله؟ لا؛ فدلَّ على أنَّ الله لا يشبه أحداً كما قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، وقال أيضاً: (﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾) يعني: ليس لله أحدٌ يكافئوه. فالأول: ليس أحدٌ مسامٍ له، والثاني: ليس له أحدٌ كفؤ مماثل له. فالآية الأولى: ليس له أحدٌ مساوياً له، والثانية: ليس له أحدٌ مثله لو أقلَّ منه.

ثم قال: (﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾) يعني: لا تجعلوا لله من عندكم شيئاً يماثله من الأصنام والأولياء وغيرهم، فليس لله أحدٌ يساميه ولا أحدٌ مثله، وأنتم كذلك لا تجعلون شيئاً مثل الله ﷻ؛ فالله لا أحد مثله ولا يساميه.

ثم بعد ذلك ذكر آية أنَّ الله يذم من يُحِبُ الأنداد كحُبِّ الله فقال: (﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾) فساقها؛ لبيان ذمُ من اتخذ لله أنداداً، فقال: لا تجعلوا لله أنداداً ويا ويحاء من اتخذ لله أنداداً، فدلَّ على أنَّ الله ﷻ لا أحد يماثله في صفاته - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾)

لما ذكر المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآية في بيان هل تعلم له سميًا أنَّ الله ﷻ لا يسميه أحدٌ، ولا يكافئوه أحدٌ، وليس له ندٌّ، وأنَّ أسماؤه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - على الكمال، ذكر بعد ذلك ستَّ آياتٍ فيها إثبات الكمال لله، ونفي النقائص عنه؛ لأنَّه لا سميَّ له ولا كفؤ له ولا ندَّ له - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وأنَّ أسماؤه بالغةٌ في العظمة والبركة.

ساق ستَّ آياتٍ أولها قوله: (﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾) سمَّى بعض أهل العلم هذه الآية: آية العز؛ لأنَّ فيها إثبات الكمال لله والعزة له وهو أهل لذلك سبحانه.

قال: « ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ ﴾ » هنا فيه إثبات الحمد لله لكماله سبحانه، «﴿ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ » هذا نفيٌّ مجملٌ المقصود به غير المراد وهو إثبات الصَّمديِّة لله ﷻ وغناه عن غيره.

« ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ » لكمال صفاته وأفعاله - ﷾ - وكمال قدرته، فليس له شريكٌ في الملك ويدلُّ على كماله، وننزهه عن النقائص وأعظم ذلك الشرك به سبحانه.

« ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ » هذا من النفي المجمل؛ لإثبات غنى الله ﷻ عن المخلوقات جميعاً « وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ » يعني: ليس له أولياء اتَّخذهم؛ لأنَّه ذليلٌ ليتقوى بهم وإنما اتَّخذ سبحانه من عباده أولياء محبَّةً لهم ورحمةً بهم، وهم اتَّخذوه سبحانه ولياً للخضوع له والذِّلِ له سبحانه.

« ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ » أي: أيقن وتلفظ بأنَّ الله لا أكبر منه، وفي ذلك نفيٌّ الضعف عنه سبحانه وإثبات الكمال لله بأنَّ الله أكبرُ من كلِّ شيءٍ.

ثم بعد ذلك قال: (﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ ﴾) هذه فيها نفي النقائص عن الله، فيُسَبِّحُ يعني: أنزه الله عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، فكلُّ (﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾) ينزهه عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، ونحن معهم في ذلك ننزه الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - من كلِّ عيبٍ ونقصٍ (﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾) لكمال صفاته وقدرته وأسمائه وصفاته، (﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ﴾) على ذلك (﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾).

والمصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسوق مثل هذه الآيات؛ لبيان نفي النقص عن الله في: التشبيه، والتعطيل، والتمثيل، والتحريف.

وساق المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عشر آياتٍ قبل إثبات صفةٍ جميع الطَّوائف تنكرها سوى أهل السُّنَّة وهي صفة الاستواء على العرش قبل هذه الآيات.

ثم بعد ذلك ساق ستَّ آياتٍ كلُّه؛ لبيان أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لا يماثله شيءٌ ولا يساميه شيءٌ ولا يكافئوه شيءٌ، وأنَّه هو الكامل من كلِّ عيبٍ ونقصٍ ثم يقول: فلا تمثله بخلقه، فهو استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته.*

قال ﵀: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا * ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ ...)

هذه تتمَّة آياتٍ ستٍّ ذكرها المصنفُ في بيان إثبات كمال الله ﷻ، وتنزهه عن النقائص.

وذكر ستَّ آياتٍ وقبلها أربع آياتٍ بدأً من « تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ... إِلَى قَوْلِهِ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ » كلُّها جعلها مقدماتٍ لإثبات صفةٍ عظيمةٍ وهي صفة الاستواء على العرش التي ستأتي غداً - بإذن الله -.

قال: (﴿ تَبَارَكَ ﴾) هنا فيه إثبات الكمال لله؛ لأنَّ الله - ﷻ - تبارك وتعاظم وبلغ الغاية في البركة والعظمة (﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا * ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾) هذا إثبات كماله سبحانه؛ إذْ يملك كلَّ شيءٍ - ﷻ - (﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾) هذا من النفي المجمل المراد لغيره « وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً » لكمال صمديته - ﷻ - وغناه عن الآخرين (﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾) هذا من النفي المجمل لإثبات وحدانية الله سبحانه (﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾) لكمال قدرته وعلمه وحكمته (﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾) لحكمةٍ عظيمةٍ.

ثم قال: (﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾) - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - كما سبق لغناه عن غيره (﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾) أي: ليس هناك معه إلهٌ يدبِّر الكون (﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾) فيذهب هذا الإله بالشَّمس ويذهب الآخر بالقمر ويكون فوضى في الكون (﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾) لتخاصما فقال: (﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾) فهو واحدٌ سبحانه.

ثم قال: (﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾) أي: التي فيها نقصٌ لكمال الله عَزَّ وَجَلَّ، وأما الأمثال التي فيها الكمال فالله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [الروم: ٢٧].

ثم قال: (﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾) هذا لكمال حكمته وتدبيره للكون بيَّن الحلال من الحرام وحرَّم المحرمات من الفواحش الظَّاهرة والبَّاطنة (﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾) وهذا فيه إثبات رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ وحكمته سبحانه حيث لم يجعل البشر حيارى في إثبات شريكٍ معه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - (﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾) هذا الشاهد وهو: أنَّه لكمال الله عَزَّ وَجَلَّ في أسمائه وصفاته وأفعاله حرَّم علينا أنْ نقول عليه ما لا نعلم.

ثم بعد ذلك ذكر الآية قال: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» يعني: من القول على الله بغير علمٍ تأويل صفة الاستواء، وهذا من عظيم فِقْهِ المصنفِ رحمه الله، وحُسْنِ ترتيبه للآيات.*

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ **فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ**)

ذكر اللهُ عَزَّوَجَلَّ استوائه على العرش في سبعة آياتٍ بثلاثة ألفاظٍ.

اللفظ الأول: في سورة طاه (﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾).

اللفظ الثاني: ذكره سبحانه بإضمار الفاعل فقال: (﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾) وهذا في خمسة مواضع: في سورة الأعراف، ويونس، والرعد، والسجدة، والحديد.

اللفظ الثالث: ذكره الله بإظهار الفاعل ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٥٩] وهذا في سورة الفرقان.

قال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾) ساق المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ آيتين؛ لإثبات صفةٍ عظميةٍ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ وهي صفة الاستواء، والاستواء ينكره جميع الطوائف ولم يثبته سوى أهل السُّنَّة والجماعة.

وقد دلَّ على الاستواء السمع فقط، أما العلو فدلَّ عليه السمع والعقل فلو لم يأتنا أنَّ الله أخبرنا بأنَّه مستوٍ على عرشه لم نعلم ذلك ولم نثبته بخلاف العلو، فالفطرة دلَّت على أنَّ الله سبحانه في العلو.

والاستواء أتى في اللغة بأربعة معاني: أتى مرةً بمعنى على، ومرةً أتى بمعنى صَعِدَ، ومرةً ثالثةً بمعنى اسْتقر، ومرةً رابعةً بمعنى ارتفع. مثال ذلك: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨] يعني: استقريت على الفلك.

وشرعاً: الاستواء نقول: أنَّه معلومٌ يُعْرَف ما هو الاستواء، وكيفيَّته مجهولةٌ، والاستواء معناً زائدٌ على العلو فهو سبحانه عالٍ لكنه الاستواء معناً زائدٌ على العلو ولم يثبته سوى أهل السُّنَّة، فإذا أردت أنْ تعرف أيَّ تفسيرٍ هل صاحبه من أهل السُّنَّة أم لا؟ فانظر في تفسيره إلى آيةٍ من آيات الاستواء، إذا أوَّلها فهو من غير أهل السُّنَّة.

والاستواء كما سَبَقَ معلومٌ، وأوَّلَ أهل البدع الاستواء بالاستيلاء فقالوا: إنَّ معنى استوى يعني: استولى، واستدلوا بقول شاعرٍ نصرانيٍّ - وهو الأَخْطَلُ -:

قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مِهْرَاقِ

وهذا البيت باطل أولاً؛ لأنَّه نصرانيٌّ يرد كتاب الله.

والأمر الثاني: ليس معناه « اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ » بأنَّه استولى، ولا يصح عقلاً أنَّ يأول الاستواء باستيلاء؛ لأنَّه إذا أُوِّلَ الاستواء بالاستيلاء فمعناه أنَّ هناك مخلوقاً قد غلب على الله ﷻ واستوى على عرشه، ثم أتى الله واستولى على العرش - تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ-.

ويدلُّ أيضاً إذا قلنا: استولى يدلُ على حاجة الله للعرش، والله غير محتاج لأحدٍ من خلقه حتى ولو كان أسفل منه، فالأرض مستغنيةً عن السماء وهي أسْفَلَ منه والسماء مستغنيةً عن الأرض، فالله ﷻ مستغنٍ عن العرش.

ولأنَّ في تأويل استوى باستولى خرقٌ لأهل السُّنَّة والجماعة بإثبات صفة الاستواء كما يليق بجلال الله وعظمته، ولأنَّ هذا من تحريف أهل البدع للمعاني. لذلك ردَّتهم آية الفرقان ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ وهو - أي: الاستواء - من صفات الله ﷻ الفعلية، وضابط الصفات الفعلية إذا كانت متعلقةً بمشيئة الله فهي فعلية مثل الكلام.

قال: (﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ **فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ**) على التفصيل السابق وكلُّها أتت بالاستواء، ولم يأت شيءٌ منها بالاستيلاء.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾، ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾، ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾، ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ * أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ ﴾ **...**)

ساق المصنفُ رحمه الله خمس آياتٍ لإثبات صفة العلو.

والعلو المراد به: علو الذَّات هنا، وجميع أهل البدع ينكرون صفة العلو ولم يثبتها سوى أهل السُّنَّة، وهم ينكرون استواء الله على عرشه من أجل ألاَّ يثبتوا صفة العلو وهم يؤولون استواء الله على عرشه؛ لئلا يثبتوا صفة العلو.

وقد دلَّ على صفة العلو الكتاب والسُّنَّة والعقل والفطرة، قال ابن القيم رحمه الله: « وقد دلَّ العلو أكثر من مئة دليل » ، وتنوعت الآيات في إثبات صفة العلو لله عز وجل فمنها أنَّ الله عز وجل هو العليُّ فقال عن نفسه: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وساق المصنفُ رحمه الله آياتٍ فيها تنوع فقال: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾) هذه الآية فيها إثبات أنَّ الأشياء ترفع إلى الله، ولا يرفع إلاَّ لمن هو عالٍ « ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ » وفاة نومٍ « ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ » وفي آخر الزمان ينزله الله عز وجل فيقتل الدَّجال.

قال: (﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾) هنا لبيان أنَّ الأشياء ترفع إلى الله فقال: «﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ » .

ثم ساق آية ثالثة لبيان أنَّ الأعمال تصعد إلى الله، والصعود من الأسفل إلى العلو، فقال: (﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾) وأيضاً بيَّن أنَّ الأعمال الصالحة ترفع إليه (﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾).

ثم بعد ذلك ساق آية لبيان أنَّ الرسل بيَّنوا لأقوامهم أنَّ الله في العلو، فأنكر فرعون ذلك فقال: (﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا ﴾) هو البناء العالي (﴿ لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾) يعني: الأماكن العالية (﴿ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾) أي: حتى أصل إلى علو في السماء (﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾) فلما قال له موسى أنَّ الله في العلو بدأ يكابر ويجحد ذلك. وقال له موسى: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

ثم بعد ذلك ساق آية لبيان كون الله في العلو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فقال: (﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾) في بمعنى على، أي: أأمنتم من على السماء كما في قوله سبحانه: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] أي: لأُصَلِّبَنَّكُمْ على جذوع النخل.

المراد بالسماء هنا: العلو يعني: أأمنتم من هو في العلو (﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾) وليس معنى في هنا: الظرفيَّة؛ لأنَّه لو قلنا: أنَّ معناها الظرفيَّة معناه أنَّ الله في داخل السماء وأنَّ السماء تحويه، ولكن

الله كبيرٌ لا تحويه السماوات ولا شيء من مخلوقاته - سبحانه وتعالى - (﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾) فدلَّت هذه الآيات على أنَّ الله في العلو.

فلو قيل لك: أَيْنَ اللهُ؟ لو قلت: في السماء يصح للآيات، ولو قلت: في العلو يصح للآيات، ولو قلت: الله فوق عرشه يصح، ولو قلت: مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه - يعني: منفصلٌ عن خلقه - يصح.

ولا يصح أنْ تقول: الله في كلِّ مكان، وكذا لا يصح أنْ تقول: الله معنا في كلِّ مكان، ولا يصح أنْ تقول: الله موجودٌ في كلِّ مكان، وإنما تقول: الله في السماء.

ومن الأدلة من السُّنَّة على إثبات صفة العلو قول النَّبيِّ ﷺ - في الصلاة -: « سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى » ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يعلمون الصغار أيضاً فَضْلاً عن الكبار صفات الله عز وجل، فلما سأل النَّبيُّ ﷺ جاريةً: «أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ» ولم يكن هذا الجواب بتلك السرعة وعلى الصواب إلاَّ لوجود تعليمٍ في بيتها.

ودلَّ على العلو العقل أيضاً فلا يصح أنَّ الذي تعبده في الأسفل تحتك؛ فقد جرت أنَّ العظيم يوضع له عرشٌ في الأعلى وينظر إليه، والفطرة دلَّت أيضاً على العلو فإنَّ الإنسان بل البهائم إذا حدث لها كربٌ رفعت رأسها

إلى السماء، وكذا القلب يتوجه إذا ظلم الإنسان بقلبه إلى السماء وهذا يليق بجلال وعظمته، وهو أهلٌ لذلك بأنْ يكون في العلو فله العلو الكامل علو الذَّاتِ والقدرِ والقهرِ - ﷻ -.*

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾)

ساق المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ آيتين اثنتين؛ لبيان المعية العامة، والمعية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: معيةٌ عامةٌ، والمراد بعامة أي: معية الله لجميع خلقه برَّئهم وفاجرهم، ذكرهم وأنثاهم.

والقسم الثاني: معيةٌ خاصةٌ، أي: معيةٌ خاصةٌ بالمؤمنين ستأتي - إنْ شاء الله في الدرس القادم -.

والمعية العامة لا تقتضي المشاركة ولا المخالطة، وإنَّما المصاحبة كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَنتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ» معنى ذلك إذا قلنا: أنَّ الله معنا فليس معناه أنَّ مختلطٌ بنا في أرواحنا وأجسادنا وبذاته معنا، فأنت تقول: ضع الملح مع الطعام، لو قلت هذا معناه المخالطة؛ فخطلت الملح مع الطعام وكذا السُّكر في الماء فليس هذا المقصود منها.

ومعيةٌ تقتضي المشاركة فتقول: اشترك فلانٌ مع فلانٍ في الكلام وهذا لا تقتضيه معية الله عَزَّ وَجَلَّ.

ومعيةٌ ثالثةٌ تقتضي العلم والإحاطة والرؤية وغير ذلك، مثل: لو أنَّ الأم قالت لطفلها: لا تخفْ انزل من الدَّرج وأنا معك انظر إليك، فهي ليست معه بيدها وليست بجسدها، وإنَّما هي معه برؤيتها له وبعلمها بحاله، انزل شيئاً فشيئاً حتى ينتهي من الدَّرج. فمعية الله لا تقتضي المخالطة ولا مشاركته للمخلوقين.

والأمر الذي يليه: الله ﷻ معنا مع علوِّه وقريبٌ إلينا أيضاً مع علوِّه فلا تنافي بين صفة العلوِّ والمعية، فلو قال شخصٌ: كيف الله ﷻ معنا وهو على عرشه؟ نقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١].

الجواب الثاني: نقول: إذا كان في حقِّ المخلوقين يصح هذا كالمثال السابق كالأمِّ مع ولدها وتقول: أنا معك فمن باب أولى الخالق مع المخلوق!

الجواب الثالث: القمر مثلاً يسير معك، ويسير مع المسافر الآخر، والثالث، والمقيم وهو لم يختلط بهم بل في العلوِّ، وكذلك الشمس فتقول لصاحبك البعيد عنك وأنت تخاطبه بالهاتف: اجعل الشمس عن يمينك وسرْ قليلاً، ويسألك أين الشمس عنك؟ فيقول: عن شمالي وهي لم تختلط بهم، فمن باب أولى الله ﷻ فوق عرشه غير مختلط بنا وهو معنا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -!

الجواب الرابع: لا يصح أنْ نقول: إنَّ الله تعالى معنا بذاته، وإنَّما نقول: إنَّ الله تعالى معنا ولا نقول: بذاته؛ لأنَّنا لو قلنا بذاته معناه: أنَّه حالٌ معنا بذاته - تَعَالى اللهُ عَنْ ذَلِكَ -.

الجواب الخامس: المعية حقٌّ على حقيقتها، وفسَّرها بعض أهل السُّنَّة بما تقتضيه من العلم والإحاطة والإدراك وغير ذلك، فإذا قيل لك: أنتم أهل السُّنَّة والجماعة تؤولون الصفات، فأنتم أولاً قلتم: أنَّ صفة المعية بمعنى العلم والإحاطة والإدراك؟

والجواب عن ذلك:

أولاً: نحن قلنا: إثبات صفة المعية حقٌّ على حقيقتها، وتفسيرها باللازم تفسيرٌ صحيحٌ، مثل تقول: الله ﷻ يبصر وإذا أبصرك وأنت تعصيه فمن لوازم ذلك أنَّه يعذبك، وكذلك تقول: الله يسمع فمن لوازم سمع المعصية أنَّ الله يُعاقب على ما تكلَّمت به ... وهكذا؛ ففسَّرت السمع بالعذاب؛ لأنَّه من لوازم ذلك.

الجواب الثاني: أنَّ أهل السُّنَّة فسَّروا المعية بما تقتضيه من العلم والإحاطة ولإدراك؛ ليبينوا للجهمية وغيرهم أنَّ المعية ليس معناها أنَّ الله بذاته، وإنَّما المراد أنَّ الله ﷻ معنا حقٌّ على حقيقته وحتى نبين لكم ما معنى المعية نوضِّحها لكم بما تقتضيه من العلم والإحاطة وإلى غير ذلك، وإلاَّ فالأصل أنْ نقول: المعية معرفة، ولا نؤول بما تقتضيها ولو أوِّلت صحَّ لما سبق من الأمور الثلاثة.

وهذه المعية ليس فيها حمدٌ للمخلوق؛ لأنَّ الله ﷻ مع خَلْقِه مسلمهم وكافرهم، وأنَّ المعية التي يحمد فيها المسلم هي المعية الخاصة التي ستأتي.*

سبق أنَّ المعية تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: معيةٌ عامةٌ لجميع النَّاس وهي لا تقتضي الممازجة ولا المخالطة وسبق تفصيل ذلك.

قال: (**وَقَوْلِهِ**) أي: في المعية العامة (﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾) وهذه المعية نقول: أنَّها معيةٌ معلومةٌ، وهي المعية العامة، فإذا قيل كيف هي المعية العامة؟ نقول: معلومةٌ لكلِّ أحدٍ، وتقتضي الإحاطة، والاطِّلاع، والإبْصار، والإدراك وغير ذلك من مقتضيات المعية، مثل: لو أنَّ شخصاً يهدد رجلاً آخر يقول له: أينما تذهب أنا معك وسأتابعك وانظر هل تأدَّبت وإذا لم تتأدَّب سوف اضربك، نقول: هذه معيةٌ يراد بها الإحاطة والاطِّلاع والمتابعة وغير ذلك، (﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾) معيةٌ عامةٌ كما سبق (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾) .

وقال قبلها: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾) ويقتضي بذلك أنَّ الله ممتزجٌ بنا - سبحانه وتعالى - أو مختلط، وإنَّما معنا مع علوِّه سبحانه.

ثم بعد ذلك ذكر المعية الخاصة واستدل لها بخمس آيات، والمعية الخاصة تنقسم إلى قسمين جاءت النصوص بها:

القسم الأول: معيةٌ خاصةٌ لأشخاصٍ سمَّهم الله ﷻ وهذا من باب التشريف لهم والتعظيم، وذكر لذلك المصنفُ آيتين.

القسم الثاني: معيةٌ خاصةٌ لمن اتَّصفَ بأوصافٍ، وهذه خاصةٌ أيضاً بالمؤمنين.

فقال في المعية الخاصة لأشخاصٍ سمَّهم الله ﷻ قال: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾) فهذه معيةٌ خاصةٌ للنَّبيِّ ﷺ ولأبي بكر رضي الله عنه في الغار، وتقتضي هذه المعية الخاصة: النُصرة، والتأييد، والحفظ، والكلاء، والطمأنينة، والسكينة، والراحة وغير ذلك من أنواع المقتضيات المعية الخاصة. فإذا قيل: ماهي المعية الخاصة؟ نقول: معلومةٌ.

مثالُ ذلك: لو ضربك أحد فذهبت إلى الشُّرطة وقلت لهم: إنَّ أولاد الحيِّ يضربونني، فقال لك مدير الشُّرطة: اذهب إلى بيتك أنا معك لا تخفْ، والمعية تقتضي النُصرة والتأييد والوقوف معك.

ثم بعد ذلك ذكر الدليل الثاني للمعية الخاصة لأشخاصٍ وهما موسى وهارون قال: (﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾) معيةٌ خاصةٌ عند إتيانهما إلى فرعون ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] وهذا تشريفٌ لموسى وهارون في هذه المعية الخاصة في ذلك الموقف الذي ذهبا فيه إلى فرعون يَعِظَانِه.

ثم بعد ذلك ذكر ثلاث آيات فيها ثلاثُ أوصافٍ للمسلمين من اتَّصف بها نالته المعية الخاصة.

فقال: (﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾) فالوصف الأول: « مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا » على مرِّ العصور والأمكنة، فكلُّ من اتقى الله: الله معه معيةٌ خاصةٌ.

الوصف الثاني: (﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾) والمراد بالإحسان هنا: إصلاح العبادة مع صلاح القلب، وكذا الإحسان إلى الخلق، فكلُّ من أخلص لله في عمله، وأَحْسَنَ إلى الخلق فالله ﷻ معه، ومن كان الله معه رَفعه، وأحبَّه، ورضي عنه، والمعية الخاصة تقتضي المعية العامة.

ثم ساق الآية الثانية في وصفٍ ثالث من المعية الخاصة لعموم المسلمين فقال: (﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾) فكلُّ صابرٍ الله ﷻ معه يفرج كروبه، ويعطيه سؤله، وييسر أموره، ويُحبُّه الخلق ... وهكذا من مقتضيات المعية الخاصة.

ثم ذكر المصنفُ آيةً ثالثةً فيها نفس الوصف السابق وهو الصبر فقال: (﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾) وساقها المصنفُ؛ لبيان أنَّ الصابرين في حال القتال الله معهم، والآية السابقة الصابرين في القتال وغيره، وهنا في هذه الآية خُصَّ القتال بذاته.

فتبيَّن مما سبق أنَّ المعية تنقسم إلى قسمين، وأنَّ المرء يُحمد على تحقيق المعية الخاصة، فيجب على العبد أنْ يسعى لتحقيقها، وأنْ يثق بوعد الله ﷻ بنصره وتأييده، وأنْ يفرح أنَّ الله ﷻ معه.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾)

ساق المصنفُ رحمه الله اثنتي عشرة آيةً؛ لإثبات صفة الكلام لله عز وجل، وجاء إثبات الكلام في الآيات التي ساقها المصنفُ رحمه الله لإثبات صفة الكلام بعدة أمور:

الأمر الأول: بأنَّه حديثٌ، والحديث لا يكون إلاَّ كلاماً.

والأمر الثاني: أنَّه قولٌ.

والأمر الثالث: أنَّه كلامٌ.

والأمر الرابع: كما سيأتي في درس غدٍ - بإذن الله - على أنَّه جاء الكلام بصفة المناداة وجاء بصفة المناجاة.

ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ الله عز وجل يتكلم متى شاء، إذا شاء، بما شاء بصوت وحرف مسموعين.

فقولنا: «أنَّ الله يتكلم متى شاء» فتكلم سبحانه حين نهى آدم عن أكل الشجرة فقال: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وسيتكلم الله عز وجل في المحشر ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وممَّا يتكلم سبحانه أيضاً إذا أحبَّ شخصاً أو أبغض شخصاً، فإذا أحبَّ شخصاً «إذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ».

وصفة الكلام صفةٌ ذاتيةٌ فعليةٌ، ذاتية لأنَّ الله ﷻ موصوفٌ بالكلام، وفعلية لأنَّه يتكلم إذا شاء.

وقولنا أيضاً: «إذا شاء» يعني: في أيِّ زمنٍ يشاءه يتكلم «بما شاء» يعني: بأيِّ أمرٍ شاء يتكلم به، مِنْ أمرٍ: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾، ومِنْ نهي: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ مثلاً ومِنْ قَصَصٍ ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١] ... وهكذا.

بصوتٍ لأنَّ الله نادى آدم ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، وقال: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: ٢٢] فدلَّ على أنَّه بصوتٍ؛ لأنَّ آدم سمعه ولو لم يكن بصوتٍ لم يسمعه آدم، وحرف ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ مسموعين؛ لأنَّ الله لام آدم على عصيانه بعد أمره سبحانه له.

وجاء في كيفية صفة كلام الله: «كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ» أي: حديدةٌ «عَلَى صَفْوَانٍ» حجرٌ أملسُ «يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ» يعني: له صوتٌ حتى الملائكة مِنْ صوت الله ﷻ يُغشى عليهم، فيكون أول من يُفيق جبريل عليه السَّلام.

قال: (وَقَوْلِهِ:) أَكْثَرَ المصنفُ ﵀ في صفة الكلام؛ لكثرة المخالفين في هذه الصفة، بل لا يُثْبِت هذه الصفة سوى أهل السُّنَّة والجماعة، ولكثرة المنافحين والمجادلين في إثبات صفة الكلام مِنْ: الأشاعرة، والماتوردية، والمعتزلة، والجهمية.

وهذه أَكْثَرُ صفةٍ ساق المصنفُ ﷺ فيها الأدلة في كتابه الواسطية؛ لكثرة الجدال في عصره في هذه الصفة.

قال: (﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾) يعني: لا أصدقُ من الله ﷻ أحداً، وفيه إثبات صفة الكلام من وجهين:

الوجه الأول: قوله: « ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ » والصدقُ لا يظهر إلاَّ بالكلام، فلو كان شخصاً صامتاً لا نعلم هل هو صادقٌ أم لا؟ لكن لما ظهر الكلام علمنا صدقه.

قوله: « ﴿ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ » هذا الأمر الثاني في إثبات صفة الكلام للحديث، والحديث قولٌ وكلامٌ.

ثم ساق الآية الثانية فقال: (﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ﴾) دلَّ على إثبات صفة الكلام: أنَّ الصدق لا يكون إلاَّ بظهور الكلام (﴿ قِيلًا ﴾) أي: قولاً، والقيل الكلام.

والآية الثالثة قال: (﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾) كلمت ربك: هذه مفرد مضاف أي: كلام ربك تمَّ -سبحانه وتعالى- (﴿صِدْقًا﴾) يعني: في الأخبار (﴿وَعَدْلًا﴾) يعني: في الأحكام، فالصدق لا يكون إلاَّ بالكلام.

والآية الرابعة قال: (﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾) فيه دليلٌ على أنَّ كلام الله -سبحانه وتعالى- بصوتٍ وحرفٍ مسموعين حيث إنَّ عيسى سمع كلام الله فأجابه ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ [المائدة: ١١٦] فلو لم يكن بصوتٍ وحرفٍ مسموعين لم يكن كلاماً، والقول كلام.

وساق المصنفُ ﵀ الآية الخامسة؛ لإثبات أنَّ الله كلَّم بعض الرسل (﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾) وتكليماً مؤكدة للكلام، وهذا فيه إثبات صفة الكلام.

والآية السادسة لإثبات أن الله كلَّم بعض الرسل (﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾) ففيه إثبات صفة الكلام، والآية السابقة نصٌ على أنَّ الله كلَّم موسى، وقبلها أنَّ الله سيكلم عيسى في المحشر.

ثم ساق الآية السابعة لتأكيد أنَّ المتكلم هو الله لا موسى كما توهَّمه أهل التَّعطيل في الآية التي قبل السابقة: « ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ » قالوا: إنَّ أصل الآية: « وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَى تَكْلِيمَاً » أي: وكلَّم موسى اللهَ تكليماً على زعمهم، فساق هذه الآية فيها حجةٌ دامغةٌ بأنَّ المتكلَّم هو الله نفسُه - ﷻ -.

فقال: (﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾) فظهر أنَّ الفاعل هو الربُّ - ﷻ - وذهبت الطوائف جميعاً لإنكار صفة الكلام زعماً منهم أنَّ في هذا تشبيهاً للمخلوق، فمنهم من أنكر الكلام أصلاً كالجهمية والمعتزلة، ومنهم من قال: إنَّ كلام الله نفساني، ومعنى نفساني قالوا: إنَّ الله لا يتكلَّم وهذا الكلام الذي أتانا من كتاب الله ومن أوامر الله ونواهيه شيءٌ في نفس الله أخرجه الله لنا من غير صفة الكلام، وكيف أُخْرِج؟

منهم من قال: بعبارة عن كلام الله، ومعنى عبارة عن كلام الله: أي: أنَّ جبريل أتى إلى الله ﷻ ونظر إلى وجه الله وبدأ يُعبر في نظرات الله - تعالى الله عن ذلك - ماذا يريد الله؟

وقلنا لهم: لماذا تقولون هذا؟ يقولون: لأنَّ الله لا يتكلم - تعالى الله عن ذلك – ومقتضى ذلك أنَّ الله أخرس وكيف يُدير الكون أخرس؟

ومنهم من قال: إنَّ كلام الله حكاية عن الله، ومعنى حكايةٌ عن الله: أنَّ جبريل عليه السلام يحاكي كلام الله، فيقول جبريل لأهل السَّماء: الله يريد من الخلق أنْ يصلوا فصلُّوا، طيب يا جبريل هل الله هو الذي تكلَّم لك بذلك؟ قال: لا؛ لأنَّه لا يستطيع أنْ يتكلَّم، وإنَّما أنا أحاكي ما يقوله الله.

وكلُّ هذا تنقُّصٌ للبارئ جلَّ وَعَلا وهو المتصف بالصفات العُلَا، فنقول: إنَّ الله يتكلَّم حقيقةً بصوتٍ وحرفٍ مسموعين، فإذا قال المصلي مثلاً في الصلاة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] الله يتكلم حقيقةً بصوتٍ وحرفٍ «حَمِدَنِي عَبْدِي» ، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣] قال الله: «أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي» ، وكذا إذا نزل الله ﷻ في الثُلُث الأخير من اللَّيل يتكلَّم بصوتٍ وحرفٍ مسموعين: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ ... » إلى آخره، وسيأتي - بإذن الله - الآيات التي فيها صفة الكلام وساقه المصنفُ ما دلَّ عليه في النِّداء والمناجاة.*

قال رحمه الله: (﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾، ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾، ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ **...)**

لا زال المصنفُ رحمه الله يذكر الأدلة على إثبات: أنَّ الله جل وعلا يتكلَّم، وصفة الكلام لله جل وعلا أَكْثَرَ المصنفُ رحمه الله مِنْ ذكر الأدلة على ذلك؛ إذْ بلغت خمسةً وعشرين دليلاً من الكتاب، ونوع ذلك بأربعة أنواع:

النوع الأول: في إثبات أنَّ الله جل وعلا يتكلَّم.

والنوع الثاني: في إثبات نوع من أنواع الكلام وهو في المناداة والمناجات.

والنوع الثالث: ذَكَرَ أدلةً أنَّ القرآن العظيم من كلام الله.

والنوع الرابع: لبيان أنَّ القرآن الكريم منزلٌ غير مخلوق.

وسبب إكثاره من أدلَّة هذه الصِّفة العظيمة؛ لحصول المحنة الكبيرة في عصره وقبل عصره وبعد عصره؛ إذْ قَتَلَ المأمون وسَجَنَ، وكذا المعتصم، وكذا المتوكل على الله، ولم تزل المحنة إلاَّ في عهد الواثق بالله، يعني: أربعة خلفاء من الدولة العبَّاسية فتنوا النَّاس وعذبوهم إنْ أثبتوا هذه الصفة، وكذا في عصر شيخ الإسلام حصلت فتنةٌ عظيمةٌ بسبب هذه الصفة وغيرها.

ويذكر هنا النوع الثاني من أنواع إثبات أنَّ الله ﷻ يتكلَّم، وذلك بذكر نوعين من أنواع الكلام وهما: المنادى والمناجى، وذكر لهذا النوع خمسة أدلة:

الدليل الأول قال: (﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾) إثبات صفة النداء لله ﷻ وأنَّ الله كلَّم الرسل مناداةً (﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾) نوعٌ ثاني من أنواع الكلام، وهو الكلام الخافت عن قرب «﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾» وكلمناهم مناجاةً بالقرب.

وذكر آيةً أخرى أيضاً في مناداة موسى عليه السلام (﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾) بماذا ناداه؟ بصوتٍ وحرفٍ مسموعين (﴿أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) ﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١﴾ [الشعراء: ١١]، فدلَّ على أنَّ الله ﷻ يتكلَّم بما شاء، كيف شاء، إذا شاء بحرفٍ وصوتٍ مسموعين، لا يشابه كلام المخلوقين.

ثم بعد ذلك ذكر أنَّ الله ﷻ نادى آدم وحواء مناداةً (﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾) بصوتٍ وحرفٍ مسموعين (﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾) فدلَّ على أنَّ الله يتكلَّم - سبحانه وتعالى -، وأنَّه كلَّم آدم وكلَّم حواء، فكلَّم الرسل وكلَّم غير الرسل،

ثم بعد ذلك ذكر آيتين؛ لبيان أنَّ الله ﷻ يكلِّم خلقه في المحشر (﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾) فينادي الخلق من المشركين أين شركائي الذين كنتم تزعمون؟ وبيَّن أيضاً أنَّ الله ﷻ ينادي خلقه في المحشر (﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾) كلُّ النَّاس

يُسألون هذا السؤال ماذا أجبتم المرسلين؟ فالله ينادي جميع النَّاس ماذا أجبتم المرسلين؟

فدلَّ على أنَّ الله ﷻ يتكلَّم بكلامٍ حقيقيٍّ مسموعٍ، وفي هذا إعمالٌ للنصوص، وفيه طاعةٌ لله - ﷻ -؛ إذْ أثبتنا من الآيات ما أَنْزَل الله ﷻ لنا، وسيأتي - إنْ شاء الله - بيان أنَّ القرآن من كلام الله، ثم بعد ذلك إثبات أنَّ القرآن منزلٌ غير مخلوق.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ ...)

ساق المصنفُ رحمه الله خمس آياتٍ؛ لإثبات أنَّ القرآن العظيم كلام الله ليس كلاماً نفسيَّاً، وليس حكايةً عن الله عز وجل، وإنَّما هو كلام الله حقيقةً بصوتٍ وحرفٍ مسموعين تكلَّم الله عز وجل به.

فنعتقد أنَّ الله عز وجل قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص:١] بصوتٍ وحرفٍ مسموعين، وكذا قال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾ [الكوثر: ١] وهكذا في جميع القرآن الله تكلم به حقيقةً، وسمعه جبريل منه - سبحانه وتعالى -.

قال في الآية الأولى: في إثبات أنَّ القرآن كلام الله قال: (﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾) فأضاف الله عز وجل الكلام إليه سبحانه أي: أضاف الكلام الذي في القرآن إلى نفسه به سبحانه؛ فدلَّ على أنَّ المتكلَّم به هو الله.

ثم بعد ذلك قال في الآية الثانية: (﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾) يعني: من بني إسرائيل (﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) فأضاف الكلام هنا إليه سبحانه ولم يذكر المفسِّرون كابن جرير الطَّبري، والسُّيوطي في الدُّر المنثور: أنَّ المقصود من كلام الله هنا هو القرآن، وإنَّما يقولون: التوراة والإنجيل خاصة التوراة، وعليه نثبت أيضاً أنَّ التوراة

كلام الله - ﷻ -، والآن المصنفُ يرى ﷺ في هذه الآية المراد بكلام الله هنا هو القرآن العظيم.

ثم قال: (﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾) فأضاف سبحانه الكلام الذي في القرآن إلى نفسه العظيمة - ﷻ -، والكلام يُنسبُ إلى من قاله مبتدئاً لا مبلِّغاً، فمثلاً لو أنَّ الملك قال: غداً ليس فيه عملٌ، وإنَّما إجازة فالمذيع خرج وتكلَّم في الإذاعة أمام النَّاس قال الملك: غداً إجازة، هل يقول النَّاس: المذيع قال غداً إجازة أم الملك؟ الملك، فالكلام يُنسب إلى من قاله مبتدئاً، فكلام الله - أي: القرآن - هو الذي ابتدأ الله به، فهو المتكلم - ﷻ -، وليس جبريل لذلك قال: ((﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾))

ثم ساق الآية الرابعة فقال: (﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾) يعني: لا مبدل لكلمات الله التي في كتابه - ﷻ -.

ثم بعد ذلك ذكر أنَّ لابد لكلمات الله سواء في الأخبار أو في الأحكام؛ فدلَّ على أنَّ الله هو المتكلِّم به بما في ذلك من القصص والأوامر والنواهي.

ثم بعد ذلك قال في الآية الأخيرة: (﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾) والذي يقصُّ يتكلَّم، فالقرآن قصَّ عليهم ذلك، والذي قصَّ ذلك هو ربُّ العالمين علينا وهو الذي قصَّ على بني إسرائيل أيضاً؛ فدلَّ على أنَّ القرآن هو كلام الله - ﷻ -.

فإذا قيل: هل جميع كلام الله فقط هو القرآن؟ نقول: لا، الله تكلَّم بكلامٍ منه القرآن، وإلاَّ فالله ﷻ له كلامٌ آخر غير القرآن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى

شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩] يرفع هذا ويخفض هذا كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢]، وسيأتي - بإذن الله - إثبات أنَّ القرآن منزلٌ وليس بمخلوقٍ.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾، ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ ...)

ساق المصنفُ رحمه الله هنا ثلاث آيات؛ لإثبات: أنَّ القرآن منزلٌ، وأنَّه غير مخلوق.

قال: (﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾) فدلَّ على أنَّ القرآن منزلٌ وليس مخلوقاً كما يزعم الجهمية ومن معهم، ويدل أيضاً على أنَّه غير مخلوق النَّبيُّ ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ» فدلَّ على أنَّه غير مخلوق، وإنما قرأ شيئاً هو في أصله كلام.

قال: (﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾) والإنزال يدل على أنَّه من عند الله من العلو، ففيه إثبات العلو وفي إثبات أنَّ القرآن منزلٌ، ولا يصح أنْ يقال: سمع النَّبيُّ ﷺ القرآن من جبريل، وجبريل أخذه من اللَّوح المحفوظ هذا لا يجوز، وإنَّما يقال: سمعه النَّبيُّ ﷺ أو تلقاه النَّبيُّ ﷺ من جبريل، وجبريل سمعه من الله عز وجل.

لهذا تجد بعض من يهتم بحفظ القرآن بالإجازة في بعضها: «عَنْ النَّبيِّ ﷺ، عَنْ جِبْرِيلَ، عَنْ اللَّوْحِ المحْفُوْظِ» وهذا لا يجوز، وهو مذهب

الجهمية ومرادهم بذلك إثبات أنَّ الله لم يتكلَّم بهذا القرآن، أي: نفي في صفة الكلام عن الله.

قال: (﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾) فدلَّ على أنَّ القرآن منزلٌ؛ إذْ أنزله الله - سبحانه وتعالى -؛ فدلَّ على أنَّه غير مخلوق كما قال سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزخرف: ٣].

وبهذا الأمر وهل القرآن منزلٌ أم مخلوق؟ فُتِنَ كثيرٌ من العلماء في عصر الدولة العبَّاسية وأيضاً من بعدهم لنفي كلام الله عز وجل، ولنفي أنَّ القرآن منزلٌ، ولإثبات في زعمهم على أنَّ القرآن مخلوقٌ ليس بمنزلٍ، لنفي صفة الكلام عن الله - سبحانه وتعالى - لذلك ساق المصنفُ عشرين آيةً؛ لإثبات تلك الصفة.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾. **وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ**)

هذه آخر صفةٍ ذكرها المصنفُ رحمه الله في الاستدلال بالآيات على إثبات الصفات، وهي النظر إلى وجه الله الكريم.

ومن حُسْنِ تأليف المصنفِ رحمه الله وبديع ترتيبه أنْ جعل هذه الصفة آخر الصفات التي ذكرها؛ لأنَّ هذه الصَّفة وهي صفة نظر العباد إلى الله أعلى منزلة، كأنَّه يقول: إنْ حقَّقت الصِّفات السَّابقة التي ذكرتها لك

- بإذن الله - تنال أعلى الدرجات وهي: لذَّة النظر إلى وجه الله الكريم، وساق المصنفُ رحمه الله أربع آيات؛ لإثبات ذلك.

الآية الأولى: (**وَقَوْلِهِ**: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾) والمقصود هي الآية الثانية «﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾» أي: النظر بالبصر «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾» من النَّضارة وهي البهاء والجمال؛ للاستعداد إلى النظر إلى وجه الله الكريم «﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾» ففيه إثبات أنَّ الله عز وجل يُرى في الآخرة، ورؤية الله عز وجل تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول: في الدنيا لا يراه أحدٌ أبداً لا نبيٌّ ولا صالحٌ ولا غيرُ ذلك؛ قال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم: «وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَداً مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ».

القسم الثاني: رؤية الله عز وجل في الدنيا في المنام، وهذه ممكنة كما ذكر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله في عدَّة مواطن، ومنه قولُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي رَأَيْتُ رَبِي فِي أَحْسَنِ صُوْرَةٍ» أي: رؤيا منام.

القسم الثالث: رؤية الله عز وجل في الآخرة، وهذه تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: في أرض المحشر، وفي أرض المحشر في حالين اثنين:

الحالة الأولى: يرى جميع العباد ربَّهم لا رؤية تلذُّذ وتنعم، وإنَّما للحساب وهذه لا نعيم فيها.

الحالة الثانية: في أرض المحشر عدم النظر في المحشر نظر رضى، وإنَّما نظر غضب للكفَّار كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

﴾ [آل عمران: ٧٧] يعني: نظر رضى يعني: هم يرون الله، والله ﷻ لا ينظر إليهم بنظر رضى، وإنَّما بنظر الغضب.

والقسم الثاني: في الآخرة في الجنَّة ولا يرواه نظر تلذُّذ وتنعم سوى أهل الجنَّة، وهو أعلى نعيمٍ لأهل الجنَّة كما قال سبحانه: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥].

فإذا قيل: الله ﷻ يقول: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] يعني: أكبر من دخولهم الجنَّة؟ فنقول: إنَّ النظر إلى وجه الله العظيم أعلى منزلة من الرضى؛ إذْ لا يراه أحدٌ - سبحانه وتعالى - إلاَّ مَنْ رضي عنه سبحانه، ووجه اللَّذَّة في النظر إلى وجه الله الكريم في أمورٍ:

الأمر الأول: لأنَّ الله جميلٌ كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِنَّ اللهَ جَمِيْلٌ» ولا شكَّ أنَّ جمال الله ﷻ أجمل ممَّا خلقه من الأنهار الذي في الجنَّة، واللَّبن، والحور العين وغير ذلك، فإذا كانت الحور العين جميلة فما ظنك بمن خلقها!

الأمر الثاني في اللَّذَّة: النظر إلى وجه الله الكريم؛ لأنَّ النفوس المؤمنة تتشوف إلى رؤية هذا الربِّ العظيم الذي خلق هذا الكون، والذي يسعى المؤمن في حياته إلى تحقيق رضاه ومعرفة صفاته كما قال سبحانه عن أهل الجنَّة: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ [الطور: ٢٨] فهم يتمنَّون أنَّ الذي يعبدونه ويصلون له أنْ يروه ... وهكذا.

ولو قيل لك: أنَّ الذي صنع القنبلة الذَّرية سيمر مع هذا الطريق لخرج جميع النَّاس ينظرون إليه يقولون: ما هذا الرجل العظيم؟ فما ظنُّك بالربِّ الكبير المتعال العظيم - ﷻ -!

وأهل السُّنَّة يثبتون النظر إلى وجه الله الكريم حقيقةً، فإذا قيل: لماذا لا يرون المؤمنون ربَّهم في الدنيا؟ ا

الجواب: لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» فلضعف المخلوقات لو كشف الله ﷻ الحجاب في الدنيا لاحترقوا من نور الله، فما في الكون من ضياء ونور هو مِنْ نور الله كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] أي: إنَّ نور السموات والأرض من الشمس وغيرها من نور الله فهي منورةٌ بنور الله، وفي الآخرة يعطي الله ﷻ المؤمنين قوةً لا يحترقون إذا راوا ربَّهم، وإنَّما يتلذَّذون بذلك.

وأنكر الجهمية النظر إلى وجه الله الكريم؛ لعمى بصيرتهم عن الحق ولم يثبتوا آيات النصوص، والمصنفُ ساق هذه الآيات؛ لبيان: أنَّ الله يُرى في الآخرة، ومِنْ هذا لا تصح عبارة: سبحان من لا تراه العيون، وإنَّما يقال: سبحان من لا تراه العيون في الدنيا، وساق المصنفُ على ذلك أربع آيات فقال: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾» ففيه إثبات النظر إلى وجه الله العظيم.

والآية الثانية قال: (﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾) هذا ذِكْرُ نعيمٍ ذَكرَه الله ﷻ لأهل الجنَّة، ولم يَذكر الله ﷻ ما الذي ينظرون إليه وإنَّما قال: «﴿ يَنظُرُونَ ﴾» وأعظم نظرٍ ينظره أهل الجنَّة هو النظر إلى وجه الله الكريم، ففسَّر أهل السُّنَّة «﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾» أي: ينظرون إلى وجه الله الكريم وأيضاً ما في الجنَّة، وأجمل ما في ذلك وألذُّ النظر إلى وجه الله الكريم، والأرائك: هي السرر المرتفعة المجمَّلة بالشيء المنخَّل الجميل.

ثم بعد ذلك ساق الآية الثالثة: (﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾) الحسنى: الجنَّة (﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾) في صحيح مسلم: «فسَّر النَّبيُّ ﷺ هذه الزِّيادة: بِالنَّظَرِ إِلى وَجْهِ الله الكريم» فدلَّ على أنَّ أعظم نعيم في الجنَّة هو النظر إلى وجه الله الكريم «﴿وَزِيَادَةٌ﴾»

والآية الرابعة استدل بقوله: (﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾) يعني: في الجنَّة (﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾) سترون الله ﷻ.

وآية خامسة أيضاً في كتاب الله ﷻ لم يذكرها المصنفُ استنبطها الشَّافعي ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ [المطففين: ١٥] أي: مِنْ العذاب على الكفَّار أنَّهم لا يرون ربَّهم الذي خلقهم، وهذا من أشدِّ الحرمان.

ثم قال المصنفُ لما اختتم آيات الصفات: (**وَهَذَا الْبَابُ**) أي: باب الأسماء والصفات (**فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرٌ**) يعني: آياتٌ كثيرةٌ؛ لأنَّ

المصنفَ اقتصر على بعضها، متى يتبيَّن للإنسان آيات الصفات فيها؟ قال: بأمرين:

الأمر الأول قال: **(مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ)** أي: التَّدبر وهي القراءة، وهذا عملٌ.

الأمر الثاني: صلاح النية في تلاوة القرآن لذلك قال: **(طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ)**.

فإذا تحقق الأمران التلاوة مع صلاح النية قال: **(تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ)** في الصفات وغيرها.

وبهذا يكون المصنفُ رَحِمَهُ اللهُ قد انتهى من ذكر الصِّفات في كتاب الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، ويليه بعد ذلك الصفات في سُنَّة النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.*

قال ﵀: **(ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ. وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ - مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ -؛ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ)**

(ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) أي: لها أيضاً مقامٌ في التَّشريع، والمصنفُ ﵀ هنا يذكر مقدمةً في مكانة السُّنَّة في التَّشريع، ثم بعد ذلك إذا ذَكَرَ هذه المقدمة وَضَعَ قاعدةً في الأسماء والصفات من السُّنَّة، ثم بعد ذلك ساق الأحاديث.

فقال في مكانة السُّنَّة: **(تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ)** هذه المكانة الأولى مكانة السُّنَّة في التَّشريع تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ مثل: فسَّر النَّبيُّ ﷺ لهم: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فسَّر الزيادة: بالنظر لوجه الله الكريم.

(وَتُبَيِّنُهُ) هذا المقام الثاني للسُّنَّة تُبَيِّنُهُ يعني: تُبيِّن ما أُجْمِل في القرآن مثل: قوله سبحانه في القرآن: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[البقرة: ٤٣] جاءت السُّنَّة تُبيِّن كيفية الصلاة بأركانها وواجباتها وشروطها وغير ذلك.

(وَتَدُلُّ عَلَيْهِ) هذا المقام الثالث وهو مقامٌ يشمل المقام الأول والثاني والرابع، « وَتَدُلُّ عَلَيْهِ » يعني: السُّنَّة مع القرآن هذه دالةٌ على هذا فلا يفترقان.

(وَتُعَبِّرُ عَنْهُ) هذا المقام الرابع ولو حذفنا الثالث؛ لأنَّه يشمل جميع الأنواع الثلاثة لكان هو المقام الثالث « وَتُعَبِّرُ عَنْهُ » أي: تأتي بتشريع لم

يذكره القرآن مثل: سُنَّة السَّواك، ومثل: دخول المسجد بالرجل اليمنى وغيرُ ذلك كثير.

فلمَّا ذكر أنَّ السُّنَّة تعبر يعني: تأتي بشيءٍ جديدٍ لم يأته القرآن، سيشرع في نصوص من السُّنَّة لم يأْت بها القرآن في الصفات، وقبل أنْ يذكر النصوص وضع قاعدةً عظيمةً قال: (**مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ**) يعني: وما في الكتب من الأحاديث الصحيحة في الصفات (**الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ**) أي: أنَّنا نثبت الصفات من الأحاديث الصحيحة فقط، أما الضعيفة فلا، قال: (**وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ**) يعني: من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، مثل: القرآن نؤمن بما جاء به من الصفات من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ لذلك قال: «مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ ... إلخ» .

فبيَّن المصنفُ أنَّ أحاديث الصفات أيضاً تؤخذ من السُّنَّة بشرط أنْ تكون الأحاديث صحيحةً، وسوف يسوق المصنفُ ﵀ نصوص السُّنَّة وأتت بصفاتٍ ليست في القرآن.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

بدأ المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا يذكر الأحاديث التي فيها إثبات صفات الله جَلَّ وَعَلَا، وساق المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أربعة عشر حديثاً فيه تلك الصفات، وهذه الأحاديث تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: منها ما لم يأت به القرآن.

والقسم الثاني: ما أتى به القرآن وساقه المصنفُ؛ ليكون لطالب العلم معه دليلان اثنان من الكتاب والسُّنَّة.

وساق هنا اليوم ثلاثة أحاديث؛ لبيان: ثلاث صفات لم يأت بها القرآن العظيم في صفات الله جَلَّ وَعَلَا.

فقال: **(مِثْلُ)** يعني: وممَّا يجب الإيمان به من الصفات من تغير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ما جاءت به السُّنَّة في إثبات الصفات مثل: **(قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ»)** في هذا إثبات صفة النزول إلى الله جَلَّ وَعَلَا إلى السماء الدنيا من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ نزولاً يليق بجلاله وعظمته.

فإذا قيل: إنَّ الثلث الآخر من الليل يكون في جميع اليوم والليلة، ففي بلدٍ الثلث، ثم يأتي بلد ثاني ثلث، والثالث الثلث الأخير ... وهكذا فكيف ينزل ربنا إلى كلِّ بلدٍ، فهل يعني ذلك أنَّه نازلٌ في جميع اليوم الليلية؟

نقول: لا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾[البقرة: ٢٠]، ونقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهو ينزل في هذا البلد، وينزل في البلد الآخر ... وهكذا، وهل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟ ثلاثة أقوالٍ لأهل السُّنَّة:

القول الأول: أنَّ العرش يخلو منه.

والقول الثاني: لا يخلو وإليه ذهب شيخ الإسلام.

والقول الثالث: السكوت عن مثل ذلك لعدم نص فيه وإلى هذا ذهب الشَّيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، ومن قال: إنَّه يخلو أو لا يخلو لا نقول: إنَّه مبتدع؛ لأنَّهما قولان لأهل السُّنَّة، وإنَّما نقول: الأولى السكوت عن ذلك؛ لعدم ورود فيه نص يبين ذلك.

ولا يؤول نزوله سبحانه بنزول رحمته أو ثوابه أو غير ذلك من التأويلات الباطلة، وإنَّما ينزل نزولاً حقيقياً، متفضلاً على عباده، وواعداً إياهم بتحقيق جميع ما يطلبونه منه في تلك السَّاعة (**فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**)

ثم بعد ذلك قال: **(وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ ...» الْحَدِيثَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)** فيه إثبات صفة الفرح لله ﷻ كما يليق بعظمته وجلاله، بل أشدُّ الفرح النَّبيُّ ﷺ قال: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا» وهذا الفرح منه سبحانه بتوبة عبده لا لحاجة الله لعبده، وإنَّما إحساناً منه سبحانه وإكراماً له، ولا يجوز أنْ يؤول هذا الفرح بغيره كالثَّواب مثلاً وغير ذلك من التأويلات الباطلة، وإنَّما نقول: الله ﷻ يفرح فرحاً يليق بجلاله وعظمته، بل يفرح أشدُّ الفرح إذا تاب العبد.

ثم قال: **(وَقَوْلِهِ ﷺ: يَضْحَكُ اللَّهُ)** فيه إثبات صفة الضَّحك لله - سبحانه وتعالى - كما يليق بجلاله وعظمته وهو من الصفات الفعلية، فيضحك إذا شاء، وكلُّ صفة متعلقةٌ بالمشيئة فهي صفةٌ فعليةٌ **(إِلَى رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الجنَّة)** بيَّن النَّبيُّ ﷺ كيف ذلك؟ فقال: «يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ - أي: المسلم؛ لأنَّه شهيدٌ -، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ» أو لا يُقْتَل فيدخل الجنَّة بإسلامه.*

قال رحمه الله (**وَقَوْلِهِ** ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**» . **حَدِيثٌ حَسَنٌ**)

ساق المصنفُ رحمه الله هذا الحديث؛ لبيان: عدة صفات من السُّنَّة من صفات الله عز وجل يجب إثباتها كما يليق بجلاله وعظمته.

قال: (**وَقَوْلِهِ** ﷺ: **عَجِبَ رَبُّنَا**) هذه هي الصفة الأولى من صفات الله عز وجل في هذا الحديث، والعَجَب معلومٌ وجاء أيضاً إثبات هذه الصفة في كتاب الله عز وجل في قراءة كما في سورة الصَّافات: «بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُوْنَ» .

(**مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ**) يعني: من استبعاد الفرج (**وَقُرْبِ غِيَرِهِ**) أي: مع اقتراب تغيير حالهم من الشدَّة إلى الرخاء (**يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ**) هذا في إ ثبات صفة النظر لله عز وجل لعباده كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة: ١]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[الحجرات: ١٨]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧١].

(**أَزِلِينَ**) أي: واقعين في الشدَّة بأجسادكم (**قَنِطِينَ**) أي: قلوبكم قانطة (**فَيَظَلُّ يَضْحَكُ**) هذا فيه إثبات الضَّحك لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته وهو من الصفات الفعلية، (**يَعْلَمُ**) هذا فيه إثبات صفة العلم لله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، (**أَنَّ فَرَجَكُمْ**

قَرِيبٌ) أي: زوال الشدَّة، وهذا أيضاً فيه إثبات صفة القدرة لله ﷻ لقرب تغير الحال.

وهذا حديثٌ عظيمٌ يجب على المسلم أنْ يستشعره في الملمَّات والكروبات، فمن حلَّت به مصيبةٌ فلا ييأس من الله، والله ﷻ تيسير الأمور عليه سهلٌ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢]، وإنَّما الواجب أنْ يتعلق القلب بالله وحده، وأنْ يلجأ إليه في كلِّ أمرٍ من صغيرٍ أو كبيرٍ، وهو سبحانه يفرج الهموم.

ثم بعد ذلك قال المصنفُ: **(وَقَوْلِهِ** ﷺ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا - وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ - فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ**» **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

ساق المصنفُ رحمه الله هذا الحديث؛ لإثبات القدم لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته - سبحانه وتعالى -.

قال: **(لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ)** هذا يدل على وجود جهنَّم اليوم **(يُلْقَى فِيهَا)** يدل على أنَّ من النَّاس ما يعذب الآن في جهنم - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - كما قال النَّبيُّ ﷺ: «وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاء» .

(وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟) يعني: أطلب المزيد، وهذا الاستفهام للطلب، فإذا دخل جميع من يستحق النَّار النَّار يبقى فضاء **(حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ)** - سبحانه وتعالى - **(فِيهَا)** قدمه، ولئلا يتوهَّم المستمع بأنَّ قَدَمَ الله

تدخل النَّار ساق الراوية الأخرى فقال: **(وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ)** ومعنى في: بمعنى على كما قال فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه: ٧١] أي: على النخل.

وفي هذا إثبات القدم لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وله سبحانه قدمان تليق به سبحانه، والدليل: أنَّ عباس رضي الله عنهما لما سُئِلَ عن الكرسي قال: «هُمَا مَوْضِعُ قَدَمَيِّ الرَّحْمَنِ» فله سبحانه قدمان.

فإذا وضع الجبَّار عليها قدمه **(فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ)** أي: يميل بعضها على بعض، فتمتلي بعد أنْ كانت واسعةً مَالَ بعضَها إلى بعض، وفي هذا دليلٌ على قوة الله سبحانه؛ إذْ بوضع القدم عليها انزوت، ويدل أيضاً على كمال عدل الله سبحانه؛ إذْ لم يخلق أحداً إلى النَّار ليملأها، فإنَّ الجنَّة إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة يبقى فيها فضاء فينشئ الله ﷻ أقواماً يخلقهم يوم القيامة لم يعملوا خيراً قطُّ فيدخلهم الجنَّة، أما النَّار فلا ينشئ لها أحداً؛ لئلا يُعَذب - سبحانه وتعالى - أحداً لم يستحقها وهذا من كمال عدله.

(فَتَقُولُ) وهذا يدل على أنَّ الجمادات منها ما يتكلَّم، وتتكلم النَّار وتقول: **(قَطْ، قَطْ)** هذا اسم فِعل مضارعاً أي: يكفيني، يكفيني يعني: امتلأت؛ لأنَّ الله ﷻ وَعَدَ الجنَّة فقال: «أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي» ووعد النَّار وقال لها: «أَنْتِ عَذَابِي أُعذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ

عِبَادِي» ووعد الثنتين بقوله - ﷻ -: «كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا» فوعد سبحانه أنْ يملأ الجنَّة ووعد سبحانه أنْ يملأ النَّار.

ويدل هذا أيضاً على وجوب الفرار إلى الله ﷻ، والحذر من الوقوع في السيئات؛ إذْ النَّار واسعةٌ، كلُّ من طغى فالنَّار تَسَعُه، وليهرُب الإنسان إلى الله ﷻ بعمل الصَّالحات.*

قال ؒ: **(وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمَ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ...)**

ساق المصنفُ ؒ هنا حديثين؛ لإثبات: صفة الكلام لله ﷻ على ما يليق بجلال الله وعظمته.

قال: **(يَقُولُ اللَّهُ)** هذا فيه دليلٌ على أنَّ الله يتكلَّم؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ وصف ربَّه بأنَّه يقول أي: يتكلَّم **(يَا آدَمَ)** وهذا الكلام يوم القيامة، فيدل على أنَّ الله ﷻ تكلَّم ويتكلَّم وسيتكلَّم - ﷻ -، متى شاء إذا شاء بما شاء.

(فَيَقُولُ) آدم، هذا يدل على أنَّ كلام الله ﷻ بصوتٍ وحرفٍ؛ لأنَّ آدم سمعه فيجيب آدم فيقول: **(لَبَّيْكَ)** أي: أجيب طلبك هذا، ولو أمرتني ثاني أجبتك يعني: إجابةً بعد إجابة **(وَسَعْدَيْكَ)** يعني: أنا سعيدٌ بتلبية

إجابَتك سعادةً بعد سعادة، يعني: ما أعظمها من سعادة وأنا امتثل أمرك يا رب.

(فَيُنَادِي بِصَوْتٍ) هذا يدل على أنَّ كلام الله ﷻ له صوتٌ مسمعٌ، وفي هذا ردٌّ صريحٌ لمن نفى الكلام عن الله ﷻ - تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلك -، «فَيُنَادِي بِصَوْتٍ» هذا فيه إثبات أيضاً صفة الكلام **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ)** أقواماً **(بَعْثاً إِلَى النَّارِ)** أي: يبعثون إلى النَّار يلقون فيها، فذلك قوله سبحانه: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[المزمل: ١٧].

وتتمَّة الحديث: «قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ، أُرَاهُ قَالَ : تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ - من النَّار وواحدٌ في الجنَّة - فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلِ حَمْلَهَا ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾» فهنا يشيب شعر حتى الولد - الوليد الصغير - من هول ذلك الأمر؛ لأنَّ النَّاجين من النَّار قلَّة جداً، وفي لفظ: «مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ» وفي هذا يدل على أنَّ الإنسان في خطرٍ، وقد يكون ممن يبعث إلى الله ولا يشعر لكثرة المبعوثين إلى النَّار.

ثم بعد ذلك ساق الحديث الثاني؛ لإثبات أيضاً: صفة الكلام لله ﷻ قال: **(وَقَوْلِهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ)** يعني: ليس أحدٌ مخلوقٌ منكم **(إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ)** يعني: كفاحٍ من غير واسطة، وهذا هو الذي يقول النَّاس عنه: اتَّق الله إذا وقفت بين يدي الجبَّار هنا الله يكلمك

ويحاسبك على أفعالك (**لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ**) في أنْ يلقِّنك ويعلمك ما تقول (**وَلَا تُرْجُمَانٌ**) أي: واسطة بينك وبين الله.

وقوله الشاهد: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ » فدلَّ على أنَّ الربَّ يتكلم - سبحانه وتعالى - ويكلم جميع المخلوقين لحسابهم على أعمالهم.

وسيأتي أنَّ الله عز وجل يقرُّ المؤمن على سيئاته، ثم يستره سبحانه؛ فدلَّ على أنَّ أهل السُّنَّة يثبتون أنَّ الله يتكلَّم بالأدلة السابقة من القرآن ولما جاء في السُّنَّة.

وكما سبق قلنا لكم: أنَّ المصنفَ رحمه الله أكثر من ذكر هذه الصفة بخمسةٍ وعشرين دليلاً من القرآن، وهنا ساق دليلان؛ لشدَّة المحنة التي وقعت في عصره وقبل عصره وبعده.*

قال رحمه الله (**وَقَوْلِهِ ﷺ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ**: «**رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُك فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ...**» **حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ**)

ساق المصنفُ رحمه الله هنا عدة أحاديث؛ لإثبات: أنَّ الله عز وجل في السَّماء أي: لإثبات صفة العلو لله - سبحانه وتعالى -.

قال: (**وَقَوْلِهِ ﷺ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ**) يعني: في الدعاء للمريض؛ إذْ الرقية تطلق على الدَّواء المعنوي للمريض، والدَّواء المعنوي وهو بقراءة القرآن أو بالأدعية النَّبويِّة كهذا الحديث.

(**رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ**) هذا حديثٌ عظيمٌ فيه توسل بعدد من صفات الله سبحانه لشفاء المريض (**أَمْرُك فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**) هذا هو الشاهد، الشاهد لفظان:

اللفظ الأول: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ» والمراد بالسَّماء أمران: إما أنْ يراد به العلو وهذا يصح لغةً، فكلُّ ما سما عنك أي: ارتفع عنك أي: على عنك، ويطلق ويراد معنى في بمعنى على. «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ» يعني: ربنا الله الذي على السماء فوق عرشه سبحانه، وكلا المعنيين صحيح.

(**تَقَدَّسَ اسْمُكَ**) اسم هنا مفرد أُضِيْفَ للضمير، والمفردُ إذا أُضِيْفَ للضمير يطلق على الجمع أيضاً، يعني: تقدَّست جميع أسمائك، ومعنى

تقدَّس: أي تطهَّر وتنزَّه، أي: أنَّ أسماءك يا رب كلُّها حُسنى لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه.

قال: (**أَمْرُك فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**) يعني: أمرك ينْفذ في السماء وينْفذ أيضاً في الأرض، فالله سبحانه يأمر أهل السماء ويأمر أهل الارض (**كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ**) الرحمة تنْقسم إلى قسمين:

القسم الاول: رحمةٌ صفةٌ منْ صفات الله ﷻ غير منفصلة عنه، وهي غير مخلوقة كما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨] وهذه غير مخلوقة.

والقسم الثاني: رحمةٌ مخلوقةٌ وهي من أثر رحمة الله ﷻ غير المخلوقة، مثال ذلك: قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً» فهذه الرحمة مخلوقة وهي أثر منْ رحمة الله ﷻ التي هي صفةٌ منْ صفاته.

فهنا «كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ » يعني: بهذا رحمتُك أيضاً تسري على أهل السماء اجعل رحمتك في الأرض وهي الرحمة المخلوقة، هذا توسلٌ برحمة الله ﷻ.

ومن التَّوسُّل: التوسل بصفة العلو لله « رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ » ، ومن التوسل في هذا الحديث مدح الله ﷻ بأسمائه « تَقَدَّسَ اسْمُكَ » ، ومن التوسل في هذا الحديث التوسل برحمة الله ﷻ، كلُّ هذا التَّوسل مع توسُّلٍ سيأتي.

قال: (**اغْفِرْ لَنَا حُوْبَنَا**) الحُوْب: كبائر الذنوب، (**وَخَطَايَانَا**) أي: صغائر الذنوب، وإذا أُطْلقَتْ الخطايا دونَ الحُوْب فتشمل كبائر الذنوب وتشمل أيضاً صغائر الذنوب (**أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ**) والمراد بالطيبين هنا: المؤمنون، فكلُّ مؤمنٍ طيبٍ، وهذا توسلٌ بربوبية الله ﷻ الخاصة، وربوبيته - سبحانه وتعالى - تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ربوبية عامة كما قال سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: ٢].

القسم الثاني: ربوبية خاصة وهي ربوبيته سبحانه للطيبين، ومثل أيضاً: أَقُولُ: يا رب أنت ربُّ الأنبياء، ومثل قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ» فهذه ربوبية خاصة.

(**أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ**) يعني: على هذا المرض، ويصح على هذا الوَجِعْ يعني: على هذا المريض. « أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ » أي: مخلوقة، « وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ » وهذا يدل على أنَّ من أسماء الله الشَّافي؛ لذلك قال: «وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ » فالله هو الشَّافي « عَلَى هَذَا الْوَجَعِ ».

وتتمَّة الحديث: « فَيَبْرَأْ » ويصح: فَيَبْرَأَ أي: لكي يَبْرَأَ، ويصح بالرفع فَيَبْرَأُ وهذا من باب الإخبار أنَّ من قال ذلك فالمريض يُشْفَى - بإذن الله -.

ثم بعد ذلك قال: **(وَقَوْلِهِ: أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!)** وهذا الشاهد «مَنْ فِي السَّمَاءِ».

وَقَوْلُهُ: « أَلَا تَأْمَنُونِي » قالها النَّبِيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام لما قيل له: « اعْدِلْ فِي القِسْمَّةِ » في حنين، فغضب النَّبِيُّ ﷺ وقال: « أَلَا تَأْمَنُونِي » أي: ألست أميناً على قسمة الله ﷻ لكم؟ « وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟! » يعني: من في السماء جعلني أميناً له مبلِّغاً لرسالته.

فقوله: « وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟! » يدل على إثبات العلو لله ﷻ، وجميع الطوائف تنكر صفة العلو، ولم يثبتها سوى: أهل السُّنَّة، قال ابن القيم ؒ: « وَفِي إِثْبَاتِ العُلُوِّ أَلْفُ دَلِيلٍ مَا بَيْنَ كِتَابٍ، وَسُنَّةٍ، وَعَقْلٍ، وَفِطْرَةٍ » وسيأتي - إنْ شاء الله - أيضاً بقيت الأدلَّة على إثبات صفة العلو لله سبحانه.*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ**)

ساق المصنفُ رحمه الله أربعة أحاديث؛ لإثبات: علو الله سبحانه على خلقه، سبق حديثان ويذكر هنا حديثين.

الحديث الثالث: (**وَقَوْلِهِ: وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ**) يعني: فوق السموات السبع وفوق البحر، ويأتي بعد ذلك العرش، (**وَاللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ**) - سبحانه وتعالى -، فدلَّ على أنَّ الله عالٍ على جميع مخلوقاته، وهذا الشاهد، قال: (**وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**) أي: مع عُلوِّهِ فوق جميع مخلوقاته يعلم جميع أعمال الخلق، وفي هذا إثبات العلو لله - سبحانه وتعالى -، وسيأتي - بإذن الله - أنَّ علوَّه لا ينافي معيته، أو قُرْبَهُ منْ خلقه.

وقوله: « يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ » يدل على أنَّ المسلم يجب عليه أنْ يراقب ربَّه؛ لأنَّ الله يراه كما قال سبحانه: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣] قال: (**حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ**) .

ثم بعد ذلك ساق الحديث الرابع والأخير في إثبات علو الله على خلقه من السُنَّة فقال: (**وَقَوْلِهِ**) صلى الله عليه وسلم (**لِلْجَارِيَةِ**) أي: البنْت الصغيرة (**أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ**) أي: في العلو، أو فوق السماء (**قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ**

رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ) وهذا يدل على عدة مسائل:

المسألة الأولى: قوله: (**وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ أَيْنَ اللَّهُ؟**) يدل على وجوب تعليم الأولاد الصِّغار - وإنْ كانوا إناثاً - العقيدة.

المسألة الثانية: يدل على أنَّ تعليم الأسماء والصفات للصغار واجبٌ شرعاً؛ فهذه البنْت الصغيرة أجابت عن صفةٍ عظيمةٍ منْ صفات الله أنْكرها علماء من المعتزلة، ومن الجهمية، ومن الأشاعرة، والماتريدية وغيرهم.

المسألة الثالثة: يدل على أنَّ أول ما يُلَقَّن به الصغار أسماءُ الله وصفاتُه، مثل أنْ يقال للصغير: الله - سبحانه وتعالى - كبيرٌ، والله عظيمٌ، والله جميلٌ، والله سميعٌ، والله بصيرٌ، والله في السماء ... وهكذا.

المسألة الرابعة: قوله: (**أَيْنَ اللَّهُ؟**) يدل على جواز السؤال عنْ مكانِ الله سبحانه خلافاً لأهل البدع الذين أنْكروه، والسؤال عنْ المكان لا يعنِي أنَّ المكانَ يحوي الله، بل الله كبيرٌ - سبحانه وتعالى - لا يحويه شيءٌ منَ الخلق.

المسألة الخامسة: (**قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ**) يدل على أنَّ الله تعالى في العلو؛ لإقرار النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لها، وهذا ما جاءت به نصوص الكتاب كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك: ١٦]، وقوله: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك: ١٧]، وهي صفةُ كمالٍ في حقِّ الله - سبحانه وتعالى - وهو مستحقٌ لكلِّ كمال.

المسألة السادسة: قوله: (**قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ**) يدل على وجوب تلقين الصغار شهادة أنَّ محمداً رسول الله؛ إذْ هي أصلٌ منْ أُصُولِ الدين.

المسألة السابعة: يدل على أنَّ الصغير لا يُحْتَقَرْ؛ فهذه بنْتٌ صغيرةٌ عَرَفَتْ رسول الله ﷺ، وكان الأعراب يأتون إلى النَّبيِّ ﷺ ولا يعرفون شَخْصَهُ فيقولون: أَيْنَ محمد؟ وهذه صغيرةٌ عرفت أنَّ هذا هو رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام، والمرأة التي تُصْرَع وهي كبيرةٌ ما عرفت النَّبيَّ ﷺ فالصغير لا يُحْتَقَرْ.

المسألة الثامنة: قوله: (**قَالَ: أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**) يدل على أنَّ الكافر ليس أهلاً أنْ يُعْتَق، بل جاء التقييد بالإيمان في عِتْقِ الرَّقَبَة كما قال سبحانَه: ﴿وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾[النساء: ٩٢].

المسألة التاسعة: قوله: (**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**) يدل على أنَّ أعظم ما يَرفع المرء - ولو كان صغيراً أو أنْثى - هو العلم؛ فلمَّا علمت مسائل عظيمة في العقيدة كانت أهلاً أنْ تُعْتَق، وَرُفِعَ شأنُها، بل كانت حياةً لمنْ قلبه مُسْتَيْقِظٌ؛ إذْ أنَّ بنْتاً صغيرةً عرفت ما جَهِلَهُ كبار أهل البدع.

المسألة العاشرة: قوله: (**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**) يدل على أنَّ الصغار إنْ أجابوا في أمورٍ سُئِلوا عنْها لا سِيَّمَا في الدين يُشْرَع أنْ يُهْدى إليهم شيءٌ؛ فالنَّبيُّ ﷺ أمر لهذه الجارية بشيءٍ عظيمٍ وهو عتقها.

المسألة الحادية عشرة: يدل على شرف الحرِّية على الرِّق؛ فأعطاها النَّبيُّ ﷺ أعظم ما يتمنَّاهُ المؤمن الرَّقيق وهو الحرِّية.*

قال ﵀: (**وَقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ**)

ذكر المصنفُ ﵀ هذا الحديث؛ لبيان: إثبات صفة المعية من السُّنَّة، وأنَّ الإيمان بها أفضلُ الإيمان؛ لأنَّه أمرٌ غيبيٌّ.

وقد سبق أنَّ المصنفَ ﵀ ذكر خمس آياتٍ؛ لإثبات: صفة المعية، ثم لما ذكر السُّنَّة ذكر هذا الحديث.

قال: (**وَقَوْلِهِ ﷺ: أَفْضَلُ الْإِيمَانِ**) يعني: أفضل منزلةً في الإيمان: (**أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ**) وكان إثبات صفة المعية لله ﷻ من أفضل الإيمان؛ لأنَّ ضِعَافَ أهل الإيمان لا يستطيعون أنْ يجمعوا بين صفة العلو والمعية لله ﷻ، فكان إثبات هذه الصفة غيباً محضاً فكان أفضل الإيمان، والمعية كما سبق تنقسم إلى قسمين:

المعية الأولى: معيةٌ عامةٌ لجميع الخلق كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤]، أي: مع جميع الخلق من المؤمنين والكفَّار معهم سبحانه بعلمه واطِّلاعه وهيمنته عليهم وغيرِ ذلك من لوازم تلك المعية، وهذه المعية لا يمدح عليها المخلوق.

والمعية الثانية: هي التي يمدح عليها المخلوق ويسعى لها وهي المعية الخاصَّة، وهي خاصةٌ بمن جاء النَّص بهم كالصابرين كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وكالذَّاكرين كما في الحديث: «وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي» ... وهكذا، وهذه هي الصفة التي يجب أنْ يسعى المسلم لها؛ إذْ لا ينالُها سواه - أي: سوى المسلم -، والكافر ليست له معيةٌ خاصَّة.

لذلك نؤمن بأنَّ الله ﷻ وهو في علوه هو معنا، وهذا لا يتنافى مع العلو؛ لأنَّ الله سبحانه ليس كمثله شيءٌ، فمن كان صابراً نقول: الله ﷻ معك حقيقةً يُصبِّروك ويُثيبك ويُعينك على الشِّفاء، وتخفيف الكُرْبة ونحو ذلك، وكذلك المتَّقي الله معه بحفظه، وتيسير رزقه، ورعايته، وعزِّه، وهيبته وغير ذلك من لوازم المعية الخاصَّة.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)**

لما ذكر المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفة المعية أعقبها بعد ذلك بصفة أخرى عظيمة وهي صفة: القُرْبِ - أي: قُرْبُ الله عَزَّ وَجَلَّ منْ سائليه وعابديه -، وساق لهذه الصفة ثلاثة أحاديث:

الحديث الاول: **(إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ)** أي: دخل في الصلاة **(فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ)** أي: أنَّه قِبَلَ وجهه حقيقةً، أي: أنَّه قريبٌ مِنْه، وَقُرْبُ الله مِنْ عباده يكون في أمرين:

الأمر الأول: حال الدعاء كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

والأمر الثاني: يَقْرُبُ الله عَزَّ وَجَلَّ من عابديه كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ» ومكان في العام يَدْنُو الله مِنْ عابديه وهو في عرفة كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ» .

وهذه المنزلة - أي: الْقُرْب - لا تكون إلا للصِّنْفَين السَّابِقَيْن، وليس لعموم الخلق، والفرق بين الْقُرْبِ والمعِيَّة:

أولاً: أنَّ المعية تنْقسم إلى قسمين: معيةٌ لجميع الخلق، ومعيةٌ خاصَّة، وأما القرب فلا ينقسم، وإنَّما لعابديه وسائليه، وهذه الصِّفة لا تتنافى مع علوِّ الله ﷻ وفوقيته، فهو عالٍ ويَقْرُب من المصلي، بل يَقْرُبْ مِنْ جميع المصلين ولو كانوا مئات الآلاف في وقتٍ واحدٍ.

فإذا قيل كيف يكونُ ذلك؟ نقول: إنَّ الله كبيرٌ، والله ﷻ قال عنْ نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ومخلوقٌ يراه النَّاس كلَّ يوم: جميع المخلوقين يَظنون أنَّه قريبٌ منْهم بل أحياناً يبتعدون عنْه يَظنون قُرْبَهُمْ وهي الشمس، فَفِي مَطْلَعِهَا يظنُّ النَّاس جميعاً في وجه هذا وهذا وهذا، وإذا زالت عنْد الأصيل كلُّ واحد من النَّاس يظنُّ الشمس في وجهه، والله ﷻ ليس كمثله شيء، فإذا كانت هذه الصِّفة يراها المخلوق مع مخلوقٍ فما ظَنُّكَ بهذه الصفة من الخالق - سبحانه وتعالى -!

« فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ » وهذا يدل على عظمة الصَّلاة؛ فإذا أردت أنَّ الله يَقْرب مِنْك فَصَلِّ، ويدل أيضاً على حُبِّ الله ﷻ للمصلِّين؛ إذْ قَرُبَ مِنْهُم، ويدل أيضاً على تعظيم شأن المسلم وإنْ كان صغيراً؛ فالله ﷻ يَقْرب من المصلي ولو كان صغيراً، بل ولو كان أنْثى.

قال: **(فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ)**؛ لأنَّ الله قِبَلَ وجهه **(وَلَا عَنْ يَمِينِهِ)** وجاء التَّعليل في حديثٍ آخر في صحيح البخاريِّ: «فإِنَّ عَنْ يَمينِهِ مَلَكٌ».

قال: **(وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ)** يعني: ليبصق عنْ يساره (**أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ)** أمرٌ آخر، ويدل على تعظيم جهة اليمين على الشِّمال، ويدل على أنَّ كلَّ

مُسْتَقْذَرٍ يكون بالشِّمال أو عن الشمال، وهذا إذا لم يكنْ هناك حصيرٌ، فإنْ كان ثَمَّ حصيرٌ فلا يَبْصُقْ حتى ولو على يساره؛ لئلا يَتَّسِخ سجّاد المسجد، وإنَّما في مِنْدِيلٍ أو قِمَاشٍ أو نحو ذلك.*

قال ﷺ: **(وَقَوْلِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنَزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ...» رَوَاهُ مُسْلِمٌ)**

لا زال المصنفُ ﷺ يذكر الأدلّة من السُّنَّة؛ لإثبات: صفة القرب منَ الله، مضى دليلٌ ويذكر هنا ﷺ دليلين:

الدليل الأول: ساق هذا الحديث الطويل، وهذا الحديث ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: توسلٌ بخمس صفاتٍ لله ﷻ؛ للاستعاذة بشرِّ كلِّ دابَّة.

والقسم الثاني: توسلٌ بأربع صفاتٍ لله ﷻ؛ لقضاء الدين والاستعاذة من الفقر.

قال: **(اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ)** هذا هو التَّوسُّل الأول: توسلٌ بربوبية الله ﷻ للسموات والأرض.

(وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) هذا التَّوسُّل الثاني: توسلٌ بربوبية الله ﷻ بأنَّه ربُّ العرش العظيم - سبحانه وتعالى -.

والتَّوسُّل الثالث قوله: **(رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ)** توسلٌ بربوبية الله لنا، وبربوبيته لجميع المخلوقات، وهذا من عَطْفِ العام على الخاص، فالسموات السبع، والأرضون، والعرش العظيم داخلةٌ في قوله: «وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ» لكن ذكر المخلوقات السابقة؛ لكون السموات والأرض من أكبر المخلوقات، وذكر العرش لكونه أكبر المخلوقات.

التوسل الرابع ذكره بقوله: **(فَالِقَ)** يعني: توسلٌ بقدرة الله ﷻ يعني: مخرج **(الْحَبِّ)** الذي يَنْبُت به الزرع كالبَّصل والثوم وغيرهما، **(وَالنَّوَى)** الذي تخرج به الزروع كشجر البرتقال والرمان وغير ذلك، أي: توسلٌ بقدرة الله في إخراج النبات الذي لا ساق له وهي الصغيرة، والتي لها ساق وهي الكبيرة كالنَّخل وغيرها.

والتَّوسُّل الخامس ذكره بقوله: **(مُنَزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ)** أي: توسلٌ بعلو الله -سبحانه وتعالى-، وتوسلٌ أيضاً برحمته سبحانه؛ إذْ رَحِمَ الخلق بإنزال الكتب هذه عليهم؛ لتكون هدايةً لهم.

وقوله: «التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ» مرتبة على زمن النزول، التوراة: اليهود، ثم النصارى، ثم للمسلمين.

هذه التَّوسلات الكثيرة؛ للاستعاذة من شيءٍ عظيمٍ وهو **(أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ)**؛ إذْ أنَّ الشُّرور على المسلم مُسَلَّطَة مِنَ الإنْس والجن، إنْس: من الحاسدين، والحاقدين، والعائنين - أي: الذين يُصِيبُونَ الآخرين

بالعين -، أو بالسِّحر، أو بالكيد من النِّساء وغيرهنَّ أو غير ذلك، ومن الجنِّ: بالأذى، أو التَّلبس، أو غير ذلك.

وقوله: (**أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا**) هذا فيه توسلٌ للاستعاذة بقدرة الله وقوته والتَّلطف مع الله ﷻ والاسترحام؛ لإظهار أنَّ هذه الدَّوَاب ضعيفةٌ عنْدك يا رب فأنْت آخذٌ بناصيتها، وإذلال المرء إذا سُحِبَ مِنْ ناصيته؛ إذْ أنَّ النَّاصية مَحِلُّها الارتفاع والعلو وإنْزالها باليد إهانةٌ، فكأنَّ الدَّاعي يقول: يا رب هذه مخلوقاتٌ ضعيفةٌ أنْت تأخذ بناصيتها وتدقها في الأرض؛ لتصرف شرها عنَّا.

ثم بعد ذلك انْتقل إلى الدعاء الثاني: (**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ**) الأول من أسماء الله، وتفسيرها مثل: ما فَسَّرَ النَّبيُ ﷺ (**فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**) فليس قبل الله ﷻ شيءٌ، ففيه إثبات صفة الأولية لله - سبحانه وتعالى -، وهذا توسلٌ بهذا الصفة الأولى صفة الأولية.

(**وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**) هذا توسلٌ لله بصفة الآخريَّة لله - سبحانه وتعالى -، فليس بعد الله شيء، فهو الأوَّل والآخر.

والصفة الثالثة ذكرها بقوله: (**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**) هذا توسلٌ بظاهرية الله - سبحانه وتعالى -، ويصح أنّ نقول: بظهور الله سبحانه؛ إذْ ليس فوق الله شيء فهو العليُّ - سبحانه وتعالى - كما قال ﷻ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾[البقرة: ٢٥٥].

والتوسل بالصِّفة الرابعة ذكره بقوله: (**وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**) وهذا هو الشَّاهد منْ هذا الحديث؛ إثبات صفة القرب لله ﷻ، «الْبَاطِنُ» توسلٌ بصفة الباطنية لله، ويصح أنْ نقول: توسلٌ بصفة الْبُطُون لله سبحانه، «فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» يعني: يا رب أنْت قريبٌ منَّا جداً، فكلُّ شيءٍ ليس دونك شيءٌ فيه، فأنْت قريبٌ منْه سبحانه، وهذا هو الشَّاهد، وقُرْبُهُ سبحانه في هذا باطنٌ فليس دونك شيءٌ مُفَسَّرٌ صريحٌ في قُرْبِ الله سبحانه من عابديه وسائليه.

بعد هذه التَّوسلات الأربع بصفات الله ﷻ؛ لطلب تحقيق أمرٍ من الله ﷻ وهو: (**اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنْ الْفَقْرِ**)؛ إذْ أنَّ الفقر قد ينْقل المرء من ملَّة إلى ملَّة كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠]، والفقر أيضاً قد يُهْتِكُ العرض كما في الصحيح في المرأة التي جلست بين رجل فقالت له: «اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ» ما دعاها لذلك إلاَّ الفقر.

والفقر يُهَجِّر مِنَ الأوطان، والفقر يَحْجُبْ الأماني والطُّمُوحات، والفقر مهلكٌ للنَّفس، فقد يطلب الأولاد ما لا عنْدك فتتأَّذَّى؛ لذلك أمر النَّبيُ ﷺ بالاستعاذة منْه، وأمر بقضاء الدَّيْن والغنى من الفقر.

ثم بعد ذلك قال: (**وَقَوْلِهِ - لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ -: «أَيُّهَا النَّاس، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**) أي: لا تؤذوا أنْفُسَكُم برفع الصَّوت فيه؛

(فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ) يعني: حاضر لكنْ لا يسمع؛ إذْ أنَّ منْ طبيعة الأصمِّ رفع الصَّوت عنْده فيسمع **(وَلَا غَائِبًا)** أي: ليس يسمع لكنَّه بعيد.

(إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا) يسمع الأصوات وهو في العلو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - **(قَرِيبًا)** هذا هو الشَّاهد؛ إثبات صفة القُرْبِ لله عَزَّوَجَلَّ، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ قربه سبحانه منْ عابديه وسائليه قُرْبٌ بذاته سبحانه، وليس معنى ذلك الحلول في كلِّ مكان، وإنَّما: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].*

قال رحمه الله: (**وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلاَّ تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ**)

ساق المصنفُ رحمه الله هذا الحديث؛ لإثبات: أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم في أرض المحشر، ويرونَه في موضعٍ آخر وهو الجنَّة.

وقد أنْكر أهل البدع أنَّهم يرون ربَّهم، وهذا من العذاب في قلوبهم؛ إذْ حَرَمُوا أنْفسهم خيراً الله عز وجل أعطاهم إياه وهو النَّظر لوجهه الكريم.

والمصنفُ رحمه الله ختم آيات الصفات بآيات إثبات المؤمنين لربهم، وذكر هناك ثلاث آيات: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥].

وختم أيضاً أحاديث الصفات بحديث الرؤية هذا؛ لأنَّ أهل الجنَّة يتمتَّعون برؤية ربِّهم إذا دخلوها، فهذا تفاؤلاً من المصنفِ بأنَّ نهاية مطاف الإنْسان الجنَّة ورؤية وجه الله، وكذلك نهاية الأحاديث إثبات رؤية الله - سبحانه وتعالى -، ومن أنْكر الرؤية كَفَرَ؛ لمصادمته النُّصوص من الكتاب والسُّنَّة.

قال: (**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**) يعني: يا أيُّها الخلق جميعاً سترون ربَّكم وهذا في الموضع الأول، والخلق يرونَ ربَّهم في موضعين:

الموضع الأول في أرض المحشر كما قال سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥]، وفي هذا الموضع يراه المؤمنون والكفَّار والمنافقون، لكنْ المنافقون والكفَّار لا ينظرون إليه نظر تمتُّع، وأهل الإيمان يتمتَّعون برؤية الله ﷻ في المحشر.

والموضع الثَّاني: بعد دخول الجنَّة كما قال سبحانه: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أي: في الجنَّة ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: في الجنَّة، وفي صحيح مسلم فسَّر النَّبيُّ ﷺ هذا المزيد بالرؤية.

ورؤيته سبحانه أَجْمَلُ مما في الجنَّة جميعا؛ لجمال الخالق سبحانه، وتلك جمادات أو مخلوقات - أي: مما في الجنَّة - من الجمال، ويراه الرجال بكرةً وعشياً كما سيأتي - إنْ شاء الله - في آخر الحديث، وعند الدارقطني: أنَّ النساء يرينَ الله ﷻ يوم الفطر والأضحى؛ لذلك شُرِعَ للنساء الخروج يوم العيد، وكذلك صلاة الفجر وصلاة العشاء جزاء المحافظة عليها: الرؤية الكاملة لله ﷻ في الجنَّة كما سيأتي.

(كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ) وهذا تشبيه رؤية بالرؤية: كما ترى القمر: سترى الله، وليس القمر كالله ﷻ لا، ليس تشبيه المرئي بالمرئي **(لَيْلَةَ الْبَدْرِ)** يعني: كبيرٌ وواضحٌ **(لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ)** فيها ثلاثة ألفاظ:

« لَا تُضَامُونْ » يعني: من الضَّيم وهو الظلم، أي: لا يظلم بعضكم بعضاً بمنع بعضكم بعضاً من الرؤية، وإنَّما هو واضحٌ يراه الجميع.

وروي: «لَا تُضَامُّونَ» أي: لا ينضم بعضكم بعضاً يقول: بعضكم لبعض انظر هذا القمر لا، ليس هذا دقّق في النظر وإنَّما هذا القمر، وإنَّما واضحٌ لا يحتاج إلى أنْ يدلَّ أحدكم الآخر في النظر له.

وروي الرواية الثالثة: لا تُضَارُّون أي: لا يضر بعضكم بعضاً في رؤيته بالازدحام، وإنَّما كلٌّ يراه - أي: المخلوق - في مكانه، وهذا حديثٌ قطعيٌّ فيه إثبات الرؤية.

ثم حثَّ النَّبيُّ ﷺ على عملٍ يُثاب عليه المرء لرؤيةٍ كاملةٍ واضحةٍ لله، وهي المحافظة على صلاتين عظيمتين قال عنهما النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» البردين يعني: طرف الليل وطرف النهار، البرد المقصود به الطرف.

قال: **(فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلاَّ تُغْلَبُوا)** يعني: لا يغلبكم أحدٌ على تركها من نومٍ أو عملٍ وغيرها **(عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ)** وهي الفجر فحافظوا عليها فثوابها هناك بالرؤية، **(وَ)** صلاةٍ **(قَبْلَ غُرُوبِهَا)** وهي العصر؛ لأنَّه رويَّ أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم بكرةً وعشيةً.

وهذا أعظمُ كرمٍ من الله ﷻ لعباده: أنْ أَذِنَ لهم برؤيته حتى يرى الإنسان من هذا الذي خلق الكون؟ ومن هذا الذي تصلي له؟ ومن هذا الذي تخاف منه؟ ومن هذا الذي تحبُّه؟ ومن هذا الذي ترجه؟

ثم قال: (**إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ**) يعني: أُذْكُر واعتقد وسرْ على القاعدة السَّابقة «إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ» بالإيمان بها (**الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ**) فما أخبر به النَّبيُّ ﷺ نؤمن به كما في القرآن تماماً، ويكون المصنفُ ﵀ إلى هنا انتهى من ذِكرِ آيات الصفات، وأحاديث الصفات.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ - أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ، ...)**

يذكر هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما هو موقف أهل السُّنَّة من أحاديث الصفات، ويذكر هنا أنَّ موقفهم منها أمران:

الأمر الأول أَشَارَ إليه بقوله: **(فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ - أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ)** يعني: يؤمنون بما ثبت من الأحاديث.

والأمر الثاني: أنَّ إيمانهم بأحاديث الصفات: كإيمانهم بآيات الصفات من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَإِنَّ الْفِرْقَةَ» يعني: الجماعة «النَّاجِيَةَ» أي: ناجيةٌ في الدنيا من البدع، وناجيةٌ في الآخرة من النَّار، من هي هذه الفرقة الناجية من النَّار؟ «أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ» أي: يؤمنون بأحاديث الصفات الثابتة، أما غير الثابتة لا يأخذون بها مثل: يا حنَّان فالحنَّان ليس من أسماء الله؛ لأنَّه ضعيفٌ، ومثل: قصر أسماء الله التسع والتسعين على ما رواه الترمذي في تعدادها؛ فالحديث ضعيفٌ، ومن باب أولى ما لم يثبت من أسماء الله مثل: الرشيد، والجواد وغيرهما هذا الموقف الأولى.

الموقف الثاني: (**كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ**) يعني: من آيات الصفات، وإيمانهم بالكتاب والسُّنَّة سواء (**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ**) للنصوص (**وَلَا تَعْطِيلٍ**) ولا يعطّلونها، (**وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ**) لا يكيفونها بكَيْفٍ يختارونه (**وَلَا تَمْثِيلٍ**) أي: ولا يمثِّلون صفات الله بأحدٍ من مخلوقاته.

ولما ذَكَرَ أنَّ هذا هو معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في آيات الصفات ووصفهم بأنَّها ناجيةٌ، قال في وصف آخر أيضاً لهم: هم الوَسَطيّة في كلِّ شيءٍ لذلك قال: (**بَلْ هُمُ**) أي: أهل السُّنَّة والجماعة (**الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ**) التي أخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّها ستفترق إلى ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النَّار إلاَّ واحدة، فالوسط من هذه الثلاث والسبعين هي أهل السُّنَّة والجماعة، (**كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ**) يعني: أنَّ هذه الأمة هي العدل الخِيار السَّالكة سبيل الوَسَطيّة (**فِي الْأُمَمِ**) كلِّها مثل: اليهود جحدوا ربوبية الله فقالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، والنَّصارى غلت ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وأتت هذه الأمة وقالت: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنعام: ١٩]، ومثل: النَّصارى لا يتورعون عن النَّجاسات؛ فيطوون المرأة وهي حائض، واليهود غلوا في النَّجاسات فلا يبيتون مع حائض بمكانٍ واحدٍ، ويقرضون النَّجاسة بمقاريض هذا في أصل ملَّتهم وإنْ اختلفوا فيمن بعدهم كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

يعني: بين الأم، فأمةُ محمدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام هي أفضل الأمم، وأهل السُّنَّة والجماعة هي أفضل فرق أمة محمد ﷺ.

فأهل السُّنَّة هم خِيار من هذه الفرق من خِيار من بقية الأمم، أي: أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة في هذه الأمة هم خيرُ الفرق في الملل كلِّها، وهذا شرفٌ عظيمٌ لهم يدل على صفوتهم، واصطفائهم، وخِيرتهم وفضل الله ﷻ عليهم، ولا عَجَبَ من ذلك؛ لأنَّهم أثبتوا لله ﷻ ما أراده له - سبحانه وتعالى -، وأثبتوا لله ﷻ ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ، فلما عظَّموا الربَّ - سبحانه وتعالى - في صفاته: عَظَمُوا.

ولما أَسَّس المؤلفُ رحمه الله أنَّ هذه الأمة وسطٌ وأهل السُّنَّة هي الوسط، بدأ يذكر خمسة أصولٍ عظيمةٍ في وَسَطيِّة أهل السُّنَّة والجماعة من فرق هذه الأمة.

الأصل الأول قال: (**فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ** - سبحانه وتعالى -) وبدأ بهذا الأصل؛ لأنَّ العقيدة أُلِّفت فيه، وبدأ أيضاً بهذا الأصل لأنَّه هو أصل الأصول وهو الإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته (**بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ**) هذا وصفٌ لمعتقدهم (**الْجَهْمِيَّةِ**) الجهمية هم أتَّباع الجاهم بن صفوان، الجهمية: نسبةٌ لمؤسسهم، ومعتقدهم جحد أسماء الله وصفاته فيقولون: الله ﷻ ليس بعزيزٍ، والله ﷻ ليس بكريمٍ - تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلك -، ولا يتكلَّم وليس في العلو ... وهكذا، كلُّ صفةٍ في كتاب الله أو

اسم يجحدونه قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[الأعراف: ١٨٠] فسَّماهم الله ﷻ ملحدين، لذلك أجمعت الأمة على كفرهم.

وتفرع من هذا المذهب الخبيث في الطعن لله المعتزلة فأثبتوا الأسماء ولم يثبتوا من صفات الله سوى سبع صفات مجموعة في قولهم:

لَهُ الحَيَاةُ وَالكَلَامُ وَالبَصَرُ ... سَمعٌ إِرَادَةٌ وَعِلْمٌ وَاقْتَدَر

هذه سبع صفات ما عداها من الصفات لا يؤمن بها، له الحياة: يعني: يؤمنون بصفة الحياة لله، والكلام، والبصر، والسمع، والعلم، والإرادة، والقدرة، وما عداها ينفونها فينفون عن الله الاستواء، والعلو، والضَّحِك، والسَّخط، والـمَّقت وغيرها من الصفات العظيمة، وينكرون أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم وغير ذلك، وهم فرعٌ من الجهمية.

وفرعٌ ثالثٌ: هم الأشاعرة يثبتون الأسماء ويثبتون الصفات لله ﷻ ولكن يؤولونها، ومنهم أيضاً - أي: من الفرق الجهمية - الماترودية والكُلَّابية وكلُّها تدور في فلك الجهمية، فكلُّ من جحد شيئاً من صفات الله يصح أنْ يطلق عليه أنَّه جهميٌّ حتى ولو صفة واحدة، فهذا هو القسم الأول: فرَّطوا في إثبات صفات الله فلم يثبتوا شيئاً منها.

الطائفة الثانية قال: **(وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ)** يعني: أهل التمثيل فهم يقولون: الله له صفات لكنه مثل صفاتنا، فيده مثل أيدينا، وكلامه

مثل كلامنا، وعيناه مثل أعيننا ... وهكذا - تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلك -، فمنهم من مثَّل ومن شبَّه.

وإذا قيل ما الفرق بينهما: نقول: المعنى واحد لكن الممثِّلة أدَّق؛ لوردها في القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فالممثِّلة أفرطوا فأثبتوا الصفات وشبَّهها بخلقه، أهل السُّنَّة وسطٌ أثبتوا صفات فخالفوا الجهمية حيث أنكروا الصفات وقالوا - أي: أهل السُّنَّة -: نثبت الصفات لكن من غير تمثيل فكانوا وسطاً بين الطائفتين؛ لذلك كان أهل السُّنَّة خِياراً في هذا الباب العظيم.*

قال رحمه الله: **(وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ: بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ، وَفِي: بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ: بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ، وَبَيْنَ الوَعِيدِيَّةِ - مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ -)**

لما ذكر المصنفُ رحمه الله أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة وسطٌ بين فرق هذه الأمة، وذكر الأصل الأول: أنَّها وسطٌ بين الجهميَّة والممثِّلة، وسبق أنَّ الجهميَّة - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - ينفون الأسماء والصِّفات، والمعتزلة يثبتون الأسماء وينفون الصِّفات، والأشاعرة يثبتون الأسماء وينكرون الصِّفات سوى سبع صفاتٍ، وهذه السَّبع أيضاً يؤوِّلون بعضها ولا يثبتونها جميعاً.

ذكر بعد ذلك أصلاً آخر وهو الأصل الثاني بعد إثبات صفات الله وهو أفعال الله لذلك قال: **(وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ)** والمراد به حركات المخلوقين، وحركات المخلوقين انقسم النَّاس فيها إلى ثلاثة أقسام: أهل السُّنَّة هم الوسط فيها.

فقسمٌ: فرَّط في أفعال المخلوقين، فنفى قدرة الله جل جلاله على العبد، وهم الذين يقال لهم: القدريَّة يعني: نفوا قدرة الله على العبد، فقالوا: إنَّ العبد يتصرَّف بنفسه، ولا قدرة لله على تصرفات عبده - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، ومنْ لوازم قولهم هذا أنَّه يفعل كما يفعل الربُّ سبحانه في أفعاله.

وقسمٌ آخر: غلو في أفعال الله، فقالوا: إنَّ العبد لا إرادة له في أفعاله، فسلبوا العبد عن إرادته، فقالوا: إنَّ العبد مجبورٌ على فعله؛ لذلك سُمُّوا الجبريَّة، وهذه شبهةٌ شيطانيَّةٌ إبليسيَّةٌ، وتسمَّى أيضاً: شبهة المشركين كما

قال سبحانه: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾[الأنعام: ١٤٨] ، لكنْ جُبِرْنا على الشِّرك.

فأتى أهل السُّنَّة والجماعة وسط بين هذين القولين الباطلين فقالوا: لله ﷻ قدرة على فعل العبد، وقالوا: إنَّ العبد ليس مجبوراً على فعل نفسه، له قدرةٌ لكن تحت قدرة الله كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[التكوير: ٢٩].

مثال ذلك: الله ﷻ أعطاك قدرة تخرج منْ هذا الباب، أو منْ هذا الباب لكن لو شاء الله ما تخرج منْ هذا الباب تنْكسر مثلاً قدمك فتخرج منْ الباب الآخر، ومثل: الله ﷻ أعطاك قدرة تتزوَّج فاطمة، أو عائشة، فتذهب وتصل حتى تخطب فاطمة، لكنْ مشيئة الله ﷻ فوق مشيئتك قد لا تتزوَّج فاطمة، وإنَّما تتزوَّج عائشة ... وهكذا، لذلك الأشاعرة يرون الجبر يرون أنَّ العبد مجبورٌ على فعل نفسه، وكذا الرَّافضة يرونه مجبوراً على فعل نفسه.

والأصل الثَّالث ذكره بقوله: **(وَفِي: بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ)** يعني: نصوص التَّرهيب وسطٌ **(بَيْنَ)** بين طائفتين: **(الْمُرْجِئَةِ، وَبَيْنَ الوَعِيدِيَّةِ)** .

المرجئة: وهم الذين يقولون تَأخر العمل عن الإيمان، فلا يلزم من الإيمان العمل الصَّالح؛ لذلك سُمُّوا مرجئة يعني: تأخُّر العمل عن الإيمان، فقالوا: لا يحتاج عمل، فلا يحتاج أنْ تصلِّي، ولا يحتاج أنْ تحجَّ

ولا أنْ تصوم، يكفي الإيمان بالقلب، ومنْ هذا قول بعض النَّاس جهلاً إذا قلت له: لماذا تحلق لحيتك؟ يقول: الإيمان في القلب يعني: لا يؤثِّر العمل المحرَّم على الإيمان، وهذا مذهب المرجئة، فهذه الطائفة الأولى عطَّلت نصوص التَّرهيب، فقالوا: مَنْ كان مؤمناً يدخل الجنَّة.

القسم الثاني: هم الوعيديَّة الذين غلو في نصوص الوعيد، فقالوا: مَنْ فعل نصاً فيه وعيدٌ يكفر، فمن عقَّ والديه يكفر، ومنْ كذب يكفر ... وهكذا.

قال: (**مِنَ الْقَدَرِيَّةِ**) يعني: أهل القدر الذين يغلون فيه يغلون أيضاً في نصوص الوعيد (**وَغَيْرِهِمْ**) منَ الخوارج والمعتزلة، فهم يكفِّرون بالكبيرة.

أهل السُّنَّة والجماعة وسطٌ لا يعطِّلون نصوص الوعيد، ولا يغلون فيها، فقالوا: إنَّ كلَّ ذنبٍ دون الشِّرك متوعدٌ على صاحبه ليس كما يقول المرجئة، ولا يخرج منَ الإيمان كما تقول الوعيديَّة، بل هم وسط مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته.

وهذا بابٌ عظيمٌ منْ أبواب صحَّة الاعتقاد؛ إذْ أنَّ الإخلال بالقسم الأول وهو تعطيل النُّصوص فساد المجتمع، فتزني المرأة وتقول: العبرة بالإيمان، ويقتل الرجل ويقول: العبرة بالإيمان بالقلب، والقسم الآخر أيضاً فيه فساد في المجتمع فيَقتُل مَنْ يرابي يقول: خرج من الدِّين، ويَقتُل مَنْ والى المشركين ليس مَنْ تولاَّهم، وإنَّما مَنْ والاهم، والموالى معصية

وليست كفراً، والكُفْر التَّولِّي، فلو رأى شخصاً يضحك مع كافرٍ كفَّره بهذا الذَّنب فيَقتُله.

ومنْ هنا نشأت طائفة الخوارج فأحدثوا في المجتمعات مِنَ قتل المسلمين وزهق أرواحهم؛ بسبب هذا المعتقد الفاسد، وسيقرر المصنفُ رحمه الله هذا المعتقد - بإذن الله - بعد عدَّة مواضع.*

قال ﷺ: (قال ﷺ: (**وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ: بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بَيْنَ الرَّوَافِضِ، وَبَيْنَ الخَوَارِجِ**)

هذا هو الأصل الرابع من الأصول التي أهل السُّنَّة والجماعة فيها وسطٌ بين فرق هذه الأمة، قال: (**وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ**) يعني: في باب الحكم على الشخص في إيمانه، وهل خرج من الدين أم لا؟

والفرق بين هذا الأصل والأصل السابق الثالث، وهو « وَفِي: بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ: بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ، وَبَيْنَ الوَعِيدِيَّةِ » أَنَّ الأصل الثالث ما هي طريقة الفرق في نصوص الوعيد؟ منهم من يعطِّلها وهم المرجئة، ومنهم من يغلو فيها وهم القدرية.

أما هذا الأصل فهو ماذا نحكم على الشخص لـمَّا عطَّلنا هذه النصوص أي: الوعيد، أو غلو فيها؟

فقال: « وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ » أي: إخراج الشخص من الإيمان أو عدم إخراجه بسبب نصوص الوعيد، « وَالدِّينِ » أي: كذلك إخراجه من الدين أو عدم إخراجه هل يكفر أم لا؟ قال: (**بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ**) هذا صنفٌ غلو في الحكم عليه « بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ » إذْ كفَّروا من يقع في نصوص الوعيد، فمن زنى عندهم يكفر، ومن عقَّ والديه يكفر،

وطائفة من الغالية أيضاً هم المعتزلة، فقالوا: من زنى لا نقول: مؤمنٌ ولا نقول: كافر، وإنَّما في منزلة بين المنزلتين، فهؤلاء غلو في الحكم.

الجانب الثاني قال: (**وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ**) فحكموا على من يفعل الكبائر بأنَّه مثل: الأنبياء في الإيمان، فقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، (**وَالْجَهْمِيَّةِ**) فقالوا: يكفي التَّصديق بالقلب، ولو فعل من الفواحش ما فعل، فهنا عطَّلوا الحكم في نصوص الوعيد، وكذلك الجهمية عطَّلوا نصوص الحكم في الكبائر.

أهل السُّنَّة والجماعة وسطٌ من فعل كبيرةً لم يكفِّروه كالجانب الأول، ولم يقولوا: أنَّه مؤمنٌ كامل الإيمان، بل قالوا: ليس بكافرٍ كالجانب الأول: بل هو مؤمنٌ، وليس مؤمناً كالجانب الثاني كامل الإيمان: بل ناقص الإيمان، فتوسَّطوا بين الطَّائفتين الضَّالتين - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.

ثم بعد ذلك ذكر الأصل الخامس وهو الأخير، فقال: (**وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) أي: أنَّ أهل السُّنَّة وسطٌ في إيمانهم وقولهم في أصحاب رسول الله ﷺ بين طائفتين ضالَّتين:

الطائفة الأولى: (**بَيْنَ الرَّوَافِضِ**) الذين كفَّروا جميع الصحابة سوى أفرادٍ من آل البيت - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - فيغلون في علي ويُكفِّرون أبابكر وعمر.

(وَبَيْنَ الخَوَارِجِ) على الضِّد منهم: يغلون في أبي بكر وعمر ويُكفِّرون آل البيت.

أهل السُّنَّة وسطٌ بين تلك الطائفتين، وإيمانهم كبير وعقلهم واسع؛ فآمنوا بفضل جميع الصحابة وأحبُّوهم، ولم يغلوا في أحدٍ منهم، ويترضَّون عنهم جميعاً يحبون أبابكرٍ وعمر وليسوا كالرَّافضة يلعنونهما، ويحبون آل البيت وليسوا كالخوارج يكفِّرونهم، بل يؤمنون بجميع الصحابة ويحبُّونهم ويوقرونهم ويجلُّونهم ويذبُّون عنهم، ولآل البيت منزلةٌ خاصةٌ عند أهل السُّنَّة إذا كان أحدٌ منهم مؤمناً؛ لإيمانه ولقرابته من النَّبيِّ ﷺ مع عدم الغلو في أحدٍ من آل البيت.

فكان منهج أهل السُّنَّة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ منهجاً وسطاً، سليمُ القلب، سليمُ اللِّسان، سليمُ المعتقد يُوَقر الصحابة؛ لتوقيرهم للنَّبيِّ ﷺ.*

قال ﷺ: **(وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ ...)**

يسوق هنا لبيان أنَّه لا تنافي بين صفة العلو وصفة المعية، وأنَّ الإيمان بذلك من أعظم الإيمان بالله - ﷻ -.

لذلك قال: **(وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ)** أي: في أول العقيدة حيث قال: «اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ - أَهْلِ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ -: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ» ، ثم قال: «وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ» ، ثم قال: ومن الإيمان بالله أيضاً الإيمان بتلك الصفتين **(الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ)** يعني: أنَّ الجمع بين صفتي العلو والمعية دلَّ عليها ثلاثة أدلة:

الدليل الأول قال: « بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ » أنَّه لا تنافي بين هاتين الصفتين، والذي أخبر الله ﷻ به في كتابه ما ذكره المصنفُ في الآية التي ستأتي - بإذن الله -.

الدليل الثاني: **(وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ)** أي: أنَّ الجمع بين تلك الصفتين أتت به السُّنَّة، بل السُّنَّة المتواترة مثل: ما سبق من أدلة «لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ -: «أَيُّهَا النَّاس، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛

فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»

والدليل الثالث: **(وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ)** أي: أنَّ جميع السَّلف مجمعون على أنَّه لا تنافي بين تلك الصفتين.

وساق هذه الأدلة الثلاثة؛ لأنَّ إثبات هذه الصفة قد تقصر عنه عقول بعض النَّاس، فيقولون: كيف هو عالٍ وهو معنا أيضاً؟ فقال: **(مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ)** هذه الصفة الأولى: علو الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، **(عَلَى عَرْشِهِ)** كما قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، **(عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ)** كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

«عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ» أي: منفصلٌ بائنٌ من خلقه، وخلقُه منفصلون عنه سبحانه، أي: ليسوا متَّحدين ملتصقين به سبحانه هذه صفةٌ.

الصفة الثانية قال: **(وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ)** مع علوه هو معهم أينما كانوا، والواو هنا حالية – وهو - يعني: مع هذا العلو إذْ هو معهم **(أَيْنَمَا كَانُوا)** أينما توجَّهوا **(يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ)** هذه مما تقتضيه المعية العامة.

وقد أطنب المصنفُ ؒ في إثبات الجمع بين تلك الصفتين؛ لكثرة من ينكرها، فساق كما سيأتي أدلةً عقليةً كما سيأتي أيضاً على إثبات تلك الصفتين، ومن الأدلة النَّقلية قال: **(كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:** ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾) هذا العلو، (﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ

فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ﴾) هذه الصفة الثانية: المعية(﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾)

وسيأتي بيان أدلَّة ورد ظنونٍ كاذبةٍ على من وقفع في قلبه إنكار ذلك، أو قد يشك في إثبات ذلك، وإذا استصحب المسلم قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى: ١١] أثبت مثل هاتين الصفتين وغيرها من الصفات، فهو أصلٌ عظيمٌ بأنَّ الله ليس كخلقه، وسيأتي مثال مثَّل به المؤلفُ وهو: القمر كما سيأتي - إنْ شاء الله -.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ:** ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ **أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ، فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَهُوَ خِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛ بَلْ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ ...)**

لما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ صفة العلو لا تنافي صفة المعية، ذكر بعد ذلك شبهة للجهمية في إثبات تلك الصفتين.

فقال: **(وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ:** ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ **أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ)** ومن لوازم قول الجهمية أنَّه مختلطٌ بالخلق عدة أمور:

الأمر الأول: معناه أنَّ الخالق متجزِّئ، فهو مختلطٌ مع زيدٍ ومع خالدٍ ومع عبدالله ... وهكذا، وهذا لا يقوله عاقل.

والأمر الثاني: ومن لوازم قولهم أنَّه مختلطٌ بهم أنَّ لله سبحانه أجزاءً وأعضاءً، فجزء مع خالد وجزء مع عبدالله وجزء مع زيد، وهذا أيضاً لا يقوله عاقل.

الأمر الثالث: ومن لوازم قولهم هذا معناه أنَّ الخلق يحيطون بالخالق، فأنت تستطيع أنْ تحيط بزيدٍ وتدور عليه وتقول: الله مختلط به، والله جَلَّ وَعَلَا نفى عن نفسه الإحاطة فقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ثم ذكر المصنفُ رحمه الله أربعة أدلة؛ لإثبات أنَّ قوله: «﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾» ليس مختلطٌ بالخلق.

الدليل الأول قال: (**فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ**) يعني: اللَّغة لا توجب أنَّ الله مختلطٌ بخلقه، ولم يقل المصنفُ رحمه الله: لا يجوز في اللغة؛ لأنَّه يجوز أنْ نقول: اختلط الماء بالعسل لكن في اللَّغة لا يمكن أنْ يكون الله اختلط بالخلق كما سيأتي، فاللَّغة ترد ذلك.

الدليل الثاني: (**وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ**) أي: أنَّ جميع السَّلف مجمعون على أنَّ إثبات الصفتين لا تقتضي الاختلاط، أي: صفة العلو والمعية.

الدليل الثالث قال: (**وَهُوَ خِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ**) لأنَّ الخلق مفطورون على أنَّ الله لم يختلط بالخلق بل الله في السماء، ومفطورون على أنَّ الله معنا، ولا يجوز أنْ نقول: إنَّ الله معنا بذاته يعني: بإضافة كلمة ذاته؛ لئلا يُتوهم فيها الحلول أو الاتحاد، وإنَّما نثبت الصفة كما أثبتها الله من غير حاجة لقولنا بذاته.

الدليل الربع قال: (**بَلْ الْقَمَرُ آيَةٌ**) يعني: أنَّه يوجد من المخلوقات يقول عنها المخلوقُ: إنَّها معنا، ولا تقتضي الامتزاج والاختلاط (**مِنْ آيَاتِ اللَّهِ**) يعني: وليس هو الله، ومع ذلك لا يقتضي الامتزاج كما سيأتي (**مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ**) يعني: من أصغر مخلوقاته مما في السماء، فهو أصغر من

الزُّهرة، ومن الثُّريَّة، ومن الشمس وغيرها من الأفلاك، فهذا مخلوقٌ وأصغر مخلوقاته.

قال: (وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ) فيسافر المرء المغرب والقمر ظاهر من المدينة إلى مكة، ويقول المرء لرفيقه: هذا القمر معنا، وليس ممتزجاً بهم، ومختلط بهم، وليس في سيارتهم، بل تقول: لو ذباب آذاك وذهبت إلى مكان آخر تقول: هذا الذباب معنا أينما نذهب وهو ذباب، فهل معناه أنَّ الذباب مختلطٌ بك أنت وإياه شيء واحد؟ لا؛ فدلَّ على أنَّ إثبات صفة المعية لله لا الاختلاط والامتزاج والاتحاد، فالله - ﷻ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١] .*

قال ﵀: (**وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ – مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا –: حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ ...**)

لما ذكر ﵀ أنَّ الله - ﷻ - معنا حقيقةً، ذكر بعد ذلك ما قد يُتوهَّم مِنْ أنَّه إذا كان فوق العرش أنَّه يغفل عن عباده.

لذلك قال: (**وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ**) أي: مراقبٌ لهم وإنْ كان فوق العرش - ﷻ -، (**مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ**) أي: حافظٌ لأقوالهم وأفعالهم (**مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ**) يراهم سبحانه وإنْ كان فوق العرش (**إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ**) مِنْ أنَّه سبحانه فوق عرشه يدبِّر أمر عباده، ويرزقهم، ويخلقهم، ويميتهم ويحييهم إلى غير ذلك من مقتضيات الربوبية، وهذا يدل على عظمة الله - ﷻ - وأنَّه لا يقاس بخلقه.

ولما قرَّر بأنَّه سبحانه فوق سماواته على عرشه ويدبِّر الكون وهو أيضاً معنا قال: (**وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ – مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا –: حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ**) يعني: ليس مجازاً، وإنَّما نقول: الله ﷻ معنا حقيقةً، ونقول: الله ﷻ فوق العرش حقيقةً.

فإذا قيل كيف يكون ذلك؟ نقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ، ونقول: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. لا يحتاج إلى تحريف بأنْ نحرِّف المعية إلى أنَّ المراد مثلاً رضا الله على العباد، أو حبُّ الله للعباد،

وإنَّما نقول: حقٌّ على حقيقته؛ لذلك قال: (**لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ**) لأنَّ المعية معلومةٌ، والاستواء معلومٌ.

ثم قال: (**وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ**) يعني: إياك أنْ تنكر إحدى الصفتين، أو أنْ تظنَّ أنَّ الله كخلقه، فهذا من الظنون الكاذبة، أو تظنَّ ضَعْفَ قدرة الله ﷻ، أو يقلَّ إيمانك عن إثبات تلك الصفتين العظيمتين، وإنَّما يجب أنْ يكون ظنُّك في الله عظيماً، وهو إيمانك بما أخبر الله ﷻ عن نفسه في كتابه، وبما أخبر به عنه رسوله ﷺ، وهذا هو الظن الحسن الواجب.

ويكون المصنفُ رحمه الله قد انتهى هنا من تقرير أنَّه لا ممانعة بين إثبات صفة العلو والمعية لله - سبحانه وتعالى -، ويليه - إنْ شاء الله - صفة القرب.*

قال رحمه الله: **(وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾**، وَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ، أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**» **...)**

يذكر المصنفُ رحمه الله هنا أمرين اثنين:

الأمر الأول: إثبات صفةٍ منْ صفات الله - سبحانه وتعالى -، وذكره بقوله: **(وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ)** أي: فيما وصف به - سبحانه وتعالى - نفسه، وما وصفه به رسوله ﷺ **(الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ)** وهذا فيه إثبات صفة القرب وهي أخصُّ من صفة المعية، وصفة القرب لا تكون إلاَّ في حالين:

الحالة الأولى: قريبٌ من عابديه كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ» ، وكما في عرفة قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل يُبَاهِي مَلائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ».

الحالة الثانية: حال الدعاء كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] قال ابن القيم: «ولو لم يأتك من منافع الدعاء سوى قرب الله من الداعي لكفى به فضيلة» ، واستدل رحمه الله بهذه الصفة بآيةٍ وحديثٍ.

الآية: (﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾) أي: قريبٌ من سائليه وعابديه، والقرب هنا لا ينقسم كما تنقسم المعية

إلى معية عامة وخاصة، بل القرب واحد فقط يقال: صفة القرب، فلا نقول: قربٌ خاص ولا قربٌ عام، وإنَّما صفة القرب.

(**وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ، أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»**) هذا أيضاً في حال الدعاء، فالذكر من الدعاء.

ولما قرَّر هذه الصفة العظيمة وهي صفة القرب، انتقل بعد ذلك إلى بيان الأمر الثاني: وهو أنَّ صفة القرب لا تنافي صفة العلو، كما أنَّ المعية لا تنافي صفة العلو أيضاً.

لذلك قال: (**وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ**) يعني: من قرب كما في هذين الدليلين (**وَمَعِيَّتِهِ**) كما في الصفة التي قبلها (**لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ**) أي: القرب لا ينافي صفة الفوقية لله ﷻ والعلو، والمعية كذلك لا تنافي صفة العلو والفوقية.

وأكد هنا صفة المعية أيضاً مع القرب؛ لأهميتها ولضلال بعض النَّاس فيها لماذا لا تنافي بينها؟ قال: (**فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ**) يعني: في جميع صفاته، أي: لا يُشَبَّهُ الله ﷻ بخلقه، وإنَّما نقول: ليس كمثله شيء.

ثم أكد ما تقدم بعبارتين وجيزتين فقال: (**وَهُوَ عَلِيٌّ**) - سبحانه وتعالى - (**فِي دُنُوِّهِ**) يعني: مع علوه فهو قريبٌ من سائليه وداعيه وأيضاً مع خلقه معيةً

خاصةً، **(قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ)** أي: وكما أنَّه قريبٌ أيضاً فهو عالٍ كما أنَّه وهو عالٍ قريب - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

فإذا قيل: إنَّ عقولنا لا تتصور ذلك؟ نقول: لذلك قال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والعقول السليمة والفطرة تثبت ذلك كما تقدم من أدلَّة.*

قال رحمه الله: **(وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ)**

(وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ) أي: الإيمان بالله سبحانه وتعالى **(وَبِكُتُبِهِ)** يسوق المصنفُ رحمه الله هنا الإيمان بأمرٍ عظيمٍ وقعت فيه محنةٌ شديدةٌ بعد القرون المفضلة، ولا زال أثرها باعتقاد بعض النَّاس برأيٍ فاسدٍ فيها وهو ما حقيقة القرآن؟ ذكر المصنفُ رحمه الله بأنَّ المرء لا يكون مؤمناً به حتى يتحقق خمسة أمور:

الأمر الأول ذكره بقوله: **(الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ)** والدليل على ذلك بأنَّه كلام الله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، والقرآن ليس هو جميع كلام الله، وإنَّما هو من كلام الله، فالله عزَّ وجلَّ يتكلَّم برفع القسط وخفضه وتدبير الكون ونحو ذلك، ومن كلامه هذا القرآن العظيم.

الأمر الثاني: أنه **(مُنَزَّلٌ)** كما قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣] وأنزله سبحانه من السماء إلى الأرض.

والأمر الثالث: (**غَيْرُ مَخْلُوقٍ**) لا كما قال الجهمية وأضرابهم فقالوا: بأنَّ القرآن مخلوقٌ؛ لأنَّهم لا يريدون أنْ يثبتوا صفة الكلام لله، فلو قال: إنَّ هذا كلام الله لأثبتوا الصفة، فهربوا من نفي صفة الكلام إلى وقوعهم في شرٍّ آخر وهو أنَّ القرآن مخلوقٌ.

ومعنى قولهم: مخلوق أي: أنَّ الله ﷻ خلقه، ثم أتى جبريل وقرأه، وأنزله على محمد، ومن لوازمهم: أنَّ الله ﷻ أخرس لا يتكلَّم - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، ومنهم من قال: إنَّ القرآن خلقه في بعض مخلوقاته مثل: لما كلَّم الله موسى قالوا: الله جعل الكلام في الشجرة، فلمَّا مات موسى رأى في الشجرة ما هو مكتوبٌ لكنْ الله ما كلمه؛ يعارضون قوله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] ... وهكذا على نهجهم الباطل.

الأمر الرابع: (**مِنْهُ بَدَأَ**) يعني: هو الذي تكلَّم به أولاً والقرآن يُنْسَبُ إليه سبحانه، قال جل وعلا: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ١]، وقال: ﴿تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ٢]، (**وَإِلَيْهِ يَعُودُ**) كما رُوِيَ في بعض الآثار أنَّه في آخر الزمان يسري على المصاحف أمرٌ فلا يجدون فيها كتابةً ويُمْحَى ما في الصدور، ثم يعود إلى الله ﷻ، والقرآن العظيم رحمة، فلو طُمِسَ لم تُشْفَ القلوب، ولم تُدَاوى الأبدان به كإخراج الجنِّ، والسحر، والعين، وغير ذلك فهو من كتاب الله، فوجوده رحمة وبركة، وتُؤخذُ منه الأحكام، وأمور الآخرة، بل جميع النور نأخذه منه كما قال سبحانه: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾[المائدة: ١٥].

الأمر الخامس: **(وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً)** يعني: قال - سبحانه وتعالى - بصوتٍ وحرفٍ مسموعين قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ②﴾ [الإخلاص: ١ – ٢] تكلَّم الله عز وجل به من أوله إلى آخره، تكلَّم به بصوتٍ: سمعه جبريل، وحرفٍ: ففهمه جبريل ونقله إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ فشرفٌ لكلِّ مسلمٍ أنْ يتكلَّم بنفس ما تكلم الله به. هذه خمسة أمور إذا اختلَّ شيءٌ منها: اختلَّ الإيمان بالقرآن العظيم - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.

ثم بعد ذلك أكد هذا الأمر؛ لأهميته ولكثرة مَنْ يقول: بأَنَّ القرآن مخلوقٌ قال: **(وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وسلم، **هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً)** أي: لا كلام جبريل، **(لَا كَلَامُ غَيْرِهِ)** من ملائكة ولا من غيرهم، وأَنَّ الله تكلَّم به حقيقةً، فنقول: هذا القرآن كلام الله، الله تكلَّم به - سبحانه وتعالى -، وسيأتي لهذا الأمر مزيد بيان يذكره المصنفُ لأهميته.*

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ، لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ حَقِيقَةً؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا)**

لما ذكر المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بأنَّ القرآن كلام الله هو منزَّلٌ وغير مخلوق، بيَّن بعد ذلك الفرق التي أنكرت أنْ يكون القرآن كلام الله.

فقال: **(وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ)** يعني: لا يجوز أنْ يقال: إنَّ هذا القرآن حكايةٌ عن كلام الله، والمراد بحكاية أي: مُحَاكٍ لكلام الله، أي: مشابهٍ لكلام الله كما يقول الكُلاَّبيَّة أتباع محمد بن كُلاَّب قالوا: ليس هذا هو كلام الله، وإنَّما مشابه لكلام الله لا يريدون بذلك أنَّ الله يتكلَّم؛ لئلا يُناقض أصلهم الفاسد من عدم كلام الله.

وطائفة ثانية قالت: **(أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ)** يعني: هذا القرآن يُعَبَّر أتى جبريل إلى الله عَزَّوَجَلَّ وعبَّر عمَّا يريده الله؛ لأنَّ الله لا يستطيع أنْ يتكلَّم، فقالوا: إنَّ جبريل نظر إلى الله وقالوا: إنَّ الله يعبِّر لكنَّه لا يستطيع أنْ يتكلَّم بأنْ نفعل الطاعات ونجتنب المعاصي ... وهكذا، وهذا قول الأشاعرة.

وهؤلاء مع الكلاَّبية يقولون: معناً قائم في نفسه أي: أنَّ القرآن أو عموم كلامه الله عَزَّوَجَلَّ معناً قائم في نفسه يعني: وفي نفس الله لكن الله ما

يستطيع أن يعبِّر عنه - تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلك -، فلمَّا قالوا: أنَّه معناً قائم بذاته تفرَّقت أقوالهم منهم من قال: حكاية، ومنهم من قال: عبارة ... وهكذا.

ولما بيَّن المصنفُ ﵀ بأنَّ هذا القرآن هو كلام الله، بيَّن دَفْعُ شبهةٍ قد تخطر فقال: (**بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ**) في المصاحف أو حفظوه أيضاً، فإذا قرأه النَّاس أو حفظوه (**أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ، لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ**) أي: ما سبق من القراءة والكتابة (**عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ حَقِيقَةً**)، فلو كتب شخصٌ القرآن نقول: هذا الذي تكتبه كلام الله ولو كنت أنت الكاتب.

ثمَّ علَّل المصنفُ لذلك بقوله: (**فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا**) يعني: من قال: هذه الكلمة أولاً يُنْسبُ إليه الكلام، مثل: لو قال الملك: غداً إجازة، ثم قرأ هذا الخبر المذيعُ، هل النَّاس يقولون: إنَّ الذي أعطانا الإجازة المذيع أو الملك؟ الملك؛ لأنَّه هو الذي قال هذا الكلام أولاً، (**لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا**) بلّغه للنَّاس وأدَّاه إليك خصوصاً.

وكذلك كلام الله ﷻ هو الذي تكلَّم به - ﷻ -، فإذا قرأه النَّاس نقول: هذا يقرأ كلام الله، وإنْ كان هذا هو المتكلِّم؛ لأنَّ المتكلِّم أولاً به هو الربُّ سبحانه، وكذلك إذا كُتِبَ يُقال: كلام الله ... وهكذا.*

قال رحمه الله: **(وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ - مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ: - الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ ...)**

يذكر هنا رحمه الله الإيمان بأمرٍ عظيمٍ، وهو الإيمان برؤية الله - سبحانه وتعالى - في الآخرة.

قال: **(وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا)** في ذلك من الإيمان **(فِيمَا ذَكَرْنَاهُ)** في أول الواسطيَّة كما قال: «اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ - أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ -: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ»

(مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ) أي: أنَّ الإيمان بالرؤية من الإيمان بالله؛ لأنَّنا نرى الله، لأنَّ الله - سبحانه وتعالى - أخبر في كتابه بأنَّنا نراه فهذا من الإيمان به، **(وَبِكُتُبِهِ)** أي: أنَّ من الإيمان بكتب الله: الإيمان بالرؤية؛ لأنَّ القرآن ذكر أنَّ المؤمنين يرون الله كما قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]، ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥] **(وَرُسُلِهِ)** أي: أنَّ من الإيمان بالرسل: الإيمان بالرؤية؛ لأنَّ الرُّسل أخبروا أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم كما سيأتي.

من الإيمان بهذه الثلاثة **(الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** لأنَّ لذَّة نظر المؤمنين إلى الله هي خاصةٌ بالمؤمنين وأكمل، فالكفَّار لا

يرون الله ﷻ مطلقاً كما قال سبحانه ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ [المطففين: ١٥]، والمنافقون يرون الله ﷻ في المحشر لا نظر لذَّةٍ ولا تمتع، ثم بعد ذلك يحتجب الله ﷻ عنهم ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [النساء: ١٤٢]، والرؤية الكاملة هي للمؤمنين لذلك قال: **(عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ)** سبحانه.

ثم بيَّن ما هو وضوح هذه الرؤية؟ استدل على ذلك بحديثين اثنين ذكرهما في معرض كلامه فقال: **(كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ)** وهذا لفظ حديثٍ في صحيح البخاريِّ كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» أي: غاية في الوضوح.

وذكر دليلاً آخر في غاية الوضوح أيضاً قال: **(وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ)** وأكمله ليلة أربعٍ وعشرين **(لا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ)** سَبَقَ أنَّه في رواية: لَا تُضَامُونَ، ورواية أخرى: لَا تُضامُّونَ، والرواية الثالثة: لا تُضارُّونَ.

وذكر المصنفُ رحمه الله هذين الحديثين؛ لبيان: أنَّ غاية الوضوح في النَّهار هو رؤية الشمس، وفي اللَّيل والقمر في ليالي البدر، وهذا تشبيه رؤية بالرؤية، لا مرئي بالمرئي، يعني: الله ليس كالشَّمس ولا كالقمر، بل ليس كمثله شيءٌ.

ولما بيَّن أنَّ المؤمنين سيرون ربَّهم رؤيةً واضحةً، ذكر بعد ذلك ما هي الأمكنة التي يرون الله فيها؟ قال: (**يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ**) أي: أنَّه في الدنيا لن يراه أحدٌ كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام في صحيح مسلمٍ: «وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَداً مِنْكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ» فالموقف الأول: في عرصات القيامة أي: في موقف الحشر، وهذه الرؤية ليس فيها تمتُّع ولا تلذُّذ.

والموقف الثاني: قال: (**ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجنَّة**) وهذه هي نظر التمتُّع والتلذُّذ كما قال سبحانه: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥]، وقال: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وهذا أعظم نعيمٍ لأهل الجنَّة.

ثم بعد ذلك لما ذكر أين يرونه، أعقبه بعد ذلك كيف يرونه من ناحية الزمن ومن ناحية الحال؟ قال: (**كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ**) كما يختار الزمن (سبحانه وتعالى) وكما يشاء في الكيفية التي يشاءها الله عز وجل أنْ يراه المؤمنين عليها.

وهذه الرؤية لا تعني الإحاطة، يعني: إذا رأيت الله ليس معناه أنَّك محيطٌ به، وكذا السَّارية تراها ولكن لست محيطاً بها من جميع الجهات ترى جهةً منها قال سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فالله عز وجل نفى الإدراك ولم ينف الرؤية، وأهل الباطل قالوا: لو رأيناه

لأحطنا به، فنقول: غير صحيح أنت ترى السيارة ولا تحيط بها من أسفل ولا من خلف، فالرؤية شيءٌ والإحاطة شيءٌ آخر.*

قال ﵀: **(وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ)**

لما فرغ المصنفُ ﵀ من ذكر أربعة أركانٍ من أركان الإيمان: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، شَرَعَ بعد ذلك في الركن الخامس وهو الإيمان باليوم الآخر، وذكر هنا ﵀ أمرين اثنين:

الأمر الأول: متى يبدأ اليوم الآخر.

والأمر الثاني: القبر.

وَأَشَارَ المصنفُ ﵀ إلى الأمر الأول بقوله: **(وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)** هنا بداية اليوم الآخر، أي: أنَّ اليوم الآخر لكلِّ إنسانٍ يبدأ بموته إذا مات انتقل إلى الدار الآخرة، والإيمان باليوم الآخر ليس خاصًّاً بأرض المحشر وما يكون فيها وما بعده، وإنَّما بدأً من الموت قال: **(الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ)** فمن آمن بجزءٍ وَكَفَرَ بعضه - وَالعِيَاذُ بِاللّٰهِ - فقد خرج من الإيمان كما أنكر المعتزلة عذاب القبر حتى ولو آمن ببعضه **(مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ)** .

والأمر الثاني ممَّا يتضمنه الأيمان: الإيمان بالقبر، والإيمان بالقبر يشتمل على أمرين اثنين:

الأمر الأول: فتنة القبر.

والأمر الثاني: عذاب القبر ونعيمه.

وَأَشَارَ إلى الأمر الأول بقوله: **(فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ)**أي: باختبار الملكين للميت الذي يُدفَنُ في القبر، وقوله: « الْقَبْرِ » ليس هذا شرطاً بالفتنة بل يُمتَحنُ الإنسان ويُختَبر حتى ولو لم يُدفن في القبر كما لو أكلته السباع، أو أُحرِق وغير ذلك، وإنَّما يُذكرُ القبر؛ لأنَّه الغالب أنَّ الإنسان يُقبر.

وفتنة القبر هي سؤال الملكين للميت ثلاثة أسئلة: من ربك؟ وما نبيك؟ وما دينك؟ كما سيأتي - إنْ شاء الله - في الدَّرس القادم، فيجب الإيمان بنزول الملكين لهذا الاختبار.

وَأَشَارَ إلى الأمر الثاني بقوله: **(وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ)** أي: أنَّ القبر إما أنْ يكون عذاباً، وإما ان يكون نعيماً كما سيأتي - إنْ شاء الله - أيضاً في الدرس القادم، وقد يكون عذاباً ثم بعد ذلك يكون نعيماً: بأنْ يُعذبَ الإنسان على سيئاته، ثم بعد ذلك يُرفعُ عنه هذا البلاء.

وأنكرت المعتزلة عذاب القبر ونعيمه من معتقدهم الفاسد أنَّ العقل إذا لم يُقرَّ ذلك ينكرون النصوص، فقالوا: نرى الميت في القبر، ولا نراه يُعذَّب أو يُنعَّم بل هو كالنائم، وقولهم فاسد.

أولاً: للنصوص الكثيرة المتواترة بعذاب القبر أو نعيمه، فمن كتاب الله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ هذا في القبر يعني: آل فرعون ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٦] من النَّعيم

مثل: ما أخبر النَّبيُّ ﷺ: «أَنَّ المؤمِنَ يُفْسَحُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ» ، ومن العذاب ما ذكره النَّبيُّ ﷺ في البخاريِّ ومسلم: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ سَلَّمَ بِقَبْرينِ فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» وغيرهما من النصوص.

والدليل الثاني: أنَّ النَّائم قد يستيقظ من نومه وهو فرحٌ، ونقول له: ماذا أفرحك؟ يقول: رأيت رؤية مفرحة، وهو بجانبنا لم يتحرك جسده، وقد يقوم فزعاً فيقول: رأيت رؤية مفزعة، فإذا كان النائم قد يرى ما يفرحه وما يحزنه، وجسده لا يتحرك فكذلك الميت، وسيأتي - إنْ شاء الله - مزيدٌ لهذا الأمر في الدَّرس القادم.*

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّك؟ وَمَا دِينُك؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟ فَـيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ؛ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللَّهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي ...)**

لما ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الإيمان بالقبر يشتمل على مسألتين: المسألة الأولى: الفتنة التي فيه، والمسألة الثانية: عذابه أو نعيمه، لما ذكر ذلك مجملاً، شَرَعَ بعد ذلك بتفصيل هاتين المسألتين.

فقال في المسألة الأولى: **(فَأَمَّا الْفِتْنَةُ)** أي: الاختبار في القبر **(فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ)** وهذه الفتنة عظيمةٌ شديدةٌ كبيرةٌ قال عنها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» فيقال: ما هي هذه الفتنة؟ قال: **(فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّك؟ وَمَا دِينُك؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟)** هذه الفتنة العظيمة بثلاثة أسئلةٍ من ملكين على الإنسان بمفرده في قبره، وهذه الأمور الثلاثة هي أساس الدين: الرَّبُّ، الدِّين، النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام، والنَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام لما دفن عثمان بن مظعون قال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ؛ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ» أي: أنَّ سؤال الملكين للميِّت مباشرةً بعد دفنه لا تأخير، فيشرع أنْ نرفع الأيدي كما رفع النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده بالدعاء للميِّت، وإذا سُئِلَ النَّاس عن هذه الأسئلة؛ فإنَّهم ينقسمون في الإجابة إلى قسمين:

القسم الأول أَشَارَ إليه بقوله: (**فَـيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ**) يعني: في الحياة الدنيا المؤمن يثبته الله بمعرفة ربِّه ودينه ونبيِّه ﷺ، وهذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؛ ولذلك صنَّف الشَّيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في هذه الأسئلة الثلاثة رسالته المشهورة «ثَلَاثَةُ الأَصُوْلِ»؛ لأنَّ أساس السَّعادة عليها.

وفي الآخرة يُثَبت عليها المؤمن وكيفية ثباته: (**فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللَّهُ رَبِّي**) وهذه أسئلةٌ مختصرةٌ لكن لا ينطق بها إلاَّ المؤمن، ولا تَظهر من لسان المؤمن إلاَّ إذا كان قلبه راسخاً وممتلئاً بها، ولهذا شُرِعَ أنْ يُلقن الصغير بتلك الأسئلة وهو صغيرٌ أين الله؟ في السماء، (**وَالْإِسْلَامُ دِينِي**) كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩]، (**وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي**) عليه الصلاة والسلام، وإذا اختلَّ شيءٌ من هذه الإجابات الثلاث - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - أصبح من أهل الشَّقاء.

وهذه الأسئلة الثلاثة في القبر هي مفترق الطرق، إما أنْ يكون مع أهل الإيمان، وإما أنْ يكون مع أهل الكفر - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، فإذا أجاب المؤمن بهذه الأجوبة التي كما أراد الله - سبحانه وتعالى - يقال له: نم قرير العين ويُفتح له باب إلى الجنَّة يعني: إلى قيام الساعة كما في حديث البراء في مسند الإمام أحمد.

قال: (**وَأَمَّا الْمُرْتَابُ**) وهو المنافق والكافر (**فَيَقُولُ: آه آه، لَا أَدْرِي**) يعني: إذا سُئِلَ بهذه الأسئلة الثلاثة (**سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**)

يعني: سمع النَّاس يقولون: الله ربي لكنَّه لم يرسخ ذلك في قلبه، وسمع عن النَّبيِّ ﷺ ورسله لكنْ يقول: ذلك في الدنيا لكنَّه لم يرسخ بها قلبه ويقول: أنا مسلمٌ لكنَّه لم يرسخ ذلك في قلبه، وإنَّما كان تقليداً لمن حوله، **(فَيُضْرَبُ بِمَرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ)** المرزبَّة: وهي المطرقة الكبيرة - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - يُضرَبُ مع رأسه في صحيح البخاريِّ تتمَّة الحديث: «فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلا الثَّقَلَيْنِ» وأما الحديث الذي ساقه المصنفُ رحمه الله في تتمَّته: **(فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصُعِقَ)** هذا كما في الصحيح في حمل الجنازة، فإذا حُمِلَت الجنازة على الأكتاف «فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي قدموني، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ؛ لصَعِقَ» هذا في حمل الجنازة، أمَّا في القبر «يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلا الثَّقَلَيْنِ» .

وهذا المعتقد العظيم في الإسلام من هذه الأسئلة الثلاثة سوف تُطرَحُ عليكم في قبوركم، وكلُّ إنسانٍ حينذاك خصيم نفسه كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨ – ٨٩] ما ينفعك إلا هذا العمل الصَّالح الذي تقدمه اليوم، فأعدَّ العدَّة لتلك الساعة، وأملأ قلبك بالإيمان والعمل الصَّالح، والعلم الرَّاسخ حتى تُثَبَّت وتجيب على تلك الأسئلة الثلاثة العظيمة.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى، فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ)**

هذا هو الأمر الثَّاني ممَّا يجب الإيمان به في القبر، الأمر الأول سبق أنَّه الفتنة، وسبق ما هي الفتنة؟ بسؤال ثلاث أسئلةٍ.

وهنا الأمر الثاني: ماذا بعد الفتنة؟ قال: **(ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ)** أي: بعد الامتحان والاختبار **(إِمَّا نَعِيمٌ)** إذا كان من أهل السَّعادة مثل: ما أخبر النَّبيُّ ﷺ: «أَنَّ المؤمِنَ يُفْسَحُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ»، **(وَإِمَّا عَذَابٌ)** - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - وهذا العذاب ينقسم فيه النَّاس إلى أقسام، بل إنَّ أقسام النَّاس في القبر بعد تلك الفتنة ينقسمون إلى أقسام:

القسم الأول: مَنْ لا يناله عذاب بل نعيمٌ منذ أنْ يدخل في قبره.

القسم الثاني: مَنْ يناله العذاب منذ دخوله القبر حتى يخرج منه - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - كالكفَّار والمنافقين، قال سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[غافر: ٤٦].

القسم الثالث: مَنْ يناله العذاب وهم عصاة المؤمنين، ولا يتواصل عليهم العذاب في نار جهنَّم بالتَّخليد بخلاف القسم السابق وهم الكفَّار يتواصل عليهم العذاب إلى التَّخليد - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.

القسم الرابع: مَنْ يُعذب من المؤمنين ثم ينقطع عنه العذاب على حسب ذنبه، أو مغفرة الله ﷻ له، وهو في قبره ينتقل من عذابٍ إلى نعيمٍ.

وهؤلاء الأصناف الأربعة ينالهم سواء النعيم أو العذاب إلى متى وهم في ذلك في القبر؟ **(إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى)** وهو النَّفخ في الصور للقيام إلى ربِّ العالمين، والعذاب الذي ينال المؤمن في القبر - إنْ ناله شيءٌ - هو من المكفِّرات لذنوبه، فعذاب القبر أهون من النَّار؛ لأنَّ عذاب النَّار - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - فيه خزيٌّ أمام النَّاس كما قال سبحانه: ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]. أما في القبر فهو عذابٌ مستورٌ صاحبه القبر.

(فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ) يعني: إذا خرج النَّاس من قبورهم بعد هذا العذاب أو النعيم تُعاد الأرواح إلى أجسادها، وإعادة الأرواح إلى أجسادها النَّاس فيها على قسمين:

القسم الأول: يؤمن بإعادة تلك الأرواح إلى الأجساد كما هي وهم المؤمنون، كما قال سبحانه: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والقسم الثاني: الكفَّار وهم الذين يجحدون أنْ يُعدهم الله يوم القيامة كما كانوا في الدنيا ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ١٢﴾ [النازعات: ١١ - ١٢] وهم لا ينكرون قدرة الله على أنْ يخلق خلقاً جديداً، وإنَّما ينكرون إعادة هذه الأجساد كما كانت من قبل.

لذلك قال المصنفُ: « فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ » كما كانت في الدنيا الأسود أسود، والأبيض أبيض، والأعرج أعرج، والمحرم محرم، والمجاهد يثعب دمه ... وهكذا.

والقبر منزلةٌ عظيمةٌ وهو فتنةٌ كبيرةٌ وكُربةٌ شديدةٌ؛ لذلك أمر النَّبيُّ ﷺ بالتَّعوُّذ من فتنته قبل كلِّ سلامٍ في الصَّلاة كما في صحيح البخاريِّ ومسلم «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمن عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»

وكربة القبر لظلمته ووحشة الانفراد فيه، وما يراه المرء وهو وحيدٌ إن كان كافراً يُفسح له مدَّ بصره من النَّار - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - مع العذاب الشَّديد عليه، ولا يستطيع المرء أنْ يخرج من هذا القبر.

فيجب على المسلم أن يعدَّ العدَّة، ويتأهَّب للنقلة لذلك المكان العظيم الذي سوف ننتقل إليه جميعاً، ولن يبقى لنا سوى العمل الصالح بكثرة الطَّاعات، والبُعد عن المعاصي، ولزوم الصُّحبة الصَّالحة، والإكثار من الأعمال التي ترضي الله ﷻ، ومن ذلك: كثرة تلاوة القرآن الكريم والذِّكر والعلم الشَّرعي لذلك «إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ» وما رضيت الملائكة عن فعل طالب العلم إلاَّ لرضى الله ﷻ بهذا الفعل.

والدنيا قصيرة وزالها سريع، وأبواب المقابر مفتوحةٌ للجميع في أيِّ زمنٍ كما قال سبحانه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [الزخرف: ٦٦] .*

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ؛ فَيَقُومُ النَّاس مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ - حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا -، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ)**

لما ذكر المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الأرواح بعد أنْ يكون النَّاس في قبورهم تعود إليهم - أي: الأرواح - وهم في قبورهم تقوم القيامة الكبرى، والمصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ساق ثلاثة أدلَّة على قيام السَّاعة.

فقال: **(وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ)** كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥﴾ [المطففين: ٤ – ٥]، وكما قال جَلَّ وَعَلَا أيضاً: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، وكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾ ... إلى آخره [الحج: ١ – ٢]

(عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ) أي: أخبر النَّبيُّ ﷺ عن قيام السَّاعة بها، وهذا في أحاديث كثيرة مثل: الميزان، وأحاديث الصِّراط، والجنَّة، والنَّار، وغير ذلك.

(وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ) هذا هو الدَّليل الثَّالث: أنَّ المسلمين أجمعوا على قيام السَّاعة.

ودلَّ أيضاً عليها العقل، فالله عَزَّ وَجَلَّ كلَّفنا في هذه الدُّنيا بتكاليف منَ الأوامر والنَّواهي، ووعدنا بالجنَّة، فإذا كان لا نبعث لنجازى فما فائدة هذه التَّكاليف، وكذا لو لم تكن قيامة لبغى الظَّالم في ظلمه، وأخذ

القويُّ حقَّ الضَّعيف؛ فدلَّ العقل على أنَّه لابدَّ منْ حساب على أعمال النَّاس التي يعملونها الآن.

ولما قرَّر المصنفُ رحمه الله الأدلَّة على قيام السَّاعة، بيَّن حال النَّاس إذا قامت القيامة، فقال منَ الأوصاف (**فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**) الوصف الأول: أنَّ قيامهم لله؛ منْ أجل الحساب كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

الوصف الثَّاني: (**حُفَاةً**) أي: لا نعال عليهم (**عُرَاةً**) أي: لا ثياب عليهم (**غُرْلًا**) أي: غير مختونين أي: أنَّ كلَّ شيءٍ في الإنسان قد ذهب بعد موته أو في حياته يعود كما كان قال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا﴾ [الأنبياء: ١٠٤] حتَّى قطعة الختان تعود عند قيام النَّاس لربِّ العالمين.

الوصف الخامس قال: (**وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ**) وهذا لفظ البخاريِّ قال: ويكون رشحهم في الأرض سبعين ذراعاً منْ كثرة العرق، قال النَّبِيُّ ﷺ: «وَيُصِيبُ النَّاسَ يَومئذٍ هَمٌّ» فالشَّمس قريبةٌ منهم حتى قال الرَّاوي لا أدري أقال النَّبيُّ ﷺ لما قال: «قَدْرَ مِيْلٍ» هل يعني: ميل المسافة أو المكحلة؛ لقربها.

وفي دنوِّ الشَّمس لا يكون لأحدٍ فيها ظلُّ سوى ما أتى النَّص فيه مثل: السَّبع الذين يظلُّهم الله في ظلِّه، ومثل: الرَّجل المتصدِّق كما قال

النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ»، ومثل: الذي يقرأ الزَّهراوين النَّبِيُّ ﷺ قال: «فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا».

وهذا الظِّل هو ظلُّ العرش لا ظل الرَّحمان؛ لأنَّ الله ﷻ ليس فوقه شيءٌ لا شمسٌ ولا غيرها، ولو قلنا: إنَّ هذا هو ظلُّ الله؛ لكانت الشَّمس أعلى منَ الله، ولكانت الشمس أيضاً أكبر من الله، فالله ﷻ عليٌّ كبيرٌ لا أكبر منه، وإنَّما المراد هنا ظلُّ العرش كما في روايةٍ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلَّ عَرْشِهِ».

والوصف السَّادس ذكره بقوله: **(وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ)** أي: يرتفع العرق إلى شفاههم إلى أفواههم كاللِّجام الذي تُلْجَمُ به البهيمة كما في البخاريِّ ومسلم، ومنهم منْ يصل العرق إلى ما هو دون أدنى منْ ذلك كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا» على حسب أعمالهم.

فهذه ستة أصناف ذكرها المصنفُ رحمه الله ممَّا سيكون في أرض المحشر، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[لقمان: ٣٣].

فيجب على المسلم أنْ يستعدَّ لذلك اليوم الذي سيلاقيه لا محالة بالإكثار منْ العمل الصَّالح بقدر ما يمكن قبل أنْ ينقطع عمله بالموت «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ» ، وكذلك الابتعاد عن المعاصي فهي ممَّا يسخط الرَّحمن - سبحانه وتعالى -، ولهذا يسمَّى يوم القيامة يوم التَّغابن أي: يغبن النَّاس بعضهم بعضاً يعني: يقول: بعض النَّاس يقول للآخر: ما أسعده حصل له كذا، والثاني يقول: هذا ما أسعده حصل له كذا ... وهكذا؛ لذلك سُـمِّيَ التَّغابن يغبن بعضهم بعضاً.

ومنْ أجلِّ الأمور التي يحبها الله عز وجل هي طلب العلم؛ لأنَّ المرء لا يمكن أنْ يصل إلى منْزلة الخشية إلا به كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وهم أحبُّ الخلق إلى الله - سبحانه وتعالى - بعد رسله.*

قال رحمه الله: (**وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ؛ فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ** ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾).

يذكر المؤلفُ رحمه الله هنا أمراً ممَّا يجب الإيمان به وهو منَ الإيمان باليوم الآخر ممَّا يقع فيه، والمصنفُ رحمه الله هنا اشترط ألَّا يضع كلمةً إلاَّ فيها ردٌّ على طائفة، وفي نصب الموازين ردٌّ على المعتزلة؛ إذْ أنَّهم ينْكرون الوزن ويقولون: المراد بها العدل وهذا باطل كما سيأتي.

قال ﷺ: (**وَتُنْصَبُ**) أي: توضع (**الْمَوَازِينُ**) أي: في أرض المحشر، وهنا قال المصنفُ: «الْمَوَازِينُ» كما قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وورد الميزان بالإفراد كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ».

والجمع بينهما: أنَّ المراد بالتعدُّد تعدد الموزون فالذي يوزن جميع البشر، فلا نقول: موازين النَّاس هذه ثقيلةٌ وهذه خفيفةٌ ... وهكذا.

والميزان حسِّي حقيقي له كفَّتان ما يرجح منْهما يدنُّو وهو الثَّقيل كما في حديث البطاقة كما في مسند الإمام أحمد: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» فدلَّ على أنَّ الثقيل ينزل كما هي موازين النَّاس الآن في الدنيا، ثم قال: (**فَتُوزَنُ فِيهَا**) الذي يوزن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: العمل كما قال المصنفُ ﵀، وهو الذي عليه السَّعادة أو الشِّقوة قال سبحانه: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

والأمر الثاني: الذي يوزن المرء كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام في ساقي ابن مسعود - وهي دقيقةٌ -: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ» فدلَّ على أنَّ العامل أيضاً يوزن.

والأمر الثالث: يوزن أيضاً صحائف العمل كما في حديث البطاقة السابق «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ ... » ، والعبرة في تلك الموازين هو ميزان العمل، ويوزن المؤمن، ويوزن أيضاً الكافر كما قال سبحانه: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣] ليس له في الميزان شيء.

والقول الثَّاني: أنَّ الكافر لا يوزن عمله، وإنَّما - وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ - يساق إلى النَّار واستدلوا بقوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف: ١٠٥]، لكن نقول: المراد بالوزن هنا القدر.

وإلى القول الأول أَشَارَ إليه المصنّفُ فقال: **(أَعْمَالُ الْعِبَادِ)** يعني: منْ مؤمنٍ وكافرٍ، وقال: « أَعْمَالُ » للإشارة إلى العبرة بالعمل كما في النُّصوص، وهذا الميزان ميزانٌ دقيقٌ لا يوجد مثله قطُّ، ولن يوجد قال

سبحانه عن دقته: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] حبة الخردل الذي يَظهر في الشُّعاع، وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧] فالميزان بوزن الذَّر، وبميزان المثاقيل، وبوزن الحبِّ، وبوزن الخردل، وهذا منْ عدل الله - ﷻ -، فهو يعلم أعمال العباد لكن يضع الميزان حُجَّةً على العباد.

قال: (﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾) أي: منَ الكفَّار والفسَّاق ممن لا يخلدون في النَّار (﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾) .

وقد جاءت أحاديث تُبين ما الذي يثقل الميزان؟ فأثقل شيء في الميزان الشهادتان كما في حديث البطاقة تطيش بالسجلات.

والأمر الثاني: قال ﷺ: «مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ».

والأمر الثالث: كما قال ﷺ كما في البخاريِّ ومسلم: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّه الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ» .

والأمر الرابع: قول الحمد لله كما قال ﷺ: «وَالْحَمْدُ لِلَّه تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّه وَالْحَمْدُ لِلَّه تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض» ، فهذه أربعة أمور ثقيلةٌ جداً في الميزان، فعلى المرء أنْ يكثر منها قال شيخ الإسلام ؒ: «لا إله إلا الله تمحو الشرك، والاستغفار يمحو الصغائر» .

فعلى المسلم أنْ يحقق التَّوحيد؛ لتزول عنه ذنوب الشرك - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، أو ما قد يحيط به، وليكثر من أيِّ عملٍ صالحٍ فلا يدري بأيها يدخل الجنَّة، وقد أخبر الله - ﷻ - بدقة الميزان بأنَّ هناك رجالاً تتساوى حسناتهم مع سيئاتهم، فليسع المرء بأعمال ولو يسيرةً بأنْ يرجح ميزانه يوم القيامة.*

قال ﵀: **(وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ - وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ -؛ فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾)

هذا ممَّا يجب الإيمان به، فهو داخل في جملة الإيمان باليوم الآخر قال: **(وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ)** فسَّرها ﵀ بقوله: **(وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ)** تُنْشَرُ: أي: تُفَلُّ وتُفْتَحُ **(فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ)** يعني: منهم من يأخذ ذلك الكتاب المفلول بيمينه وهم أهل السَّعادة، ومنهم من يأخذه بشماله كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥]، وعلى المسلم أنْ يعلم ما الذي يُكْتَب في صحائف هذه الأعمال؟ تُكْتَبُ فيها الحسنات، ويُكْتَبُ فيها أيضاً السيئات، وما هي الحسنات التي يُكْتَبُ فيها:

أولاً: هي الأعمال، فكلُّ عملٍ صالحٍ يُكْتَبُ.

الأمر الثاني: يُكْتَبُ فيها من الأعمال الصالحة النية الصالحة للعمل الصالح، والدليل على ذلك قول النَّبيِّ ﷺ - في الرجل الذي يتمنَّى - قال: «لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ» يعني: في سبيل الله، قال النَّبيُّ ﷺ: «فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ» أي: يُؤجر على هذه النية، وكذلك ما في

البخاريِّ ومسلم «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ» فلمَّا قال الفقراء علم الأغنياء ما عملنا فعملوا مثلنا قال: «ذَلَك فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ».

الأمر الثالث: ممَّا يُكْتَبُ الهمُّ بالعمل الصالح، وعمله ثم ينقطع عنه؛ لعذرٍ كالموت أو المرض قال سبحانه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، وفي الحديث الآخر قال النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا».

الأمر الرابع: الذي يُكْتَبُ في الحسنات إذا همَّ الرجل بحسنةٍ فلم يعملها، فَيُكْتَب له حسنة.

والذي يُكْتَبُ في صحائف السيئات:

أولاً: العمل السَّيء من المعاصي كالسرقة والزنا وغير ذلك.

والأمر الثاني: النية لعمل المعصية كالرجل الذي يتمنَّى أنَّ عنده مالاً مثل فلان فينفقه في الشَّر قال النَّبيُّ ﷺ: «هُمَا فِي الوِّزْرِ سَوَاءُ».

والأمر الثالث: الذي يُكْتَبُ إذا همَّ رجلٌ بسيئةٍ فلم يعملها؛ لعدم قدرته على إكمالها، ودليل ذلك قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَكِلاَهُمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ قِيلَ فَهَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ» فهو ينوي لكن مُنِعَ من ذلك، ومثل أيضاً: لو ذهب شخصٌ ليزني بامرأةٍ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، فرأى في الدار زوجها فلم يدخل هذا يُكْتَبُ عليه وزرٌ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.

وعلى المسلم أنْ يحرص بأنْ تكون صحيفته بيضاء بالحسنات، وألاَّ تكون سوداء بالسيئات، وإذا كان فيها شيءٌ من السيئات فالذي يمحوها التوبة.

ثم ذكر المصنفُ رحمه الله كيف يؤخذ هذا الكتاب في المحشر؟ وهذا منظرٌ عظيمٌ رهيبٌ فيه الشِّقوة والسَّعادة وهو تطاير الصُّحُف، فالنَّاس في المحشر هذا آخذٌ كتابه بيمينه يُرْمَى له كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٧ – ٨].

والقسم الثاني: يأخذ كتابه بشماله.

وصنفٌ ثالثٌ: يأخذ كتابه من وراء ظهره، وهما من أهل الشَّقوة الثاني والثالث.

وهذا القول الأول هو الذي سار عليه المصنفُ لذلك قال: (**وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ**) يعني: قسمٌ ثالث.

والقول الثاني: أنَّهما صنفان فقط إما بيمينه، وإما بشماله ثم تُلْوَ اليد - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - إلى خلف ظهره.

ثم استدل المؤلف رحمه الله بقوله كما قال سبحانه: (﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ﴾) يعني: جعلنا له (﴿طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾) يعني: كتاب عمله في العُنُقِ كالقلادة أينما يذهب يجده هذا في الدنيا (﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾) يعني: في عُنُقِهِ (﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾) أمامه.

(﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾) لإقامة الحُجَّة على نفسه (﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾) أنت تحاسب نفسك، وما دام الأمر في مُهْلَةٍ يجب على الإنسان أنْ يستعدَّ لنشر تلك الصحائف، فما بين الإنسان واليوم الآخر سوى الموت، وما بينك وبين الموت سوى توقُّف هذه الأنفاس في لحظةٍ.

فعلى المسلم أنْ يعمل عملاً صالحاً، وأنْ ينوي عملاً صالحاً مثل: أنَّه يتعلَّم العلم؛ لِيُعَلِّمَ ويُؤَلِّف ويبقى صدقةً جاريةً له، فلو مات وهو في شبابه يُكْتَبُ له ما نواه في مستقبله، وهذا من فضل الله ﷻ على العبد، وعلى المسلم وغير المسلم أنْ يبتعد عن كل خطيئةٍ، فقد تكون سبب غمسه في النَّار - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.*

قال رحمه الله: **(وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ؛ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَات لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا)**

هذا من جملة الإيمان باليوم الآخر وهو من أهمِّ ما في اليوم الآخر هو المحاسبة؛ إذْ به مصير العبد، والخلق ينقسمون في المحاسبة إلى قسمين:

قسمٌ: لا يُحاسَبون مطلقاً، وإنَّما يدخلون الجنَّة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، وعددهم سبعون ألفاً، وفي مسند الإمام أحمد: «مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ سَبْعِينَ أَلْفاً» يعني: تضرب سبعين في سبعين، وفي حديثٍ آخر: «يُضَافُ إِلَيْهِم سَبْعُونَ أَلْفاً» وهؤلاء هم المشار إليهم بقول النَّبيِّ ﷺ: «هُمْ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» .

والقسم الثاني: يُحاسبون على أعمالهم، ولم يُشِر المصنفُ رحمه الله إلى القسم الأول؛ لأنَّه قليلٌ في الخلق.

وَأَشَارَ رحمه الله إلى القسم الثاني بقوله: **(وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ)** أي: من الإنْس والجنِّ، وأما البهائم فإنَّهم لا يُحاسبون على أعمالهم، وإنَّما بينهما قصاصٌ كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «حَتَّى يُقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ» فإذا بهيمةٌ ضربت بهيمة يُقْتَصُّ منها يوم القيامة، وأول ما يُحاسب عليه العبد الصَّلاة في العبادات البدنية، وأول ما يُحاسب

عليه في ما بين الخلق في الدِّماء، والخلق الذين يُحاسبون ينقسمون إلى قسمين:

إما مؤمنٌ وإما كافر، فالمؤمن أَشَارَ إليه المصنفُ بقوله: (**وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ؛ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ**) والمؤمن في الحساب يجري عليه عدة أمورٍ:

الأمر الأول: توزن حسناته وسيئاته.

الأمر الثاني: سيئاته يخلو الربُّ - سبحانه وتعالى - تكرُّماً منه؛ لئلا يفضح عبده المؤمن، يخلو بعبده ويضع كنفه عليه.

الأمر الثالث: يقرِّره بذنوبه يعني: يعرض عليه ذنوبه هل يُقِرُّ بها أم ينكر؟ ولا مجال هناك للإنكار.

الأمر الرابع: هو بين أمرين: إما أنْ يعفو الله عز وجل عنه بكرمه وعفوه، وإما أن يُعَذَّبَ في النَّار ثم يخرج منها إلى الجنَّة أي: أنَّه تحت المشيئة.

لذلك قال المصنفُ: (**كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ**) من الكتاب قوله سبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧ – ٨]، ومن السُّنَّة ما ثبت عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ اللهَ عز وجل يَخْلُو بِعَبْدِه المؤمِنِ فَيُقَرِّرَه بِذُنُوبِهِ حَتَى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ» .

القسم الثاني: من الخلق وهم الكفَّار، وَأَشَارَ إليهم المصنفُ بقوله: (**وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَات لَهُمْ**) أي: أنَّ الكفَّار في حسابهم حسابٌ عسيرٌ كما قال سبحانه

عنهم: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] ويمر وتجري عليهم أمور في الحساب:

الأمر الأول: جميع حسناته تذهب هباءً، فلا يجد في الآخرة أيَّ حسنةٍ قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وما يقدمه من خيرٍ في هذه الدنيا مثل: كفالة الأيتام، وبرِّه لوالديه لا يجازى عليه في الآخرة، وإنَّما كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام في صحيح مسلمٍ: «تُطْعَمُ عَلَيْهَا طُعْمَةً فِي الدُّنْيَا» وَأَشَارَ المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى هذا بقوله: « فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَات لَهُمْ » تذهب في الآخرة.

الأمر الثاني أَشَارَ إليه بقوله: (**وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ**) فَيُعَدُّ عمله عليه عملت كذا وكذا وكذا، وهذا التعداد والمحاسبة له ليست كمحاسبة المؤمن بالسِّتر، وإنما يُحاسب أمام الخلائق - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - بالفضيحة.

الأمر الثالث أَشَارَ إليه المصنفُ بقوله: (**وَتُحْصَى**) أي: يُحصى عدد أعماله السيئة عددها كذا كذا.

والأمر الرابع أَشَارَ إليه بقوله: (**فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا**) يعني: انظر لسيئاتك هذه تبكيتاً له.

الأمر الخامس: (**وَيُقَرَّرُونَ بِهَا**) هل تقرُّ بهذا الذنب في يوم كذا وكذا؟ من باب التعذيب لهم والتنكيل.

والأمر السادس: (**وَيُجْزَوْنَ بِهَا**) بسيئاتهم فيُقذفون في النَّار - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.

فتبيَّن أنَّ حساب الكافر عسيرٌ، وحساب المؤمن يسيرٌ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٨]، وتُعرض عليه الأعمال عرضاً كما قال النَّبيُّ ﷺ لعائشة: «ذَلك عَرْضَ الأَعْمَالِ وَمَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ».

فيجب على الإنسان أنْ يبتعد عن الكفر؛ فهو شُؤْمٌ في الدنيا والآخرة، وعليه أيضاً أنْ يبتعد عن السيئات، فقد يُعذَّبُ بها؛ إذْ هو تحت المشيئة.*

قال ﵀: **(وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا)**

يسوق المصنِّفُ ﵀ هنا مشهداً من مشاهد اليوم الآخر، وهو الحوض.

قال: **(وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ)** ذكر ذلك؛ لبيان: أين مكان الحوض؟ يكون في عرصة القيامة، والعرصة: هي المكان المتَّسعُ في الأصل أمام البنيان، وهو ما يسمى عند بعض النَّاس الرحبة، أو الساحة ونحو ذلك، وهو موجودٌ الآن؛ لذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» فقد يكون في الدنيا المنبر الآن فوقه الحوض، وقد يكون في الآخرة يُجعل منبر النَّبيِّ ﷺ فوقه - والعلم عند الله -.

قال: **(الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ)** وصفه بأنَّه مورودٌ أي: لكثرة ورود النَّاس عليه، ولكن لا يَشْرب منه سوى أتباعه عليه الصَّلاة والسَّلام، وأما غيرهم فيقول: «سُحْقَاً سُحْقَاً» أي: بُعداً عنِّي **(لِمُحَمَّدٍ ﷺ)** يشير المصنفُ ﵀ بذلك إلى أنَّ لكل نبيٍّ حوضاً، وقد ورد ذلك في حديثٍ لكنَّه ضعيفٌ.

والفرق بين الحوض والكوثر: أنَّ الكوثر أكبر من الحوض، فالكوثر نهرٌ في الجنَّة، أما الحوض حوض.

والفرق الثاني: أنَّ الكوثر في الجنَّة، وأما الحوض فهو في أرض المحشر قبل دخول النَّاس الجنَّة.

والفرق الثالث: أنَّ الحوض كما في صحيح مسلم له ميزابان يصبان في الحوض.

والفرق الرابع: أنَّ الكوثر خاصٌّ للنَّبيِّ ﷺ في الجنَّة لا يشركه فيه أحد، وأما الحوض فهو لأمته عليه الصَّلاة والسَّلام.

ثم قال المصنفُ رحمه الله في بيان لونه قال: **(مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ)** يعني: شديد البَّياض، وذكر طعمه فقال: **(وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ)** كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، وفي صحيح مسلم وصفٌ ثالثٌ: «رَائِحَتُهُ أَحْلَى مِنْ المسْكِ» .

ثم بعد ذلك ذكر المصنفُ مساحته فقال: **(طُولُهُ شَهْرٌ وَعَرْضُهُ شَهْرٌ)** وهذا مما يثبت أنَّه دائري وليس مربعاً.

ثم بعد ذلك ذكر عدد كيزانه ولونَها فقال: **(آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ)** هذا في الكثرة، وأيضاً في اللَّون بيضاء ناصعةٌ - أي: الآنية -، وفائدة من يشرب منه قال كما في الحديث: **(مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً)** واحدة تكفيه **(لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا)** وهذا فضلٌ كبيرٌ لِمَنْ مُكِّنَ من شربه؛ إذْ يقيه الله عز وجل بذلك الشربة من ظمءٍ شديدٍ في أرض المحشر فلا يظمأ أبداً.*

قال ﵀: **(وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجنَّة وَالنَّار، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ ...)**

هذا ممَّا يجب الإيمان به وهو من جملة الإيمان باليوم الآخر، والصراط أمرٌ حسي يعبر النَّاس عليه، وصفه النَّبيُّ ﷺ في صحيح البخاريِّ ومسلم بأنه: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ» دحضٌ: أي: تنزلق فيه الأقدام، مَزِلَّةٌ: أي: تَزِلُّ القدم منه إلاَّ من حفظه الله ﷻ.

ولم يثبت في وصفه سوى هذين الوصفين، وما رُوِي بأنَّه: «أَدَّقُ مِنْ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنْ السَّيْفِ» فليس فيه حديث صحيح، والكفَّار لا يعبرون الصراط وإنما يُقذفون في النَّار - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - من أرض المحشر كما قال سبحانه: ﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧﴾ [الملك: ٧] يُلْقَون من أرض المحشر، والصراط هذا خاصٌّ بالمؤمنين.

لذلك قال المصنفُ ﵀: **(وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ)** أي: موضوعٌ **(عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ)** كما قال ﵊ في البخاريِّ ومسلم: «جِسْرٌ إِلى جَهَنَّم» .

ثم قال المصنفُ: **(وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجنَّة وَالنَّار)** لو اختصر المصنفُ ﵀ على الوصف الأول لكان أولى؛ فإنَّه كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «جِسْرٌ إِلى جَهَنَّم»، وعبارة المصنفِ هذه اختلف معناها عن

المعنى الأول فقال: « وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجنَّة وَالنَّار » والصراط إنَّما هو على جهنَّم ليس بين الجنَّة والنَّار.

قال: (**يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ**) أي: المؤمنون، وصفة مرورهم قال: (**عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ**) فمرورهم هذا ليس من تلقاء أنفسهم، وإنَّما من ربِّ العالمين على قدر ما عملوه في هذه الدنيا.

ووصف حالهم كما جاء في الأحاديث التي ذكرها المصنفُ (**فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ**) وهو أسرع النَّاس، ثم بعدهم (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ**) سرعةٌ لكن أقل، ثم بعد ذلك (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ**) يعني: المسرع (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ**) أي: الإبل المسرعة (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْواً**) أي: يجري (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا**) أي: يمشي على مقعدته يزحف عليها، ومنهم كما في الصحيح: «مَنْ يُخْدَشُ بالكلاليب فيسلم، ومنهم من تَخْطَفُهُ الكلاليب، ومنهم من يُخْطَفُ فَيُلقَى في جهنَّم» والكلُّوب: هو الحديد منعطف الرأس على جنبات جهنَّم من لم يسرع أخذته على جنبات الصراط، كما في صحيح مسلم والبخاريِّ أيضاً.

لما فَرغَ من وصف النَّاس في مشيهم عليه قال: (**فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ**) - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - (**بِأَعْمَالِهِمْ**) إلى جهنَّم، قال النَّبيُّ

ﷺ في وصفها في البخاريِّ ومسلم قال: «فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ»

ما الفائدة من عبور النَّاس على الصراط؟ قال: **(فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الجَنَّة)** نجى وهذه نعمةٌ عظيمةٌ قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١ – ٧٢]، فمن عبر الصراط دخل الجنَّة، ولكن قبل دخول الجنَّة في قنطرة يتقاصُّ المؤمنون بعضهم لبعض فيها كما سيأتي - إن شاء الله -، ثم بعد ذلك يدخلون الجنَّة.*

قال رحمه الله: (**فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ: وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجنَّة وَالنَّار، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا: أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجنَّة، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجنَّة: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّة مِنَ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ ﷺ**)

يذكر المصنفُ رحمه الله هنا القنطرة، وهي من جملة ما يكون في اليوم الآخر، والوصول إليها علامة الفوز، والنَّجاة من النَّار، وقُربُ دخول الجنَّة.

قال: (**فَإِذَا عَبَرُوا**) أي: المؤمنون (**عَلَيْهِ**) أي: على الصِّراط (**وُقِفُوا**) من السَّيْر إلى دخول الجنَّة (**عَلَى قَنْطَرَةٍ**) مكانٌ بين الجنَّة والنَّار، والحكمة من ذلك: (**فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ**) أي: إذا كانت فيه جناية من مؤمنٍ على المؤمن، أو في قلبه شيءٌ على أخيه هناك يُقْتَصُّ منه، وإذا انتهى القصاص بينهم قال: (**فَإِذَا هُذِّبُوا**) من القصاص (**وَنُقُّوا**) أي: نُقِّيَة قلوبهم مِنْ الحسَد والحقدِ الذي على بعضهم على بعض (**أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجنَّة**) كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام في حديثٍ: «إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ» رواه البخاريُّ.

فإذا انتهوا من هذه التنقية يجدون باب الجنَّة مغلقاً، فيشفع النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام أنْ يَفْتَحَ الباب للمؤمنين لدخول الجنَّة؛ لذلك قال: (**وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجنَّة**) نبيُّنا (**مُحَمَّدٌ ﷺ**) كما في صحيح مسلمٍ

«آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ» وفي صحيح مسلم أيضاً: «وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَشْفَعُ فِي الجنَّة» يعني: في دخول الجنَّة.

والمؤمنون يُوقفون عند دخول الجنَّة حتى يشفع النَّبيُّ ﷺ بخلاف أهل النَّار يدخلونها من غير شفاعةٍ أو غيرها؛ لذلك قال سبحانه على الكفَّار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] ما يحتاجوا لشفاعة، وقال عن المؤمنين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] يعني: بعد الشفاعة، فزيدت الواو؛ لتوقُّف المؤمنين عن دخول الجنَّة بسبب شفاعة النَّبيِّ ﷺ حتى يشفع، وسبب إغلاقها ولا تُفْتَحُ إلاَّ بالشَّفاعة:

أولاً: لعلو منزلة الجنَّة؛ فهي غاليةٌ.

والأمر الثاني: إذا كانت مغلقة ثم فُتِحت يكون أشوق إلى النَّفس في دخولها، فإنَّ النفس رأتها من بعيد ثم أُوقفت: النفس لا تشتاق لدخولها أكثر.

والأمر الثالث: لإكرام النَّبيِّ ﷺ، فقد شَفَعَ في الموقف العظيم؛ لتفريج الكروب، وشفاعة هنا ثانية قبل دخول الجنَّة؛ لإدخال الفرح والسرور على المؤمنين - ﷺ -، فيشفع عند ربه؛ لدفع الضُّر وجلب النَّفع.

ثم قال: « وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجنَّة: مُحَمَّدٌ ﷺ » من جميع الخلق؛ لشرفه وعُلوِّ مكانته، ومحبة الله ﷻ له، والسَّعيد من أطاعه.

قال: (**وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّة مِنَ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ ﷺ**) كما قال النَّبيُّ ﷺ في صحيح مسلم: «وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ» وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «نَحْنُ الآخِرُونَ» يعني: زمناً في الدنيا «الأَوَّلُونَ يَومَ القِيَامَةِ» يعني: في دخول الجنَّة، وسبب سَبْقِ هذه الأمة لغيرها من الأمم في دخول الجنَّة؛ بسبب النَّبيِّ ﷺ فَشَرُفَتْ هذه الأمة بشرف نبيِّها.

لذلك بتوضيح ذلك: لو صَاحَبَ عشرة سارقاً نزلت قيمتهم عند الوالي، ولو صَحِبَ عشرة أعظم عالمٍ في البلد: ارتفع هؤلاء العشرة بعلوِّ ذلك العالم، فارتفعت هذه الأمة بعلوِّ محمد ﷺ، وإلاَّ فأعمال هذه الأمة أقلُّ من أعمال من سبقها؛ لقصر أعمارها، وعوَّضها الله ﷻ بثوابٍ كثيرٍ في مناسباتٍ متعددةٍ، كليلة القدر ألف شهر، كالحج يحط الأوزار، والصلوات الخمس كذلك ... وهكذا.*

قال ﵀: (**وَلَهُ ﷺ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ: أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى: فَيُشَفَّعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ – آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ – الشَّفَاعَةَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ ...**)

الشَّفاعات في الآخرة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شفاعةٌ في المحشر، والشَّفاعة في المحشر يشفع فيها الأنبياء اثنتان منها خاصة بالنَّبيِّ ﷺ كما سيأتي.

القسم الثاني: شفاعةٌ بعد دخول أهل الجنَّة الجنَّة، وهذه يشفع فيها الأنبياء، ويشفع الشُّهداء، ويشفع الأفراط - يعني: الأطفال الصغار -، ويشفع فيها الملائكة، والله ﷻ يقول: فلم يبق سوى شفاعة أشفع الشافعين.

والشفاعة التي في المحشر هي التي يتكلَّم عنها المصنفُ رحمه الله لذلك قال: **(وَلَهُ ﷺ فِي الْقِيَامَةِ)** في أرض المحشر **(ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ)** اثنتان خاصتان له، والثالثة: عامة له وللأنبياء.

قال: **(أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى: فَيُشَفَّعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ)** أي: يشفع في الخلق جميعاً لماذا؟ **(حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ)**حتى هنا تعليلية أي: لكي يُقضى بينهم، وشرفُه ﷺ في هذه الشَّفاعة أمران ذكرهما المصنفُ:

الأمر الأول: الشفاعة في أهل الموقف وهي التي تُسمَّى ((المقام المحمود)) أي: يحمده النَّاس ويغبطونه عليها.

والأمر الثاني: فضله في هذه الشفاعة أنَّ الأنبياء من أولو العزم تراجعوا عنها حتى تنتهي إلى النَّبيِّ ﷺ.

لذلك قال: **(بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ)** فيقضي في أهل الموقف؛ لشدَّة ما هم فيه من الكرب، فيتمنَّون الحساب ولو إلى النَّار، فيشفع النَّبيُّ ﷺ عند ربه بأنْ يُخَلِّصَهُمْ من هذا الموقف، فيقضى بينهم هذا في الجنَّة وهذا في النَّار ((بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ)) أي: كلٌّ يحيل أمر الشفاعة إلى غيره من الأنبياء كما في حديث الشفاعة في البخاريِّ: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ

النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)) فيشفع في القضاء بين النَّاس فيقضي الله ﷻ بين النَّاس.

قال: (**بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ – آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ – الشَّفَاعَةَ**) كلٌّ يقول: أذهبوا إلى فلان (**حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ**) عليه الصلاة والسلام لذلك في الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

(**وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّة أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّة**) فإذا وصلوا إلى باب الجنَّة، فإذا هو مغلقٌ، فيأتي النَّبيُّ ﷺ - كما في صحيح مسلمٍ -: ((فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا

أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ)) ولمسلمٍ: ((وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ)) فيدخلون الجنَّة، وفي صحيح البخاريِّ: ((أَنَّ أُمَّتَهُ تَدْخُلُ مِنْ البَابِ الأيمنِ مِنْ الجنَّة.

فالنَّبيُّ ﷺ شَرُفَتْ أمَّته به، وفي الآخرة يرحم الله ﷻ بسببه الخلق، وفي الآخرة أيضاً يُفَرِّح الله ﷻ المؤمنين بسببه بدخولهم الجنَّة، فﷺ.*

قال رَحِمَهُ اللهُ: **(وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّار - وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ - يَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّار أَلَّا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا)**

سبق أنَّ شفاعتين اثنتين خاصتان بالنَّبيِّ ﷺ، وهناك شفاعةٌ خاصة بالنَّبيِّ ﷺ ولكنَّها ليست لعموم الخلق، وإنَّما هي خاصةٌ بعمه أبي طالب، ولما لم تكن لعموم الخلق لم يذكرها المصنفُ رَحِمَهُ اللهُ، وشفاعته لعمه أبي طالب خاصةً له في تخفيف العذاب فقط.

فقال في الشَّفاعة الثالثة: **(وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّار)** وهذا في الموقف، وهذه الشَّفاعة الثالثة ليست خاصةً به، وإنما كما قال: **(وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ)** من الشُّهداء، والصَّالحين، والأفراط، والملائكة **(يَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّار)** أي: من الموحدين **(أَلَّا يَدْخُلَهَا)** وإنْ عمل ما عمل مما هو دون الشرك، أي: من الكبائر أو الصغائر، **(وَيَشْفَعُ)** شفاعةً أخرى له ولسائر النَّبيين **(فِيمَنْ دَخَلَهَا)** أي: فيمن استحق النَّار وَدَخَلَهَا **(أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا)** قبل أنْ يتمَّ عليه العذاب، فيخرج بشفاعة النَّبيِّ ﷺ، أو بشفاعة الأنبياء، أو الصديقين، أو غيرهم، وهذا من كرم الله ﷻ وفضله للموحدِّين؛ فيجب على الموحِّد أنْ يحقق توحيده:

أولاً: ليشفع لغيره، وإذا حدث له ما حدث، واستحق أنْ يدخل النَّار ليشفع له غيره، وهناك صنفٌ لا يشهدون ولا يشفعون في أرض المحشر كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فمن اعتاد لسانه - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - على اللَّعن يُحرم أن يشفع لغيره، وإنْ كان موحداً هو، فيجب على من اعتاد لسانه على اللَّعن أنْ يتوب إلى الله، وأن يُقْلِعَ عن ذلك الأمر؛ لينال غيره خيره.*

قال ﵀: **(وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَاماً بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ)**

الخلق في الآخرة منهم من يدخل بغير حسابٍ ولا عذابٍ - أي: الجنَّة -، ومنهم من يدخلها بشفاعة، **(وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَاماً بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ)**، وصنفٌ من الخلق يدخلون الجنَّة وهم لم يعملوا خيراً قطُّ، والله ﷻ يدخلهم الجنَّة بغير شفاعة **(بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ)** كما قال ﵊: «ثُمَّ يُخْرِجُ اللهُ مِنْ النَّارِ أَقْوَامَاً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرَاً قَطُّ» وإنَّما معهم أصلُ الإيمان.

ولما ذكر المصنفُ ﵀ أنَّ جميع المؤمنين لم يبق في النَّار منها أحدٌ منهم، والجنَّة واسعةٌ، ووعد الله ﷻ الجنَّة بأنْ يملأها، وإذا دخل من يستحق الجنَّة الجنة يبقى فيها مُتَسَعاً، فبفضل الله ﷻ كما قال المصنفُ: **(وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا)** يعني: سعةٌ، والله وعد بأنْ يملأها، **(فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا)** أي: لم يُخْلقُوا من قبل؛ ليدخلوا الجنَّة ويتحقق وعد الله ﷻ بملئها؛ لذلك قال: **(فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ)**.

وأما النَّار فبرحمة الله ﷻ، وعدله لا ينشئ لها أقواماً يدخلون النار مع بقاء فضلٍ فيها، والله وعد بملئها، فيضع الجبَّار - ﷻ - فيها قدمه

فينزوي بعضها على بعض فتمتلئ بمن فيها، ويكون بذلك النَّار مزدحمة بمن فيها - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، والجنَّة أهلُها متنعمون فيها.

وأهل الجنَّة أقلُّ من أهل النار عدداً؛ لذلك يُنْشئ الله ﷻ لها، ومع قلِّتهم وسعتها إلاَّ أنَّ لكلِّ واحدٍ من أهل الجنَّة شيءٌ كثيرٌ في الجنَّة كما أخبر عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِنَّ الْخَيْمَةَ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مَيْلا ، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ أَهْلٌ لا يَرَاهُمُ الآخَرُونَ» .

فيجب على المسلم أنْ يستعد لذلك المشهد فهو أحد الطائفتين: إما في الجنَّة، أو في النَّار الله يقول: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[الشورى: ٧]، فعليه أنْ يسعى لعمل أهل الجنَّة، وأنْ يبتعد عن عمل أهل النَّار.*

قال ﵀: **(وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ - مِنَ الْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ - وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْآثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ؛ وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ)**

لما ذكر المصنفُ ﵀ جملةً ممَّا يجب الإيمان به من اليوم الآخر، قال: أنْا لم أذكر جميع ما يحدث، وإنَّما ذكرت شيئاً من ذلك، وبيَّن المصنفُ من أين نأخذ ما يتضمنه اليوم الآخر؟

فقال: **(وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ: مِنَ الْحِسَابِ)** والمراد بالحساب: الاطِّلاع على الحسنات والسيئات، **(وَالثَّوَابِ)** المراد بالثَّواب: الجزاء على الحسنات، **(وَالْعِقَابِ)** أي: الجزاء على السيئات، **(وَالْجَنَّةِ)** أي: ما يجب الإيمان به في الجنَّة، **(وَالنَّار وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ)** أي: تفاصيل ممَّا يقع في اليوم الآخر ممَّا لم يذكره المصنفُ مثل: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ»، ومثل: «المؤذِّنُونَ أَطوَلُ النّاسِ أَعْنَاقًا يومَ القِيَامَة»، ومثل: «أَنَّ المرَابي يَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ ويُصْرَعُ» وغير ذلك، فقال: تفاصيل اليوم الآخر نأخذها من ثلاثة أمور:

الأمر الأول قال: **(الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ)** كالتَّوراة، والإنجيل، والزَّبور، وصحف إبراهيم وموسى فكلُّ ملَّةٍ تأخذ بما أُخبرت به، وهذه الأمة تأخذ ما وصل إليها صحيحاً كما سيأتي، ولا يوجد الآن شيءٌ من

الكتب المنزّلة ثابتٌ مما يقع في اليوم الآخر، إمَّا لعدم بعض الكتب المنزلة السابقة كصحف إبراهيم وموسى والزبور فلا يُعْرَفُ لها وجود، أو لتحريف ما هو موجودٌ منها كالتوراة والإنجيل.

والأمر الثاني: ممَّا يُؤْخذ قال: **(وَالْأَثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ)** أي: والبقية ممَّا ذكره الأنبياء عليهم السَّلام لأممهم ووصل إلينا يجب الإيمان به كذلك إذا ثبت وصوله إلينا، وقد كان ذلك في أوّل الإسلام علوم ممَّا يحدث في اليوم الآخر لم يبينها الإسلام بَعْدُ مثل: عذاب القبر كما أتت اليهودية إلى عائشة رضي الله عنها، فلمَّا أطعمتها عائشة قالت لها: «وقاك الله عذاب القبر، فقالت عائشة: وهل للقبر عذابٌ؟ لأسألنَّ رسول الله ﷺ، فلمَّا سألت النَّبيَّ ﷺ قال: نعم»، ولا يوجد الآن شيءٌ من أقوال الأنبياء السَّالفين ما هو ثابت فيما يحدث في اليوم الآخر.

والأمر الثالث ذكره بقوله: **(وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ مُحَمَّدٍ ﷺ)** يدل على أنَّ من اكتسب علماً؛ فقد اكتسب شيئاً من ميراث النَّبيِّ ﷺ، وهذا هو الميراث الحقُّ وهو الباقي الذي لا يفنى، فيصح أن نقول: هذا وارثُ النَّبيِّ ﷺ أي: في علمه **(مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي)** أي: يصلح القلب **(وَيَكْفِي)** لكثرته، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّه يجب أنْ تأخذ الآن ممَّا يتضمَّنه اليوم الآخر من سُنَّة النَّبيِّ ﷺ مع القرآن؛ لذلك قال: « مَا يَشْفِي وَيَكْفِي » فلا تتطلَّع إلى التَّوراة ولا تبحث عمَّا أُثِرَ على الأنبياء؛ **(فَمَنِ ابْتَغَاهُ)** أي: فمن

ابتغى ما أراده من تفاصيل اليوم الآخر من الكتاب وسُنَّة النَّبيِّ ﷺ (وَجَدَهُ) لكثرته ووضوحه.

- والله أعلم - لا يوجد تفاصيل لليوم الآخر أكثر ممَّا فُصِّل لهذه الأمة؛ لأنَّ اليوم الآخر يقوم عليها، فهي آخر الأمم لتستعدَّ لذلك اليوم، فيجب على المسلم أنْ يقف عند آيات اليوم الآخر ويتدبرها، وكذا ما في السُّنَّة الصحيحة الله يقول: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾[ق: ٤٥].*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ - أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ -: بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ: عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ، فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا ...)**

يذكر المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا: الأصل السَّادس من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقضاء والقدر، وساقه المصنفُ في عقيدته؛ لبيان: المخالفين فيه.

قال: **(وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ)** يعني: الطَّائفة **(النَّاجِيَةُ)** أي: النَّاجية في الدنيا من الهلاك، والنَّاجية في الآخرة من النَّار.

ثم بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الفرقة فقال: **(أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ)** الذين اجتمعوا على التَّمسك بالسُّنَّة يؤمنون **(بِالْقَدَرِ)** القدرُ لغةً: هو التَّقدير قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وهناك أيضاً في هذا الباب يُسمَّى القضاءُ - أي: القضاء والقدر -، فهما كلمتان إذا اجتمعتا افترقتا، وإذا افترقتا اجتمعتا، فإذا قيل: هذا قضاء الله يدخل فيه القدر، وإذا قيل: هذا قدر الله يدخل فيه القضاء، وإذا قيل: هذا قضاءٌ وقدرٌ فالقضاء: هو الذي يكون عند حلول الحدث مثل: فلانٌ مات، فالموت هنا قضاء قُضِيَ، وكذا فلانٌ سَقَطَ هذا قضاء.

وأما القدر: فهو السَّابق لقبل حدوث الفعل، فالله قدَّر على فلانٍ بعد عشرة سنوات يمرض، فالتَّقدير قبل؛ فإذا وقع المرض نقول: قضاء قضى عليه المرض.

وهذا الأصلُ بابٌ عظيمٌ فرَّط فيه كثيرٌ من النَّاس، فهو بمنزلةٍ واحدةٍ بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، فتجد كثيراً من النَّاس لا يؤمنون بالقضاء والقدر ويُسلِّمون لأمر الله، وهذا من نقص الإيمان.

قال: (**خَيْرِهِ**) يعني: بالنِّسبة للمقدور له للمخلوق، مثل: الصِّحَة والغنى والمال وغير ذلك، (**وَشَرِّهِ**) أي: بالنِّسبة أيضاً للمقدور عليه وهو المخلوق، كالمرض والفقر وغير ذلك.

ولا يُنسب الشَّر إلى الله ﷻ كما قال النَّبيُّ ﷺ في صحيح مسلمٍ: «وَالشَّرُ لَيْسَ إِلَيْكَ» فكلُّ أفعال الله خيرٌ، فَمنْ أسماء الله: السَّلامُ فمن أطاع الله سَلِمَ، ومِنْ أسماء الله: المؤمنُ فالخلق يأمنون من عقوبة الله للمؤمنين، وتعذيب الله للكفَّار خيرٌ في هذا الأمر المقدَّر؛ لأنَّ الكفَّار عصوا الله، ففعل الله معهم بالعقوبة بالعدل خيرٌ .... وهكذا.

ثم قال: (**وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ: عَلَى دَرَجَتَيْنِ**) يعني: على نوعين (**كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ**) وفصَّلها المصنفُ بجعله على أربعة أقسام؛ لكون كلِّ قسمٍ فيه من يخالفه، وهذه الأقسام الأربعة تُسمَّى « مَرَاتِبُ القَدَرِ » من أنكر شيئاً منها - وَالعِيَاذُ بِاللهِ – كَفَرَ.

المرتبة الأولى: العلم، يعني: عِلْمُ الله ﷻ قبل وقوع القدر وأثناه.

والمرتبة الثانية: كتابة الله ﷻ لذلك الأمر في اللَّوح المحفوظ.

والمرتبة الثالث: مشيئة الله ﷻ النَّافذة في هذا القدر.

والمرتبة الرابعة: خَلْقُ الله ﷻ لهذا الأمر فهو الذي خلق المرض، وخلق الموت، وخلق الحياة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، وسيأتي تفصيل هذه.

وذكر المصنفُ رحمه الله المرتبة الأولى بقوله: **(فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى)** أي: المرتبة الأولى: **(الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ)** وهي مرتبة العلم، ومرتبة العلم تشمل شيئين اثنين:

الشيء الأول أَشَارَ إليه المصنفُ بقوله: **(مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ)** أي: الله عَلِمَ أعمال العباد هذا يُصلِّي، وهذا يسرق، وهذا يقرأ القرآن هذا عملٌ.

وعلمه - سبحانه وتعالى - بأعمالهم التي يعملونها الآن قال: **(بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ)** أي: الذي لا أوَّل لابتدائه، وقوله: « الْقَدِيمِ » هذا وصفٌ للصفة وهو جائز، مثل لو قلت: بسمع الله القديم من زمان وهو يسمع - سبحانه وتعالى - لا أوَّل لابتدائه، لكنْ وَصْفُ الله سبحانه بالقِدَمِ لا يصح؛ لأنَّه لم يرد، ويغني عنه: « هُوَ الأَوَّلُ » أي: الذي لا شيء قبله **(الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ)** أي: الموصوف بعلمه القديم.

(أَزَلًا) والمراد بالأزل الشيء السابق المنافي للجهل، فالله - سبحانه وتعالى - لم يجهل ما سيحدث بعد مئة سنة مثلاً؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِير الْخَلَائِق قَبْل أَنْ يَخْلُق السَّمَاوَات وَالأَرْض بِخَمْسِينَ أَلْف سَنَة» .

(وَأَبَدًا) أي: هذا المنافي للنسيان كما قال سبحانه: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾ أي: لا يجهل ﴿وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] هو الأبد، فلا يجهل الوقوع، وإذا علمه لا ينساه - سبحانه وتعالى -، فهذا الأمر الأول: وهو علمه سبحانه بأعمال العباد.

الشيء الثاني الذي يشمله العلم قال: **(وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ)** يعني: عَلِمَ حتى غير حركاتهم، مثل قال المصنفُ: **(مِنَ الطَّاعَاتِ)** يعلم الله ﷻ أنَّ هذا عمل الطَّاعات، عَلِمَ الصَّلاة والزكاة والحجَّ، **(وَالْمَعَاصِي)** عَلِمَ الله ﷻ الخمر والسَّرقة والزِّنا، والمصنفُ مثَّل بالطاعات والمعاصي لما سيأتي - إنْ شاء الله - في أمر الله ﷻ في حدوث أمراً قدرياً كونياً في الأرض بشيءٍ لا يحبه الله.

قال: **(وَالْأَرْزَاقِ)** الله عَلِمَ بالأرزاق، عَلِمَ الذَّهب وعَلِمَ الفضَّة ... وهكذا، **(وَالْآجَالِ)** عَلِمَ أنَّ هذا سيموت بعد سنة وسنتين.

فالعلم يشمل إذا تحرك المخلوق الله يعلمه، والأشياء التي لا تتحرك أيضاً الله يعلمها قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

فكلُّ ما يحدث في الكون هو بعلم الله، وإيمان المرء بأنَّ ما يحدث في الكون هو بعلم الله هذا من الأيمان بالقضاء والقدر، وسيأتي - إنْ شاء الله - بقية المراتب.*

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ، فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ...)**

لما ذكر المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ الشيء الأول من مراتب القدر من الدرجة الأولى، ذكر الشيء الثاني من الدرجة الأولى وهي مرتبة: الكتابة، أي: أنَّ كلَّ ما يحدث في الكون من صغيرٍ أو كبيرٍ فهو مكتوبٌ في هذا اللَّوح المحفوظ.

لذلك قال المصنفُ: **(ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ)** لم يرد وصفَ في كُنْهه وصفته، وإنَّما لوحٌ، وصفة هذا اللَّوح: محفوظٌ **(مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ)** أي: المقدَّر عليهم، أي: ما يحدث لهم من خيرٍ أو شرٍّ، وهذه الكتابة مع علم الله سبحانه ومشيئته وخلقه يدل على إحكام الله جَلَّ وَعَلَا لتدبير الكون؛ إذْ كتب كلَّ شيءٍ لم يحدث قبل أنْ يحدث، فيحدث كما أراد - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

ولما بيَّن المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ كلَّ شيءٍ مكتوبٌ، ذكر بعد ذلك بأيِّ شيءٍ كُتِبَ هذا المقدَّر على الخلائق؟ فقال: **(فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ)** أي: أنَّ المقادير كُتِبت بقلمٍ، اللهُ جَلَّ وَعَلَا خلقه لا نعلم صفة هذا القلم، **(قَالَ لَهُ: اكْتُبْ)** يعني: لم يخلق هذا القلم ثم مَكَثَ برهةً لم يكتب، بل أول ما

خُلِقَ أُمِرَ بالكتابة (**قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟**) وهذا يدل على عظيم قدرة الله؛ إذْ جمادٌ يكتب « قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ » هذا يدل على تواضع الجمادات لله سبحانه، (**قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**) فأَمر الله ﷻ بكتْبِ مقادير الخلائق.

ولما بيَّن المصنفُ أنَّ المقادير كُتِبَت بقلمٍ في اللَّوح المحفوظ، بيَّن بعد ذلك ما هي الثمرة من هذه الكتابة؟ فقال: (**فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ**) يعني: سيحدث بكلِّ دقَّة ما كُتِبَ كما قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] فما أصاب الإنسان مثل: فلانٌ يمرض لم يكن ليخطئه ويذهب لإنسانٍ آخر، أو لا يصل إليه هذا المكتوب.

(**وَمَا أَخْطَأَهُ**) يعني: وما لم يُكتب عليه مثل: فلانٌ لن يكون فقيراً؛ فقد تُخُطِّي عنه الفقر بحيث يكون غنياً، وما أخطأه - وهو الفقر - (**لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**) يعني: لم يكتب عليه الفقر، وكذا فلانٌ يُخْلق أبيضاً لا يكون أسوداً.

ولما بيَّن المصنفُ ؒ أنَّ كلَّ شيءٍ سيحدث هل سيتغيَّر أم لا؟ قال: (**جَفَّتْ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتْ الصُّحُفُ**) يعني: لن يتغيَّر شيءٌ قد كُتِبَ انتهى كلُّ شيءٍ، والدليل على ذلك ما في صحيح مسلم: «جاء سراقة بن مالك رضي الله إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله! علمنا ديننا كأننا خلقنا اليوم

ما تقدير المقادير هل نعمل على ما قدر اليوم أم للمستقبل؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: رفعت الأقلام وطويت المقادير» .

وقول النَّبيِّ ﷺ: « رُفِعَتْ الأَقْلَامُ » قد يكون المكتوب في اللَّوح بأكثر من قلمٍ - والعلم عند الله -، « وَجَفَتْ الصُّحُفُ » يعني: المداد الذي كُتِبت به هذه الأقلام جفَّت لا يمكن أنْ يُمحى منها شيءٌ، فلا يبقى إلاَّ الرِّضا والتَّسليم، فمن مات له قريبٌ البكاء لا ينفع والضَّحك لا ينفع بإعادة ذلك الميت، وإنَّما الذي ينفع الصبر والرِّضا والتَّسليم.

فإذا قيل: الله ﷻ يقول: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩] وكذلك قوله ﷺ فيمن وصل رحمه بأنَّ الله ﷻ يطيل عمره، ويكثر ماله كما قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» هل هذا يناقض أنَّ ما في اللَّوح المحفوظ يُغيَّر؟

نقول: ما في اللَّوح المحفوظ لا يُغيَّر ومكتوبٌ فيه أنَّ فلاناً قاطعٌ لرحمه وعمره يكون كذا، ثمَّ يصل رحمه فيطُول عمره إلى كذا، فاللَّوح المحفوظ لا يُغيَّر منه شيءٌ، وما يُحدثه العبد من حالٍ إلى حالٍ مكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ.

ثم استدل المصنفُ رحمه الله على هذه المرتبة وهي مرتبة الكتابة بقوله: (**كَمَا قَالَ** سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾) يعني: جميع ما في السماء والارض مكتوبٌ

بحركاته وسُكُناته (**وَقَالَ**) سبحانه: (﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾) يعني: مكتوبٌ، وكما قال سبحانه: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ [الأنعام: ٥٩] حتى الورقة التي تسقط من شجرةٍ مكتوبٌ، الورقة الفلانية في اليوم الفلاني، وسرعة سقوطها، وأين تسقط، وبعد سقوطيها أين تذهب؟

كلُّ شيءٍ في هذا الكون بتدبيره سبحانه، فيجب علينا الرِّضا والتسليم بالمكتوب مع دعاء الله ﷻ بأنْ يتولى جميع أمورنا.*

قال رَحِمَهُ اللهُ: **(وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ، يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ - جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا -: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ - قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ -: بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكاً؛ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ...)**

لما بيَّن المصنفُ رَحِمَهُ اللهُ أنَّ الله كتب كلَّ شيءٍ وهو من أنواع القدر، بيَّن بعد ذلك أنواع ما يُكتب.

فقال: **(وَهَذَا التَّقْدِيرُ)** أي: المكتوب **(التَّابِعُ لِعِلْمِهِ)** لأنَّ الله **(سُبْحَانَهُ)** لم يكتب شيئاً إلاَّ بعلمه، كما قال سبحانه: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٨٠] **(يَكُونُ)** أي: هذا المكتوب **(فِي)** عدَّة **(مَوَاضِعَ)** أي: أنَّ المكتوب أكثر من نوعٍ **(جُمْلَةً)** أي: كتابةً مجملةً كما في قول النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((أَنَّ الله قَدَّرَ مَقَادِير الْخَلَائِق قَبْل أَنْ يَخْلُق السَّمَاوَات وَالأَرْض بِخَمْسِينَ أَلْف سَنَة)) جميعاً كلَّ شيءٍ، وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ [الحج: ٧٠]، **(وَتَفْصِيلًا)** أي: أنَّ هناك كتابةً أخرى ليست في اللَّوح المحفوظ، وإنَّما تفصيلٌ في الأزمنة وسيأتي تفصيل ذلك.

فقال عن النوع الأول وهو الجملة: **(فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ)** يعني: جميع ما يحدث في الكون قبل أنْ يخلقه قال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، وبيَّن الكتابة التفصيليِّة، والكتابة التفصيليِّة على أنواع:

النوع الأول: كتابة عمرية، يعني: عُمْر الإنسان من نفخ الروح فيه إلى أنْ يدخل الجنَّة أو النَّار، فقال: (**وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ**) يعني: بلا روحٍ نطفة، علقة، مضغة (**قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ: بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكاً؛ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ**) هذه الكتابة لكلِّ عُمُر إنسانٍ (**بِكَتْبِ رِزْقِهِ**) أي: الأرزاق التي منحها الله ﷻ له، (**وَأَجَلِهِ**) يعني: متى يموت، وهذا يدل على قُرْب الموت من الإنسان، إذا نُفِخت فيه الروح يُكتب متى يموت، (**وَعَمَلِهِ**) أي: ماذا سيعمل في الدنيا، (**وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ**) أي: في الآخرة (**وَنَحْوَ ذَلِكَ**) من التَّقادير التفصيليَّة، ومنها: الكتابة الحوليَّة يعني: السَّنويَّة وهذا يكون في ليلة القدر قال سبحانه: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤]، وكتابة - والله أعلم - أيضاً يومية كما قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩]، والمقصود ما من حركةٍ أو سكونٍ إلاَّ وهي معلومةٌ عند الله مكتوبةٌ عنده - سبحانه وتعالى -.

ولما بيَّن هاتين المرتبتين وجعلهما في درجةٍ واحدةٍ مشتملةٌ على شيئين، بيَّن لك ما هي الحكمة من تفصيل مراتب القدر؟ فقال عن هذين النوعين وهي الدرجة الواحدة: (**فَهَذَا الْقَدَرُ**) أي: المرتبة الأولى: وهي العلم، والمرتبة الثانية: وهي الكتابة (**قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيماً**) وظهروا في أواخر عهد الصحابة، فقالوا: إنَّ الأمر أُنُفٌ أي: مستأنفٌ الله ﷻ لا يعلمه من قبل ولم يكتبه، فعندهم - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - إذا مات

شخصٌ يقولون: الله ما كان سيعلم أنَّه سيموت ولم يكتب ذلك، ولم يعلم إلاَّ لما مات الآن - تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلك -، لذلك سُئل عنهم ابن عمر فقال: «لَيْسَ لَهُمَ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ».

والمصنفُ قال: **(وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ)** أي: في عهد المصنفِ ﵀ **(قَلِيلٌ)** يعني: من ينكر علم الله، وكتابته للأشياء.

وفصَّل في درجةٍ ثانيةٍ، والعلَّة في ذلك: أنَّ الدرجة الثانية بشيئيها الذين ينكرونها صنفٌ واحدٌ، كما الذي أنكر الدرجة الأولى صنفٌ واحدٌ وهم: « غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ » وسيأتي بيان ذلك - إنْ شاء الله -.*

قال ﵀: **(وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ...)**

يذكر ﵀ في هذه الدرجة المرتبة الثالثة وهي: مشيئة الله، فما في الكون يقع إلاَّ بمشيئته سبحانه وإرادته، ويذكر أيضاً المرتبة الرابعة من مراتب القدر وهي: الخلق والإيجاد.

وَأَشَارَ ﵀ إلى المرتبة الثالثة وهي كما قال المصنفُ: الشيء الأول من الدرجة الثانية فقال: **(وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ)** أي: الشيء الأول من الدرجة الثانية، ومشيئة الله ﷻ في القدر تشمل أمرين:

الأمر الأول: (**مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ**) أي: إذا أراد شيئاً لا أحد يستطيع أنْ يرُد إرادته سبحانه وأمره، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس: ٨٢]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

والمصنفُ رحمه الله يرد هنا على طائفتين: طائفةٌ سلبت قدرة الله على أفعال العباد، فقالوا: إنَّ الله لا دخل له في أفعال العباد - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - فقال المصنفُ: « مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ » الذي يريده هو الذي يقع، ويرُد المصنفُ على طائفة ثانية الذين قالوا: إنَّ العبد مجبورٌ على فعل نفسه، وخصَّ هنا وهو يوضح مرتبة المشيئة من سلب عن الله قدرته على فعل عباده فهذا الأمر الأول: « مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ » .

والأمر الثاني: (**وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ**) أي: أنَّ هذه المشيئة تشمل قدرته على كلِّ شيءٍ، فليس هو يقدر على خلق السماوات، ولا يقدر على أفعال العباد؛ لذلك قال: « وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ » .

ولأهمية هذا الأمر عند القدريِّة بطرفيها فصَّل هذه المشيئة فقال: (**وَهُوَ**) أي: وتفصيل ذلك في هذه المشيئة التي تقسم إلى أمرين: « مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ » فصَّل في الأمر الأول وهو مشيئته النافذة فقال: (**الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**) يعني: لا يقع قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة: ١].

ثم فصَّل أيضاً فقال: **(وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ،)** أي: من قال: إنَّ الله مسلوبةٌ إرادته من أفعال العباد فقد كَذَبَ؛ فإنَّه **(لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ)** سبحانه فهذا هو الأمر الأول التي هي النَّافذة.

ثم فصَّل في قدرته الشَّاملة فقال: **(وَأَنَّهُ ﷻ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ)** فالموجود الله قديرٌ أنْ يُعدمَه، والموجود أيضاً الله قديرٌ على أنْ يغيِّره مثل: الصغير يكبر، والصحيح يمرض، والغني يفتقر ... وهكذا، **(وَالْمَعْدُومَاتِ)** المعدومات: غير موجودٍ يوجد، يُوْلد شخصٌ جديدٌ هذا معدومٌ، ليس فيه سحابٌ ثم يوجد سحاب ... وهكذا قال سبحانه: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[الطلاق: ١٢]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].

فكلُّ ما يُحدثه العباد من أفعالهم هو بمشيئة الله وإرادته؛ فمشيئته نافذةٌ فيهم وقدرته شاملةٌ لهم أيضاً، ويأتي - إنْ شاء الله - المرتبة الرابعة.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ)**

هذه هي المرتبة الأخيرة وهي المرتبة الرابعة من مراتب القدر، وعلى تقسيم المصنفُ هي الشيء الثاني من الدرجة الثانية، وهذه المرتبة هي مرتبة: الإيمان بأنَّ الله خلق كلَّ شيءٍ قدَّره على العبد، وهو الذي أوجده سبحانه على العبد من خيرٍ أو شرٍّ، فمثلاً لو كان شخصٌ فقيراً ثم اغتنى، فالذي قدَّر هذا الغنى هو الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، وهو الذي خلق ذلك الفعل وهو الغنى.

لذلك قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ)** كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] فالهواء خلقه الله، والسَّحاب خلقه الله، والماء خلقه الله، والموت خلقه الله فيؤمن العبد بأنَّ الذي أوقع عليه ذلك، وأجده عليه هو الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لحكمةٍ يريدها.

(لَا خَالِقَ غَيْرُهُ) فهو الذي يتصرَّف في عباده كما قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

(وَلَا رَبَّ سِوَاهُ) أي: لا مربوب في هذا الكون يدبِّره بربوبيته بأفعاله إلاَّ الله، فلا يحدثه أحدٌ من المخلوقات، ويكون المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد انتهى من بيان مراتب القدر، ثم يذكر مسائل متعلقة به - بإذن الله -.*

قال ﷺ: **(وَمَعَ ذَلِكَ: فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ: يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...)**

(وَمَعَ ذَلِكَ) أي: ومع مراتب القدر المتقدمة الأربعة لا تعارض بينها وبين الحكمة والشَّرع، فهو سبحانه كَتَبَ على بعض عباده، ومع ذلك الشَّرع لا يرضى بالكفر.

فالمصنفُ يقرِّر هنا مسألة عظيمة قال عنها المصنفُ أيضاً: وقد ضلَّ بسببها كثيرٌ من النَّاس، وهي هل ما أراده الله في الكون يحبه أم لا ؟ والنَّاس في ذلك على ثلاثة أصناف.

الصنف الأول: وهم غُلاَة القدريِّة، فقالوا: إنَّ العبد هو الذي يَخْلق فعل نفسه، وليس لله ﷻ مشيئةٌ ولا إرادةٌ فيما نفعله.

والصنف الثاني: هم غُلاَة القدريِّة، وهم الجبريَّة الذين يقولون: إنَّ الأنسان مجبورٌ على فعل نفسه وليس له اختيار، فالله ﷻ هو الذي يُحركه سبحانه فيما يريده الله سواء من خيرٍ أو شرٍّ.

والصنف الثالث: هم أهل السُّنَّة والجماعة، قالوا: إنَّه سبحانه يقع في كونه ما يريد، ولكن ما يقع منه ما يحبه كالصلاة، ومنه ما لا يحبه كشرب الخمر.

فقرَّر المصنفُ ﷺ هذه القاعدة العظيمة، ووضع أمثلة لما يحبه الله، وما لا يحبه مع وجود الجميع في الكون بي مشيئة الله؛ لذلك قال: « وَمَعَ

ذَلِكَ » يعني: مع ما قدَّره الله ﷻ لعباده لا يناقض ذلك شرع الله وحكمته، مثل: الأب قد يكوي ابنه هو يريد ذلك لكن لا يحب أنْ يُعَذب ابنه بالنَّار، وكذلك الله - سبحانه وتعالى - شاء الكفر لكن لا يريده، وأنت تعطي ابنك مثلاً الحلوى أنت أردت ذلك وتحب الحلوى لابنك، كذلك الله ﷻ أمر بالصَّلاة وأحبَّها لعباده.

قال: (**فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ**) وأنَّ ذلك لا يُناقض ما كتبه الله على عباده، كما أتى رجلٌ للنَّبيِّ ﷺ - لما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «رفعت الأقلام، وجفت الصحف. فقال الرجل: ففيما العمل يا رسول الله! - يعني: لماذا نعمل - فقال: اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خلق الله»، (**وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ**) مع وجودها مثل: الخمر موجودٌ ونهاهم أنْ يقربوه، وليس معنى ذلك أنَّ الله يحب من يشرب الخمر أو الخمر.

ثم مثَّل لما يقع في الكون ممَّا يحبه الله، فقال: (**وَهُوَ سُبْحَانَهُ: يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**) لأنَّهم يعبدونه، (**وَالْمُحْسِنِينَ**) لأنَّهم احسنوا في عبادتهم لله، (**وَالْمُقْسِطِينَ**) أي: العادلون في أحكامهم، ومن محبته أيضاً: (**وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) لأنَّه يحب - سبحانه وتعالى - ذلك العمل.

وأيضا مثَّل بالقسم الثاني: شيءٌ الله أراده لكن لا يحبه، فقال: (**وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**) وإنْ كان شاء ذلك.

فإذا قيل: لماذا يشيء الله في الكون شيئاً لا يحبه؟ نقول: لحكمةٍ للابتلاء، فلولا الكفر لما عُرِفَ قدر الإسلام، ولـمَا دعا الدعاء، ولـمَا اكْتَسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثواب الاحتساب، ولـمَا أُجر المجاهدون في قتال الكفَّار، بل قال ابن القيم: «لولا الكفَّار لم توجد منزلةٌ في الجنَّة: منزِّلة الشُّهداء» .

قال: (**وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**) والمراد بالفاسقين هنا: مَنْ بَلَغُوا درجة الكفر كما قال سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨]، أو لم يصل إلى درجة الكفر كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾[الحجرات: ٦]، فيحدث منهم ذلك ومع ذلك الله ﷻ لا يرضى عن تلك الأفعال (**وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**) لأنَّ الله لما نهى المشركين عن الفاحشة ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[الأعراف: ٢٨]، ووجود الآباء عليها لم يَرُد الله ﷻ ذلك عليهم؛ لأنَّهم هم الذين فعلوها.

قال: (**وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**) وإنْ كان يقع في مُلكه، (**وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**) وإنْ كان يقع في مُلكه؛ فدلَّ على أنَّ كلَّ ما يقع في الكون ليس معناه أنَّ الله يحبه، فمنه ما يحبه وهي الإرادة الدِّينية الشَّرعية، ومنه ما لا يحبه وهي الإرادة الكونيَّة القدريَّة.*

قال ﷀ: (**وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ – وَالْعَبْدُ: هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ –، وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، كَمَا قَالَ:** ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾)

يَرُدُّ المصنفُ ﷀ في هذا الكلام على طائفتين: الطائفة الأولى: وهم القدريَّة الذين يقولون: إنَّ العبد هو الذي يَخْلق فعل نفسه، والله ﷻ - تَعَالَى عن ذلك – يقولون: ليس له قدرةٌ على أعمال العباد.

فردَّ عليهم بقوله: (**وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً**) قال: نعم العباد يفعلون حقيقةً هذا فعلُهم وحركتُهم، لكن (**وَاللَّهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ**) يعني: لا يستطيعون أنْ يفعلوا شيئاً إلاَّ بعد أنْ خلق الله ﷻ ذلك الفعل فيهم.

ثم بعد ذلك مثَّل أفعال العباد فقال: (**وَالْعَبْدُ: هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ**) يعني: منهم من يطيع الله ومنهم من يعصيه، فالمؤمن يفعل أفعال باختياريه لكن الله ﷻ هو الذي يهديه لذلك، والكافر كذلك.

قال: (**وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ**) أي: أنَّ البرَّ هو الذي يفعل الطاعة كقراءة القرآن لكن الله ﷻ هو الذي يهديه لذلك، وهو الذي يَخْلَق فيه تلك الإرادة من حركة اللِّسان، والقلب ونحو ذلك.

قال: (**وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ**) أي: أنَّ العبد هو الذي يفعل ذلك يصلي ويصوم بإرادته لكن بخلق الله لتلك الإرادة.

ثم ردَّ على الطائفة الثانية: وهم الجبريِّة الذين يقولون: إنَّ العبد مجبورٌ على فعل نفسه فليس له اختيارٌ، فقال: (**وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ**) فهو يَكْتب بالقلم ويتوقَّف، (**وَلَهُمْ إِرَادَةٌ**) أنْ يريد أنْ يَفتح الكتاب فيفتَحه، ويريد أنْ يغلقه فيغلقه، لكن (**وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ**) بأجسادهم (**وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ**) فالكتابة الله هو الذي خلقها ويفعلها العبد (**وَإِرَادَتِهِمْ**) أي: العزيمة التي في القلب التي يُوجِدها ويُكَوِّنها هو ربُّ العالمين.

واستدل المصنفُ رحمه الله للردِّ على الطائفتين بقوله (**كَمَا قَالَ**) سبحانه: (﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾) لهم مشيئةٌ لكن مشيئة لله فوق مشيئتهم، لهم مشيئةٌ هذا ردٌّ للجبريَّة (﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾) هذا فيه ردٌّ على القدريِّة، وهو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّ للعبد مشيئةٌ وإرادةٌ، لكن مشيئة الله فوق مشيئته.

ولهذا لو قال الشَّخص: الإنسان مخيرٌ أم مسيرٌ؟ نقول: كلاهما مخيرٌ؛ لأنَّ العبد فِعْلُ نفسه، ومسيرٌ؛ لأنَّ فِعْلَه بمشيئة الله له ... وهكذا.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ، الَّذِينَ سَمَّاهُمُ السَّلَفُ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، حَتَّى يَسْلُبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ؛ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا**)

(**وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ**) هي الدرجة الثانية التي تشتمل على شيئين: مشيئة الله على عباده وخلق الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - لما يَحدث من أفعال العباد، قال: (**يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ**) يعني: غالب أهل القدر، فنفوا أنَّ لله عَزَّ وَجَلَّ مشيئةً على عبده، فجعلوا العبد هو الذي يفعل ما يشاء، فقالوا: لا سلطان لله على عباده - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -.

قال: (**الَّذِينَ سَمَّاهُمُ السَّلَفُ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ**) ووجه الشَّبه بينهم وبين المجوس: أنَّ المجوس فرَّقوا بين الظلمة والنور، قالوا: الظلمة تأتي بالشَّر، والنور يأتي بالخير، وكذلك هؤلاء القدريَّة فرَّقوا بين فعل الله وفعل العباد، فجعلوهم منفكين ولا قدرة لله على أفعال العباد -تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلك - والله يقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[التكوير: ٢٩].

وقسمٌ آخر أَشَارَ إليه المصنفُ بقوله: (**وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ**) يعني: يغلوا في هذه الدرجة وهي الخلق والمشيئة، فقالوا: إنَّ مشيئة الله قويةٌ للعبد، فليس للعبد اختيارٌ في فعل نفسه، فهو مجبورٌ على فعل نفسه كالرِّيشة في مَهَبِّ الريح.

لذلك قال المصنفُ: (**حَتَّى يَسْلُبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ**) لأنَّهم غلوا في المشيئة وفي خلق الله ﷻ لأفعاله، قال: (**وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللَّهِ**) يعني: هؤلاء الغُلاة (**وَأَحْكَامِهِ**) مثل: الصَّلاة والزَّكَّاة وغير ذلك (**حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا**) لأنَّ مِنْ حكمة الصَّلاة أنَّ العبد يأتي إليها باختياره وبمحبته لها؛ طَمَعَاً فيما عند الله.

وهؤلاء قالوا: أنَّه مجبورٌ على ذلك، فكيف يَحمد الله ﷻ ويُنعمُّ من هو مجبورٌ على ذلك الفعل؟ دلَّ على أنَّ الإنسان لم يغلب هواه، وإنَّما أُجْبِرَ على ذلك، وكذلك في المعصية مَنْ أَشْرك، وزنا، وسرق قالوا: لن يُعَذبنا الله، لماذا؟ قالوا: لأنَّنا مجبرون على ذلك الفعل، وهذا ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾[النحل: ٣٥] لكنْ مجبرون على ذلك.

وأهل السُّنَّة: أثبتوا لله مشيئةً، وَخَلْقٌ لأفعال العباد، وللعباد مشيئةٌ وفعلٌ ولكنه تحت مشيئة الله وفعلِه.

مثال ذلك: القلمُ في يدك، أنت تحركه بمشيئتك؛ فدلَّ على أنَّه لك مشيئةٌ، ولك إرادةٌ إذا أردت أنْ توقف القلم؛ فدلَّ على أنَّك لست مجبوراً على فِعْلِ ما تفعله، وإنَّما قدرة الله فوق قدرتك، فلو أراد المريض أنْ يكتب والله شاء مرضه لم يكتب؛ فدلَّ على مشيئة الله فوق مشيئتك.*

قال رحمه الله: **(وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ - قَوْلُ: الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَالْجَوَارِحِ -، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ)**

(وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ) يعني: الطائفة **(النَّاجِيَةِ)** يعني: في الدنيا والاخرة، ناجيةٌ في الدنيا من سلوك طريق أهل الضَّلال، وناجيةٌ في الاخرة من عذاب الله سبحانه من النار؛ فهم أهل السُّنَّة والجماعة.

قال: **(أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ)** هنا مِنْ عَطْفِ الصِّفة على الصِّفة، فالدِّين: الإيمان، والإيمان: الدِّين **(قَوْلٌ وَعَمَلٌ)** يذكر المصنفُ رحمه الله هنا ما هو الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة؟ والإيمان له ثلاثة أركان.

الركن الأول ذكره بقوله: « قَوْلُ » وسيأتي تفسير المصنفِ لذلك.

والركن الثاني قال: « وَعَمَلٌ » وسيأتي تفسير المصنفِ لذلك.

بدأ في تفسير القول فقال: **(قَوْلُ: الْقَلْبِ)** المراد بقول القلب هنا: هو إقراره بالإيمان، كما قال سبحانه: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦] هذا قولٌ بالقلب، **(وَاللِّسَانِ)** أي: الإيمان قولٌ باللِّسان بالطاعات والإيمان به سبحانه.

ثم شَرَعَ في تفسير العمل فقال: **(وَعَمَلُ الْقَلْبِ)** المراد بعمل القلب هنا: ما يثمره إقرار القلب وهو القيام لله بالأعمال القلبية مِنْ: الخوف، والخشية، والتَّوكل على الله عز وجل وغير ذلك، فكلُّ عملٍ قلبيٍّ مثل: المحبة في

الله هذا عمل القلب، (**وَاللِّسَانِ**) أي: حركة اللِّسان بالإيمان بالله هذا عملٌ، (**وَالْجَوَارِحِ**) أي: عمل الجوارح بأعمال الإيمان، مثل: رمي الجمار في الحجِّ، ومثل: المشي للمسجد ... وهكذا.

وقد جاء حديثٌ في جمع هذه الأمور الثلاثة - القلب، واللِّسان، والجوارح - في قوله ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً: أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ» هذا قولٌ «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» هذا عملٌ «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» هذا في القلب.

والركن الثالث أَشَارَ إليه المصنفُ بقوله: (**وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ**) أي: أنَّ الإيمان يتجزأ، ويتبعض إذا أتته طاعةٌ زَادَ، وإنْ حَرَمَه المرء من الطَّاعة أو فَعَلَ المعاصي نقص إيمانه.

دليل الزيادة قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال سبحانه: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

ودليل النُّقصان - إضافةً إلى مفهوم الآيتين السَّابقتين - قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا» وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ».

وخالف أهل السُّنَّة المرجئة فقالوا: يكفي في الإيمان التَّصديقُ بالقلب، أو المعرفة حتى لو ما صَدَّق مثل: إبليس يَعْلم الكفر لكنَّه كَفَرَ، وبعضهم قالوا: يكفي القول باللِّسان حتى ولو لم يكن في القلب إيمانٌ.

فلا يشترطون العمل وخالفوا في ذلك النصوص الكثيرة الموجبة للعمل، كما في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة: ٩]، وكقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البينة: ٧] وهكذا، ولو كان عندك عاملٌ يقول: نعم أنا أجيرٌ عندك وأُحبُّك لكن لا يطيعه - لا يعمل بالجوارح - فمعنى ذلك: أنَّه كاذبٌ في قوله، وفي قلبه في محبته لك.

وخالف أيضاً أهل السُّنَّة الخوارج والمعتزلة، وقالوا: نعم إنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ، يعني: وافقوا أهل السُّنَّة في ذلك، وخالفوهم بأنَّ الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ، فإذا خرج منه جزءٌ خرج جميعه مثل: لو زنا يخرج جميع الإيمان من قلبه، ومثل: لو شرب الخمر يخرج منه جميع الإيمان، قالوا: لأنَّ الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ.

والمعتزلة قالوا كقول الخوارج لكن منزلةٌ بين المنزلتين: يخرج من الإيمان لكن لا يصل إلى الكفر في منزلةٍ بينهما، ما هي هذه المنزلة؟ مجهولةٌ.

واتَّفق الخوارِج والمعتزلة على مآل صاحب الكبيرة أنَّ خالدٌ مخلدٌ في النَّار - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - فمن شرب خمراً عندهم خالدٌ مخلدٌ في النَّار، ومن حلف يميناً غموساً خالدٌ مخلدٌ في النَّار.

ويَردُّ معتقدهم أحاديث ونصوص كثيرة من الكتاب والسُّنَّه، فمن الكتاب: أنَّ القتال بين المؤمنين كبيرةٌ ومع ذلك الله قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، ولما شرب الرجل الخمر قال أحد الصحابة: «اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَلْعَنُوهُ؛ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» فنهاه عن لعنه؛ لأنَّه مسلمٌ، وكذلك النَّبِيُّ ﷺ صلَّى على ماعزٍ، وقال عن الجُهَنيِّة: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ لَوَسِعَتْهُمْ» فدلَّ على فاعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان، وسيأتي - بإذن الله - ماذا نسمِّيه.*

قال رحمه الله: **(وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ: لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ، بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ:** ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ **...)**

(وَهُمْ) أي: أهل السُّنَّة والجماعة **(مَعَ ذَلِكَ)** أي: مع اعترافهم بأنَّ الإيمان قولٌ وعملٌ يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعصية **(لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ)** والمراد بأهل القبلة: أي: المسلمون، قال: **(بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي)** المعاصي تنقسم إلى ثلاثة أقسام بالنِّسبة إلى الإيمان:

القسم الأول: معصيةٌ تخرج المرء من الإيمان بالكلية، مثل: الاخلال بشيءٍ من أركان الإيمان.

القسم الثاني: معصيةٌ تخرج المرء من كمال الإيمان الواجب، مثل: قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين.

والقسم الثالث: معصيةٌ تنقص كمال الإيمان المندوب.

وقول المصنفِ رحمه الله: «بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي» أي: القسم الثاني والثالث، أي: المعصية التي لا تُؤثر على أصل الدِّين، قال: **(وَالْكَبَائِرِ)** أي: ولا يُكَفرون أيضاً بالكبائر، كالربا، وشُرب الخمر، والزنا وغير ذلك، قال: **(كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ)** إذْ يُكَفرون المرء ويخرجونه من الدِّين بسبب ارتكاب شيءٍ من الكبائر.

قال: (**بَلْ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ**) يعني: بين المؤمنين (**ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي**) وإنْ فعلوا شيئاً من المعاصي دون الكفر، (**كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ**: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾) القاتل (﴿شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾) فسمَّى الله ﷻ القاتل الذي فَعَلَ كبيرةً من كبائر الذنوب بأنَّه أخٌ للمؤمنين، (**وَقَالَ**) سبحانه: (﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾) أيضاً هنا قتال، طائفة مؤمنةٌ تقتل طائفةً مؤمنةً (﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾) أي: قال للطائفة المصلحة بين الطائفتين: إنَّما المؤمنون أخوةٌ، أي: الباغية، والمبْغِى عليها والمصلحة كلُّهم أخوةٌ في الدِّين (﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾) .

فدلَّ على أنَّ الإنسان لا يخرج من الدِّين بمعصيةٍ إلى الكفْر، وهذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وكذا - كما سيأتي - لا يكفِّرون أحدً فَعَلَ معصيةً دون الكفر.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ وَيُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ، بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ، فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ ...)**

لما ذكر المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة أنَّهم لا يُكفِرون أهل القبلة في مطلق المعاصي، فإذا لم نكفرهم ماذا نُسمِّيهم، هل: نُسمِّيهم مؤمنون كامل الإيمان، أم لا؟

فقال: **(وَلَا يَسْلُبُونَ)** أي: لا يمنعون إطلاق اسم الإيمان **(الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ)**؛ لأنَّ الفاسق ينقسم إلى قسمين في الشَّرع:

قسمٌ: يطلق على الكفَّار قال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾ [السجدة: ١٨].

والقسم الثاني: يطلق على عصاة المسلمين كما قال سبحانه: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦].

(اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ) يعني: لا يقولون: إنَّه ليس مؤمناً الآن لم يُكفِّروه، وأيضاً لا يقولون عنه: أنَّه ليس بمؤمنٍ بل مؤمنٌ، قال: **(وَيُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ)** وأيضاً والخوارج في المسألة الأولى في الأحكام في الدنيا، وهي التي «وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَيُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ» هذه أحكام الآخرة.

ولما قرَّر المصنفُ رحمه الله هذه القاعدة بأنَّ أهل الكبائر من أهل القبلة مؤمنون، بدأ يُفصِّل فقال: (**بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ**) يعني: يدخل في أصل الإيمان، وفي مُسمَّى الإيمان (**فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى**: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾) حتى ولو كان يشرب الخمر نقول: هو مؤمنٌ لكنَّه ليس كاملُ الإيمان؛ لأَّن الله عز وجل وصف ذلك بالإيمان «﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ » فلو شخصٌ ظَاهَرَ مِنْ امراته وأعتَّق رقبةً فاسقةً يصح؛ فدلَّ على أنَّ الفاسق يُطلق عليه مؤمنٌ - أي: أصل الإيمان -.

قال: (**وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ**) أي: وقد لا يدخل إذا أُطْلق الإيمان في الإيمان (**الْمُطْلَقِ**) أي: الكامل (**كَمَا فِي قَوْله**) سبحانه: (﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾) وشارب الخمر والزَّاني لا يجلوا قلبهم؛ فهو لا يدخل مع هؤلاء الذين كَمُلَ إيمانهم، وإنَّما يأخذ مسمَّى الإيمان أَصْلُه لا كَمَاُله، قال: (**وَقَوْلِ**) أي: ومثل قَوْلِ (**النَّبِيِّ** صلى الله عليه وسلم) في أنَّ مرتكب الكبيرة لا يكون مؤمناً كامل الإيمان (**يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**) أي: في حال الزَّنا لا يمكن أنْ يكون كامل الإيمان، وبعد الزِّنا يَعُود إذا تاب وأناب إلى الله قد يكون كامل الإيمان، فأثناء الزِّنا ليس مؤمناً كاملاً، ومع ذلك لا نخرجه من الإسلام.

وكذلك قولُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: (**وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ**) فهو حين السَّرقة ليس بمؤمنٍ كامل الإيمان (**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**) أي: وهو مؤمنٌ كامل الإيمان؛ فدلَّ على أنَّ المؤمن ناقص الإيمان.

(**وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**) كذلك، (**وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً**) أي: أَخْذُ الشيء والنَّاس يرونه على سبيل السُّرعة (**ذَاتَ شَرَفٍ**) أي: ذات مكانةٍ، يعني: شيءٌ نفيسٌ (**يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**) فدلَّ على أنَّ المنتهب في حال نُهبته ليس بمؤمنٍ كامل الإيمان.

فلمَّا بيَّن المصنفُ رحمه الله أنَّه ليس بمؤمنٍ كامل الإيمان، وعنده أصل الايمان ماذا نُسمِّيه؟ أعطاك قاعدةً مختصرةً لما سبق قال: (**وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ**) يعني: معه أصل الإيمان لكن (**نَاقِصُ الْإِيمَانِ**) .

وعبارة أخرى لأهل السُّنَّة: (**أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ**) أي: مؤمن بأصل إيمانه (**فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ**) أي: فاسقٌ بسبب ارتكاب كبيرته.

وبناءً عليه قال: (**فَلَا يُعْطَى الِاسْمَ الْمُطْلَقَ**) يعني: ما نعطيه الإيمان الكامل وهو يشرب الخمر، وهو يزني، ويعُقُّ والديه، (**وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ**) أي: ولا نحرمه من أصل الإيمان.

ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة: هو العدلُ العظيمُ، وتُسمَّى هذه المسألة: مسألة الأحكام - أي: كيف نحكم على الشَّخص -؟ وتُسمَّى أيضاً مسألة الدِّين أي: كيف نُصنِّف النَّاس في هذا الدِّين مؤمنٌ فاسقٌ، مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته ... وهكذا.

وبسبب جهل بعض النَّاس في هذا التَّفصيل الذي ذكره المصنفُ ﵀ كَفَّر بعضهم مَنْ هو مسلمٌ؛ بارتكابه الرِّبا أو إعلانه للمعازف في الأماكن العامة وغير ذلك، وهذا لا يُكفَّر وإنَّما نسير على معتقد أهل السُّنَّة والجماعة بأنَّ معه أصل الإيمان لا نخرجه من الملَّة.*

قال رحمه الله: (**وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ اللَّهِ** ﷺ، **كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ:** ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ **...**)

يذكر رحمه الله هنا في هذا الأصل معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة، وفي آل النَّبيِّ ﷺ، ومن آله زوجاتُه رضي الله عنهنَّ، وهذا فصلٌ عظيمٌ انقسم النَّاس فيه إلى ثلاثة أقسام:

قسمٌ: غلوا في آل البيت وألَّهوا بعضهم، ومن كان من غير آل البيت عادوهم إلاَّ نفراً يسيراً من الصحابة وبهذا ذهب الرَّافضة.

الطائفة الثانية: طعنوا في آل بيت النَّبيِّ ﷺ وهم الخوارج، وأهل السُّنَّة والجماعة أحبُّوا الصَّحابة وأحبُّوا آل البيت.

ومن أصولهم في ذلك ما ذكره المصنفُ في قوله: (**وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ**) أي: مِنْ البُغض والحقد والغلِّ، (**وَأَلْسِنَتِهِمْ**) أي: سلامة أَلْسِنتهم مِنْ الطَّعن والسَّبِّ والشَّتم واللَّعن - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - (**لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ اللَّهِ** ﷺ) لأنَّ جميع أصحاب الرُّسل لم يطعن فيهم أحدٌ، وأما أصحاب محمد صلى الله عيله وسلم فقد طَعَنَ فيهم: الرَّوافض والخوارج.

ولم يقل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « السَّلَامَةُ فِي عَدَمِ الطَّعْنِ فِي أَبْدَانِهِمْ » لأنَّهم ماتوا رضي الله عنهم، فأذوا المسلمين - أي: الرَّوافض والخوارج - بالبُغض والسَّب فقط، أما أجسادهم فلا، واستناد أهل السُّنَّة في القلب واللِّسان قال: **(كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ)** أي: الصحابة **(بِهِ فِي قَوْلِهِ:** ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾**)** هذه سلامةُ اللِّسان بالدُّعاء للصَّحابة، والتَّرضي عنهم، والثَّناء عليهم، والدعاء بأنْ يكون المرء معهم يوم القيامة.

ولو قدَّم المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلامةُ الألسن على القلب كان أولى حتى يكون مناسباً للآية: (﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾) هذه سلامة القلوب.

ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة أيضاً: طاعةُ النَّبيِّ ﷺ في عدم سبِّ الصحابة، فقال: **(وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي)** وقال النَّبيُّ ﷺ هذا القول: لما أنكر عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على خالد بن الوليد قَتله في بني جذيمة، فسبَّ خالدٌ - وهو أسلم بعد عبد الرحمن بكثيرٍ، فسبَّ عبدالرحمن بن عوف -، فقال النَّبيُّ ﷺ لخالدٍ وهو قائد المسلمين حين ذاك في تلك المعركة قال له: « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي » فمن باب أولى تحريم سبِّ من جاء بعد الصحابة رضي الله عنهم.

(فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا) يعني: تصدَّق بذهبٍ مثل جبل أحدٍ **(مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ)** الـمُدُّ: مجمع الكفين

(وَلَا نَصِيفَهُ) أي: ما بلغ لا مدَّ ولا نصف مد، أي: أنَّ الصحابي إذا تصدَّق بمدٍ أو بنصف مدٍّ ذهباً، وغير الصحابي المؤمن تصدَّق مثل جبل أحد ذهباً، مُدَّ الصحابي أفضلُ عند الله أولاً: لإخلاصه، وثانيًا: لفضل الصُّحبة، وثالثًا: لسُبْقِه الدخول في الاسلام.

ويجب الثَّناء العاطر للصحابة؛ لأنَّهم خير القرون ولأنَّ العلم لم يصلنا إلاَّ من طريقهم، ولأنَّهم هم الذين نشروا الإسلام في الآفاق، ولأنَّهم كافحوا عن النَّبيِّ ﷺ وعن الدِّين، ولأنَّهم صدقوا في حمل راية الإسلام فوصلنا، قال شيخ الإسلام ﵀: «وكل ما فيه المسلمين اليوم من خيرٍ ورخاءٍ؛ إنَّما هو ببركة الصحابة ﵃» لأنَّهم هم الذين أدَّوا إلينا الدِّين وحملوه لنا ونقلوه لنا.

ومن واجب مَنْ أحسن إليك أنْ تُثني عليه لا أنْ تسبَّه، وسبُّ أهل الشِّيم والعِظام لا يضروه شيئاً إنَّما هو شموخٌ لهم، وفيه تمحيصٌ للمنافق الكاره للدِّين ولرسول الدِّين مِنْ: المؤمنِ الصادقِ المحبِّ للنَّبيِّ ﷺ ولصحابته، وسيأتي أيضاً بقية أصول أهل السُّنَّة في الصحابة رضي الله عنهم.*

قال ﵀: (**وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ أَوِ الْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ، فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ – وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ**)

(**وَيَقْبَلُونَ**) أي: ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة في الصَّحابة رضي الله عنهم: أنَّهم يؤمنون (**مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ أَوِ الْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ**) أي: من مَناقبِهم (**وَمَرَاتِبِهِمْ**) أي: درجاتهم، والفضائل تنقسم إلى قسمين:

قسمٌ: فضيلة جنسٍ على جنسٍ، ومثَّل المصنفُ ﵀ بذلك بمن أَنْفَق من قَبِل الفتح، وأمثلة أخرى كما سيأتي.

وقسمٌ ثاني: تفضيل عين من الصَّحابة على الآخر، كالعشرة المبشَّرين بالجنَّة، والمصنفُ ﵀ ذكر للفضائل أربعة أمثلة. قال: «وَمَرَاتِبِهِمْ» والمراتب تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: جنسٌ على جنسٍ، ومثَّل بذلك المهاجرين على الأنصار.

والقسم الثاني: مرتبة عينٍ على عينٍ، كالخلفاء الرَّاشدين درجتهم أعلى من غيرهم، كما مثَّل بذلك المصنفُ ﵀.

فقال ﵀ في تفضيل الصَّحابة ﵃- جنسٌ على جنسٍ -: (**فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ – وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ**

مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ) يعني: مَنْ أَسْلَم قَبل صلح الحديبية أفضلُ ممن أَسْلَم مِنْ بعد صلح الحديبية، هذا تفضيل جنسٍ على جنسٍ، فمن أصول أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بذلك مع أنَّ الجميع في الجنَّة كما قال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

ثم بعد ذلك مثَّل المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بمرتبة جنسٍ على جنسٍ، فقال: **(وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ)** أي: يؤمنون بأنَّ مرتبة المهاجرين أفضل من الأنصار وهذا بالإجماع؛ لأنَّ المهاجرين جمعوا بين الهِجرة والنُّصرة، وأما الأنصار فاتَّصفوا بالنُّصرة ولم يهاجروا؛ لأنَّ المدينة ديارُهم.

لذلك اختار الله عَزَّوَجَلَّ جميع الخلفاء الرَّاشدين من المهاجرين، وقال أبو بكر رضي الله عنه للأنصار: «نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ» مع أنَّ الجميع في الجنَّة رضي الله عنهم وأرضاهم.*

قال رحمه الله: **(وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْت لَكُمْ»، وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ...)**

ذكر المصنفُ رحمه الله بأنَّ من أصول أهل السُّنَّة والجماعة: أنَّهم يَقْبلون بما جاء به الكتاب والسُّنَّة والإجماع مِنْ: فضائلهم ومراتبهم، ومضت فضيلةٌ ومرتبةٌ، وهنا يذكر رحمه الله فضيلتين كلاهما فضيلة جنسٍ على جنسٍ، وليس فرداً على فرد.

فقال في الفضيلة الثانية: **(وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ)** أي: لمن شَهِدَ غزوة بدر **(وَكَانُوا ثَلَاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ)** يعني: يشير إلى أنَّهم قلَّة **(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)** يعني: بأنَّ الله قال لهم: اعملوا ما شئتم **(فَقَدْ غَفَرْت لَكُمْ)** وليس معنى هذا الإذن لمن شِهَدَ غزوة بدر أنْ يعمل ما شاء من المعاصي، وإنَّما كلُّ ذنبٍ متجددٍ منهم يُوفَّقون للتّوبة ويغفر الله عز وجل لهم خطأهم، كما حدث لحاطب بن أبي بلتعه رضي الله عنه «لما أرسل كتاباً إلى قريشٍ يخبرهم بمجيء النَّبيِّ ﷺ ولكن لما كُشِفَ الكتاب تاب حاطبٌ رضي الله عنه توبةً صادقةً»، وأيضاً ليس كلُّ أهل بدر على مرتبةٍ واحدةٍ؛ فحاطب رضي الله عنه ليس كأبي بكر في الفضيلة، لكن يكفي أنَّ مِنْ مناقب الصَّحابة أنَّ مَنْ شهد بدر مغفورٌ له.

ثم بعد ذلك ذكر الفضيلة الثالثة في جنس بعض الصَّحابة رضي الله عنهم، فقال: **(وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ)** هذا وعدٌ للنَّبيِّ ﷺ **(بَايَعَ تَحْتَ**

الشَّجَرَةِ) والمراد شجرة الحديبية، وسبب البيعة ما أُشِيعَ عنَّد المسلمين أنَّ عثمان ﵁- لما أرسله النَّبيُّ ﷺ إلى أهل المكة؛ ليعرض الدخول إليها - أُشِيعَ بأنَّه قُتِلَ، فالنَّبيُّ ﷺ قال لأصحابه: «مَنْ يُبَايعني عَلَى الموْتِ» **(وَكَانُوا)** كما قال المصنفُ: **(أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَع مِئَةٍ)** فكلُّهم بايعوا، ثم بعد ذلك تبيَّن لهم أنَّ عثمان ﵁ لم يُقْتَل بل عاد إليهم.

فكلُّ مَنْ بايع تحت الشَّجرة لا يدخل النَّار وهذه فضيلةٌ عظيمةٌ لمن شَهِدَها، بل هناك فضلٌ أعظم منه لهم ذكره المصنفُ قال: **(كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ)** - وهو في صحيح مسلمٍ -، ودرجةٌ أعلى كما قال المصنفُ: **(بَلْ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)** كما أخبر الله ﷻ بذلك ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨]، ودرجة الرضوان أعلى من تحريم دخولهم النَّار؛ فإنَّه إنْ رضي عنهم لا يدخلون النَّار، فيجب أنْ نحبَّ الصَّحابة؛ لأنَّ منهم من وَعَدَه الله بأنَّ النَّار لن تمسه.*

قال رحمه الله: **(وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ - كَالْعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ -)**

هذه من فضائلهم أيضاً، فمِنْ فضائلهم: أنَّهم مشهودٌ لهم بالجنَّة، والشَّهادة للصَّحابة رضي الله عنهم بالجنَّة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الشَّهادة لوصفهم، فكلُّ صحابيٍّ في الجنَّة كما قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وكما قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[النساء: ٩٥].

والقسم الثاني: الشَّهادة لأشخاصٍ بأعيانهم بأنَّهم من أهل الجنَّة، ومثَّل المصنفُ رحمه الله لهذا القسم باثنين.

فقال: **(وَيَشْهَدُونَ)** أي: مِنْ أصول أهل السُّنَّة والجماعة: يشهدون لهم **(بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ)** يعني: بعينه، **(كَالْعَشَرَةِ)** المبشَّرين بالجنَّة، والذين بشَّرهم النَّبيُّ ﷺ بأعيانهم أكثر من عشرة، وإنَّما قال هنا: « كَالْعَشَرَةِ » لأنَّه وَافَقَ في مجلسٍ واحدٍ عشرة من الصَّحابة فقال: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ» كما رواه الإمام أحمد، فَسُمُّوا العشرة المبشَّرون في الجنَّة، والعشرة المبشَّرون بالجنَّة هم الخلفاء الرَّاشدون، وبقيتُهم نظمه بعدهم في قوله:

سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ * وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ**

هؤلاء ستة، والخلفاء الرَّاشدين أربعة كلُّهم عشرة، فنشهد بالأعيان بأنَّ أبا بكر في الجنَّة وعمر في الجنَّة ... إلى آخره.

ثم بعد ذلك ذكر مَنْ هم غير العشرة أيضاً في الجنَّة، قال: **(وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ)** رضي الله عنه أيضاً شَهِدَ له النَّبيُّ ﷺ بعينه بأنَّه في الجنَّة، وذلك رضي الله عنه أنَّه كان جَهُوريِّ الصوت، وكان يخطب للنَّبيِّ ﷺ فنزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ٢] فمكث في بيته يبكي ظنَّ أنَّ هذه الآية نزلت فيه، فأفتقده النَّبيُّ ﷺ فأرسل إليه فأخبره ثابتٌ بالخبر، فقال النَّبيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوه بأنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّة» .

(وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ) ومن أهل الجنَّة: عُكَّاشة بن محصن رضي الله عنه لما قال النَّبيُّ ﷺ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» ، ومن أهل الجنة عبدالله بن سلام رضي الله عنه كما في الصحيح قال سعد بن أبي وقَّاص: «مَا سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَشْهَدُ لأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ بِالجَنَّة إلاَّ لِعَبْدِالله بِنْ سَلاَم» ، وأيضاً ممن شَهِدَ له النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة بعينه: بلالٌ كما قال عليه الصلاة والسلام: «سَمِعتُ دَفَّ نَعلَيكَ بَينَ يَدَيَّ في الجَنّةِ» - كما في صحيح البخاري -، وممن شَهِدَ أيضاً له النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة: سعد بن معاذ حيث قال النَّبيُّ ﷺ: «لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنّةِ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ» - لما أؤتي إليه بحريرٍ -، وممن شَهِدَ أيضاً له النَّبيُّ ﷺ بالجنَّة: المرأة التي كانت تُصرع فقال لها النَّبيُّ ﷺ:

«اصْبِرِي وَلَكِ الجَنَّة» فهذا من فضائلهم، وأما الشَّهادة لغير الصَّحابة بالجنَّة فينقسم أيضاً إلى قسمين:

القسم الاول: الشَّهادة بالوصف، فنقول: المؤمنون في الجنَّة، أو المتقون في الجنَّة، أو الصالحون في الجنَّة.

القسم الثاني: الشَّهادة بالجنَّة بالأعيان، وهذا لا يجوز أنْ يُشْهد لأحدٍ بأنَّه من أهل الجنَّة غير الصحابة رضي الله عنهم بعينه، لكن مَنْ مات على الإيمان وَشَهِدَ النَّاس له بذلك كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث: «مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: وَجَبَتْ» قال الشَّيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: «نشهد له شهادةً قريبةً مِنْ الجَزْم بأنَّه من أهل الجنَّة لكن لا نجزم» .

والشَّهادة بالنَّار ينقسم أيضاً إلى قسمين:

القسم الأول: الشَّهادة بالوصف، مثل: الكفَّار في النَّار، والمنافقون في النَّار.

والقسم الثاني: الشَّهادة بالنَّار بالأعيان، وهذا ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أتى النص فيه بأنَّه من أهل النَّار كفرعون، وإبليس، وأبي لهب، وأبي طالب، وأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وأُبيُّ بن أبي سلول وغيرهم.

والقسم الثاني: مَنْ لم يأت نصٌ فيه بأنَّه من أهل النَّار وهو ينقسم إلى قسمين:

قسمٌ: معروفٌ بالكفر ويموت عليه، كمن يُعْلن الكفر ويموت عليه، فهذا نشهد عليه بالنَّار كعلماء الأحبار، والرُّهبان، والدُّعاة إلى الشرك وغير ذلك.

والقسم الثاني: يعيش بين المسلمين ولكنَّه لا يؤدِّي شعائر الإسلام مثل: الصَّلاة، أو يعيش في ديار المشركين وهو يدَّعي الإسلام لكن لا يظهر شعائره فهذا لا نَشْهَد عليه بالنَّار؛ لأنَّه قد يكون أسلم ولهذا ذهب الشَّيخ محمد بن ابراهيم ﵀، وهذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك.

ومسألة التَّكفير هي هذه ثمرتُها، ومَنْ سَلَكَ مَسْلَك أهل السُّنَّة والجماعة في باب « أَسْمَاءُ الإِيمَانِ وَالدِّيْنِ وَالأَحْكَامِ » أي: التَّكفير في الدنيا، وَسَلَكَ بعد ذلك الشَّهادة للمسلمين أو بالجنَّة أو النَّار في الآخرة؛ سَلِمَ في دينه ولَقِي ربَّه كما أراد سبحانه.*

قال ﷺ: **(وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ: مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ...)**

لما ذكر المصنفُ ﷺ بأنَّ من أصول أهل السُّنَّة والجماعة: يقبلون ما جاء به الكتاب والسُّنَّة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ذكر ﷺ في الفضائل أربعة فضائل وسبقت، وذكر مرتبتين من مراتبهم: المرتبة الأولى وسبقت أنَّ المهاجرين - وهذا تقديم عامٌّ - أفضل من الأنصار.

المرتبة الثانية: ترتيب بعض الصَّحابة بالأفضلية بعضهم على بعض بأعيانهم، فقال: **(وَيُقِرُّونَ)** يعني: ويقبلون بما جاء في ترتيب بعض الصَّحابة بأعيانهم **(بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ)** قال المصنفُ ﷺ في مِنْهَاج السُّنَّة: «عن ثمانين من الصَّحابة» **(عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ: مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ)** وساق المصنفُ ﷺ هذه الجملة؛ للرَّدِّ على من فضَّل علياً على أبي بكر وعمر، فَسُئل علي بن أبي طالب ﷺ- وهو في منبر الكوفة - مَنْ أفضلُ هذه الأمة بعد نبيها؟ قال: أبو بكر ثم عمر، وهو حين ذاك كان الخليفة، وقال محمد بن الحنفية سألت جدِّي -يعني: علي - مَنْ أفضل هذه الأمة بعد نبيها؟ فقال: أبو بكر ثم عمر.

ثم مسألة ثانية قال: (**وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانِ**) أي: أنَّ أفضل هذه الأمة بعد نبيها: ثالث واحد فيهم هو عثمان، (**وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ**) أي: أنَّ رابع شخص في هذه الأمة في الأفضلية هو علي (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**).

قال: (**كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ**) أي: في تقديم أبي بكر وعمر، كما في قوله ﷺ: «دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وقال: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ» وهكذا، قال: (**وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ**) يعني: في الخلافة، أي: أنَّ الصَّحابة لم يكن ليبايعوا عثمان؛ إلاَّ لأنَّه أفضل من عليٍّ، فليس لهم أنْ يتجاوزا الفاضل ولا يعينونه خليفةً، فلمَّا تجاوزا علياً وبايعوا عثمان دلَّ على فضله على عليٍّ وهذا بإجماع الصَّحابة رضي الله عنهم.

وما ذكره المصنفُ رحمه الله وكما سيأتي - بإذن الله - هذا في مسألة التفضيل يعني: أيُّهما أفضل؟ وليست في مسألة الخلافة كما سيأتي - إنْ شاء الله -.*

قال رحمه الله: (**مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا ...**)

لما ذكر المصنفُ رحمه الله أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة يُثَلِّثون بعثمان ويُربِّعون بعليٍّ، استطرد فقال: (**مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ**) على أقوال عدَّة ستأتي، أي: أنَّ الخلاف هنا في تفضيل علي على عثمان قولٌ لبعض أهل السُّنَّة وليس جميع أهل السُّنَّة، (**بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**) أي: أنَّ أهل السُّنَّة لم يختلفوا في أنَّ أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر ثمَّ عمر.

ثم ساق خلاف أهل السُّنَّة السَّابق فقال: (**أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا**) يعني: قالوا أبو بكر أفضل، ثمَّ عمر أفضل، ثمَّ عثمان أفضل ولم يذكروا علياً رضي الله عنه.

(**أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ**) قسمٌ ثاني من أهل السُّنَّة يقولون: أبو بكر أفضل، ثمَّ عمر أفضل، ثمَّ عثمان أفضل، ثمَّ علي.

وقولٌ ثالثٌ سابقٌ لأهل السُّنَّة: (**وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا**) على عثمان رضي الله عنهما.

وقولٌ رابعٌ قال: (**وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا**) يعني: لم يفضلوا هذا على ذاك، ولا ذاك على هذا رضي الله عن الجمعين.

ثم بعد أنْ ساق هذا الخلاف السَّابق في الأفضلية، قال: (**لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ**) والجماعة يعني: جميعاً اتَّفقوا (**عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ ثُمَّ عَلِيٍّ**) رضي الله عنهم جميعاً، وذلك أفضليَّتهم في الخلافة، وسيأتي - إنْ شاء الله - في الدَّرس القادم مسألة الخلافة.*

قال رحمه الله: **(وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -: لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّة، لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ ...)**

(وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ) ثم فَسَّرَ ما هي المسألة؟ **(مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ)** أي: مسألة تفضيل عثمان على علي **(لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا)** أي: لو فَضَّل علياً على عثمان لا يُضَلَّل **(عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّة)** وبعض أهل السُّنَّة يُضَلِّلُه؛ لأنَّه خالف الصَّواب وإجماع أهل السُّنَّة على أنَّ الأفضل عثمان رضي الله عنه، ثمَّ علي رضي الله عنه.

قال: **(لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا)** يعني: يُحكم عليه بالضَّلال: **(مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ)** أي: مسألة ترتيب الخلفاء الرَّاشدين؛ لانعقاد الإجماع عليها مُنْذ انعقاد الوِّلاية لهم، **(وَذَلِكَ أَنَّهُمْ)** أي: أهل السُّنَّة **(يُؤْمِنُونَ)** وهذا بالإجماع **(أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ)** ومَنْ قدَّم علياً على أبي بكر في الخلافة؛ فقد طَعَنَ في الصَّحابة رضي الله عنهم جميعاً، وَطَعَنَ أيضاً في النَّبيِّ ﷺ لما أعطى الخلافة لأبي بكرٍ بعده، قال شيخ الاسلام رحمه الله في المنهاج: «وثبت بالنَّص والإجماع على أنَّ الخليفة بعد النَّبيِّ ﷺ هو أبو بكر» ثم استدلَّ بمثل قول النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام -: لما أتت المرأة قالت: فإذا لم أجدك، قال: تجدين أبي بكر، ومسألة أنَّه أمر أبا بكر أنْ يصلِّي بالصَّحابة وغير ذلك من أدلَّة.

قال: (**وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ**) أي: لا يفهم شيئاً؛ لأنَّه خالف النَّص وخالف الإجماع. وهذه المقولة هي للأمام أحمد رحمه الله.

وقال: «أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ» لأنَّه لا يُعرف مِنْ الحيوانات أغبى وأبلد من الحمير؛ لذلك الله عز وجل يذكر مَثَلَ الحمار في عدم الفهم ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[الجمعة: ٥].

فممَّا تقدَّم دلَّ على أنَّ الخلافة كما اتَّفق عليها الصَّحابة، وأنَّ الأفضلية أيضاً كما اتَّفق عليها أهل السُّنَّة.*

قال ﷺ: (**وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُم، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ...**)

سَبَقَ أنَّ المصنفَ ﷺ قال: « وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ اللَّهِ ﷺ » وهذا الأصل يندرج تحته خمسة أقسام:

القسم الأول: سلامةُ القلب والصُّدور لعامَّة الصَّحابة ﷺ.

القسم الثاني: سلامةُ القلب واللِّسان لأهل بيت رسول الله ﷺ.

القسم الثالث: لأزواجه ﷺ.

القسم الرابع: يتبرؤون من طريقة الرَّوافض كما سيأتي - إن شاء الله -.

والقسم الخامس: يُمسكون فيما شجر بين الصَّحابة ﷺ.

وَسَبَقَ القسم الأول: هو عامة الصَّحابة بأنَّنا نحبُّهم وندعو لهم.

القسم الثاني هنا: أهل بيت رسول الله ﷺ، والواجب فيهم كما ذكره فيهم ﷺ بقوله: (**وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) يعني: الأمر الأول في أهل بيت رسول الله ﷺ: وجوبُ محبَّتِهم، ومِنْ محبَّتهم: الثناءُ عليهم، والدَّعاء لهم بالتَّرضي عنهم.

الأمر الثاني أَشَارَ إليه بقوله: (**وَيَتَوَلَّوْنَهُم**) أي: ينصرونهم ويدافعون عنهم، والمراد بأهل بيت رسول الله ﷺ: هم بنوا هاشم وما تفرع منهم مِنْ المؤمنين، فالمؤمن منهم مِنْ الصَّحابة نحبُّه ثلاث مرات الأولى: لكونه من الصَّحابة، الثانية: لكونه مِنْ آل البيت، والثالثة: لإيمانه.

وأمَّا كفَّار أهل البيت كأبي لهبٍ وأبو جهلٍ فلا يُحبُّهم بل يجب بغضهم كبقية الكافرين، وكُفْرُ آل البيت يتغلَّظ عن كُفْرِ غيرهم، قال سبحانه عنْ نساء النَّبيِّ ﷺ وهُنَّ من آله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

قال المصنفُ: (**وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ**) يعني: في آل بيت النَّبيِّ ﷺ (**وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ**) وهو موضعٌ بين المدينة ومكة، قريبٌ من الجحفة كان النَّبيُّ ﷺ عائدٌ من حجَّة الوداع وتوقفوا عند ماء في الصَّحراء وهو الغدير، فخطب فيهم النَّبيُّ ﷺ فقال: (**أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**) أي: أذكركم بما وعدكم الله لكم إنْ أحببتم أهل بيتي، (**أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**) أي: وأذكركم بوعيد الله بمن فرَّط في محبَّة أهل بيتي أو نُصرتِهم.

قوله: « أَهْلِ بَيْتِي » محبةُ أهل بيت الرجل العظيم فِطْرةٌ مغروزةٌ في بني آدم؛ فالنَّبيُّ ﷺ نَفَعَ الله فيه العالمين، فنحبُّه ومِنْ محبتنا له ﷺ: أنَّ نحبَّ كلَّ قريبٍ له.

ثم بيَّن المصنفُ ﵀ بعد ذلك أنَّ محبة آل البيت واجبةٌ؛ لذلك قال: **(وَقَالَ أَيْضاً لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ - وَقَدْ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ)** دلَّ على أنَّ بعض النَّاس قد يحقد بني هاشم؛ لأنَّ النُّبوة نزلت فيه **(فَقَالَ)** النَّبيُّ ﷺ: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَا يُؤْمِنُونَ)** فدلَّ على أنَّ من محبتهم الإيمان **(حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ)** أي: لإيمانكم بالله **(وَلِقَرَابَتِي)** أي: يحبُّونكم حباً زائداً من محبة الله؛ لكونكم من أهلي.

ثم بيَّن المصنفُ ﵀ بعد ذلك أنَّ مِنْ أسباب محبة آل بيت النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّهم صفوةٌ من صفوةٍ من صفوةٍ من صفوةٍ، يعني: هُمْ مِنْ خُلَّص البَّشر في الاصطفاء؛ لذلك قال: **(وَقَالَ)** النَّبيُّ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ)** وبنو إسماعيل يعني: نسل إسماعيل عليه السَّلام بن إبراهيم هو الذي قَطَنَ مكة وهو الجدُّ التَّاسع عشر للنَّبيِّ ﷺ، **(وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ)** هو الجدُّ الرابع عشر للنَّبيِّ ﷺ، **(وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشاً)** هو الجدُّ الحادي عشر للنَّبيِّ ﷺ، **(وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ)** هو أبو جدِّ النَّبيِّ ﷺ **(وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)** فهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم.

فمن خرج من نَسْلِ هاشمٍ وهو مؤمنٌ، فهو من آل بيت رسول الله ﷺ، ومنهم: نَسْلُ العبَّاس، ونَسْلُ علي بن أبي طالب كالحسن والحسين ... وهكذا كلُّ ما تناسل منه.

ومحبُّة أهل السُّنَّة والجماعة لأهل البيت: محبةٌ صادقةٌ إيمانيةٌ لا غُلوَّ فيها ولا جفاء، بخلاف من يَغْلُوا في محبَّتهم حتى يؤلِّهونهم أو يجفوهم كما فعل النَّواصب.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، - وَيُقِرُّونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ، خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ ...**)

يذكر هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصَّحابة، وهذا هو أحد الأقسام وهو: أزواج النَّبيِّ ﷺ، وأزواج النَّبيِّ ﷺ مِنْ آل بيته ولكن أفردهُنَّ بالذكر؛ لأنَّه فيه مَنْ طَعَنَ فيهنَّ على وجه الخصوص.

قوله: (**وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**) أي: يُحبُّون وينصرون ويَذُبُّون ويُدافعون عن زوجات النَّبيِّ ﷺ، سواءٌ مَّن مات في حياة النَّبيِّ ﷺ كخديجة، أو مَنْ مات بعد النَّبيِّ ﷺ كعائشة وحفصة وهنَّ الأكثر، قال: (**أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ**) أي: في الحرمة وعدم الجواز الزواج منهنَّ قال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ثم بعد ذلك ذكر زوجتين للنَّبيِّ ﷺ هما أفضل زوجاته؛ لذلك قال: (**خُصُوصًا**) أي: أخصُّ (**خَدِيجَةَ**) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وهي أول زوجةٍ له، بل لم يتزوج عليها في حياتها، وكانت ذا عقلٍ ورأي ونسبٍ ومالٍ، وكانت من أشراف قريش، ونعتها المصنفُ بأربعة صفات:

الوصف الأول قال: (**أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ**) إذْ جميع أولاد منها رضي الله عنها سوى إبراهيم فمن مارية القِبطية، وأنجبت له ستة: ابنان وهما

القاسم وعبدالله ويسمى الطَّاهر والطَّيب، وأربعة بنات وهنَّ: زينب وهي الكبيرة ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية، وإذا أكثرت الزوجة لزوجها من الأولاد أحبَّها.

والوصف الثاني قال: **(وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ)** مطلقاً من الرجال والنَّساء؛ لأنَّ الوحي لمن نزل على النَّبيِّ ﷺ أول من سَمِعَ بذلك هي خديجة وصدَّقته، بل وأسته وأزارته وطَمأنته وذهبت به إلى ورقة بن نوفل.

الوصف الثالث قال: **(وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ)** أي: نصره على هذا الدِّين، ونصرتُها له باللَّسان في تثبيته على الدَّعوة كقولها: « كلا! فوالله لا يُخزيك الله أبداً .. إلخ » وأيضاً لم يجرأ في حياتها أحدٌ مِنْ كفَّار قريشٍ أنْ يؤذوا رسول الله ﷺ لمكانتها من قريش.

الوصف الرابع قال: **(وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ)** يعني: كان النَّبيُّ ﷺ يحبُّها حباً كثيراً، فكان يُكرم صديقَاتها، وبعد مماتها كان يَذكرها كثيراً حتى عند زوجاته فكان يقول: «كانت وكانت وكان لها مني الشَّأن العظيم» .

وخديجة رضي الله عنها في حياتها هي أفضل من عائشة، وعائشة أفضل من خديجة في حياتها، فلخديجة فضائل ولعائشة فضائل فهذه أفضل من وجهٍ، وتلك أفضل من وجهٍ.

قال: (**وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ**) يعني: يتولَّون أيضاً ويحبُّون ويُدافعون عن عائشة رضي الله عنها؛ لأنَّها مع خديجة أفضل زوجات النَّبيِّ ﷺ (**الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ** ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ**») الثَّريد: هو الخبز مع اللَّحم (**عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**) يعني: هذا هو أفضلُ الطَّعام.

وهي أحبُّ زوجات النَّبيِّ ﷺ إليه لما ماتت خديجة، قال عنها الذَّهبي: «وهي أذكى نساء العالمين» وقال: «ليس في هذه الأمة من النساء أعلم منها» فنقلت لنا رُبع الشَّريعة.

قال المصنفُ رحمه الله من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: (**وَيُقِرُّونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ**) أي: أنَّ مكانتهنَّ وحرمتهنَّ لم تنقص بوفاة النَّبيِّ ﷺ بل هي باقيةٌ؛ إذْ أنَّهنَّ أزواجه في الآخرة كما قال سبحانه: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣] فالزوجة المؤمنة تكون لزوجها المؤمن في الجنَّة.*

قال ﵀: **(وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ)**

هذا هو القسم الرابع من أصول أهل السُّنَّة والجماعة في الصَّحابة، هذا القسم قال عنه المصنفُ **(وَيَتَبَرَّؤُونَ)** أي: لا يُقِرون بل يُنكرون ويُحرمون **(مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ)** وسـمُّوا بذلك؛ لأنَّ زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ﵃ لما سألوه عن أبي بكر وعمر فقال: «هما وزراء جدي» فتبروا منه ورفضُوه، أي: ابتعدوا عن مجلسه؛ لأنَّه قال الحقَّ فسمُّوا روافض **(الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ)** أي: يُبغِضونهم بقلوبهم بخلاف أهل السُّنَّة يحبُّون الصَّحابة حباً جماً، **(وَيَسُبُّونَهُمْ)** أي: الرَّوافض يُسبُّون الصَّحابة بألسنتهم بخلاف أهل السُّنَّة الذين يمدحون الصَّحابة، ويذكرون آثارهم، ويمدحونهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[الحشر: ١٠].

ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة أيضاً: **(وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ)** أي: ويتبروُّن من طريقة النَّواصب، وسـمُّوا بالنَّواصب؛ لأنَّهم نَصَبوا العداء لآل البيت **(الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ)** وأذيَّتهم لأهل البيت.

قال: **(بِقَوْلٍ)** ووصف المصنفُ ﵀ ما يفعلونه بحقِّ الصَّحابة أنَّه أذيةٌ؛ لأنَّ سبَّ آلُ بيت رسول الله ﷺ أذيةٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ لانَّهم أهله وقرابته.

(أَوْ عَمَلٍ) كالقتال مثلاً كما قاتل بعض بني أمية آل البيت، أو بذمِّهم بالكلام كما صنَّف بعض بني أمية سبَّاً في آل البيت.

هاتان طائفتان متناقضتان، سببُ ضلال الطائفة الأولى: الرَّوافض الشُّبهة، وسبب ضلال الطائفة الأخرى: النَّواصب الشَّهوة بسبب مدحهم لخلفاء بني أمية وسبِّهم لآل البيت؛ ليَفرح بعض بني أمية بمسبَّة آل البيت - وَالعِيَاذُ بِاللهِ -، والشُّبهة أقوى من الشَّهوة؛ إذْ الشَّهوة تزول بزوال المراد بخلاف الشبهة، فإنَّها تؤثر في القلب.

وأهل السُّنَّة والجماعة إيمانهم أوسعُ، وعقولهم أكبرُ، وصدورهم أرحبُ يحبُّون الصَّحابة ويحبُّون آل البيت، فجمعوا بين الحسنيين، ويتبرؤُّون من طريقة هؤلاء وطريقة وهؤلاء؛ فأصابوا الصَّواب حبَّاً للصَّحابة رضي الله عنهم وحبَّاً لآل البيت.*

قال رحمه الله: **(وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ؛ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ)**

هذا هو القسم الخامس والأخير في معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، قال: **(وَيُمْسِكُونَ)** أي: ويُكفُون ولا يتكلَّمُون أو يتلفَّظون **(عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ)** أي: ما حصل بينهم مِنْ خصامٍ واقتتالٍ كما في صفِّين، والجمل، وهذا أمرٌ قد كتبه الله عز وجل على هذه الأمة؛ فقد أخبر عليه الصلاة والسلام أنَّ السَّيف إذا وُضِعَ في هذه الأمة لم يرفع إلى يوم القيامة، وحصل هذا بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فَوُضِعَ السَّيف في هذه الأمة بمقتله من صحيح البخاريِّ: - لما أخبر حذيفةً عن الفتن - قال له عمر: «أيفتح الباب أم يكسر؟ قال: بل يكسر» فَكُسِرَ باب الفتن أولها بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهذا شيءٌ قد كُتِبَ على هذه الأمة، ومع ذلك أهل السُّنَّة لهم فيه موقفان:

الموقف الأول: يُكُفُون عما شجر بينهم؛ احتراماً وأدباً للصَّحابة.

الموقف الثاني: يُدافعون عمَّا حصل بينهم وعدمُ كلامِهم فيه **(وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ)** والقَصَص، وما ذُكِرَ في التَّاريخ **(الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ)** وما حَصَلَ بينهم تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: (**مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ**) وهذا لا يَطعن في الصَّحابة؛ لكذبه.

القسم الثاني: (**وَمِنْهَا**) ما هو محرفٌ، والتَّحريف فيه إما بالزيادة كما قال: (**مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ**)، أو بالنَّقص كما قال: (**وَنُقِصَ**) فيه، أو له أصلٌ لكن غُيِّر بالتَّحريف فقال: (**وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ**) وهذا أيضاً القسم بأموره الثلاثة لا يَقدح في الصَّحابة.

القسم الثالث قال: (**وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ**) أي: الجملة الغالبة من الصحيح تنقسم إلى قسمين:

قسمٌ: يخص الجماعات وهذا قال عنه المصنفُ ﷺ: « وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ » أي: غالبه صَدَرَ من جماعات الصَّحابة وليس أفرادهم (**هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ**) أي: ليس سيئةٌ عليهم ولا ذنب فيه؛ لأنَّهم (**إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ**) كما اجتهد عليٌّ رضي الله عنه ومن معه أصاب وله أجران، (**وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ**) كما حَصَلَ مع معاوية رضي الله عنه ومن معه اجتهد لكنَّه أخطأ وله أجر، فمع اقتتالهم رضي الله عنهم يؤجرون عليه؛ لاجتهادهم.

والقسم الثاني: ما يَصدر من أفرادهم، مثل: مَنْ وقع منه الزنى، أو السَّرقة، أو شُرْبِ الخمر فسيذكره المصنفُ ﷺ في الدَّرس القادم - بإذن الله -.*

قال رحمه الله: **(وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ: لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ)**

سَبَقَ أنَّ ما بَدَرَ من الصَّحابة رضي الله عنهم ينقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: ما هو كذبٌ.

القسم الثاني: ما هو محرفٌ.

القسم الثالث: صحيحٌ لكنَّه مجتهدون فيه.

القسم الرابع: ما وَقَعَ مِنْ أحدٍ منهم مِنْ غير اجتهادٍ أو تأويل، وهو الذي ذكره المصنفُ هنا قال: **(وَهُمْ)** أي: أهل السُّنَّة **(مَعَ ذَلِكَ)** أي: مع إمساكهم عمَّا شَجَرَ بين الصَّحابة رضي الله عنهم **(لَا يَعْتَقِدُونَ)** أي: أهل السُّنَّة **(أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ)** هنا في الذُّنوب المفردة، وليس مجموع الصَّحابة كالقتال: طائفةٌ مع طائفةٍ، وإنَّما ذنبٌ صدر من واحد **(مَعْصُومٌ)** وإنَّما العصمة في هذه الأمة أنَّهم لا يجتمعون على ضلالة، «لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ» أي: ممنوعٌ **(عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ)** بل وَقَعَ منهم الكبائر من أفرادهم، مثل: شُرب الخمر، والقذف، والسَّرقة، والزنى وغير ذلك **(وَصَغَائِرِهِ)** يقع منهم الصغائر؛ لذلك قال: **(بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ)** كما سَبَقَ **(فِي الْجُمْلَةِ)** يعني: في جملة أفرادهم هذا يخطئ، وهذا يخطئ، وهذا يخطئ لكن لا يتَّفقون على ذنبٍ، مثل: تعطيل شعيرة

الآذان، أو تعطيل شعيرة صلاة الجماعة ... وهكذا، وسيأتي - إنْ شاء الله - أنَّ هذه الذنوب مغفورةٌ لهم في جنب حسناتهم.*

قال ﷺ: (**وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ ...**)

(**وَلَهُمْ**) أي: هذا ممَّا يُوجب الإمساك عمَّا شَجَرَ بين الصَّحابة من الأسباب أنَّ لهم (**مِنَ السَّوَابِقِ**) مِنْ الإيمان بالله، واليقين، والجهاد، والسبق في الإسلام (**وَالْفَضَائِلِ**) مثل: فَضل الصُّحبة، وشهود غزوة بدر، وشهود بيعة الرِّضوان ما ليس لغيرهم، فلم تحصل هذه الفضائل ولن تحصل إلاَّ للصَّحابة.

قال: (**مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ**) فليس كلٌّ منهم قد يصدر منه كبيرةٌ، أو إصرارٌ على صغيرة (**إِنْ صَدَرَ**) فالسَّوابق والفضائل هذه تغفرهما له (**حَتَّى إِنَّهُ**) يعني: لسوابقهم وفضائلهم (**يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ**) والسببُ في ذلك في هذه المغفرة؛ (**لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ**) أي: العظيمة (**الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ**) أي: مِنْ الحسنات العظيمة، فما فعلوه من ذنبٍ فهو قطره في بحر

لذلك قال: (**وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ**) وخيريَّة قرنِهم يدل على عظيم حسناتهم وعلى تكفير سيئاتهم، فمِنْ أعظم الحسنات: الصُّحبة وهو القرن الأول.

ثم بعد ذلك ذكر مثالاً آخر على فضلهم وهو إخلاصُهم وصحبتُهم (**وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ**) لفضيلة الصُّحبة، والإخلاص لله - ﷻ -، فهنا فضلان: فضلُ زمانٍ، وفضلُ ما ترتَّب على هذا الزمان مع الإخلاص وهي: الصُّحبة والإخلاص لله - ﷻ -.

فكلُّ عملٍ يعمله الصَّحابة حسناته أعظم ممن أتى بعدهم؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» فمن أتى ممن بعدهم له أجر خمسين للصَّحابة أكثر من خمسين.

فتبيَّن بهذا أنَّ ما يصدر من الصَّحابة مما وَقَعَ بينهم، أو ممَّا صَدَرَ منهم مِنْ معاصي فرديَّة هناك حسناتٌ كثيرةٌ تُوجب ذلك الفعل.*

قال ﵀: **(ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ ...)**

لما ذكر المصنفُ ﵀ أنَّ مِنْ معتقد أهل السُنَّة والجماعة: الإمساك عمَّا شَجَرَ بين الصَّحابة، واعتقاد أهل السُنَّة والجماعة أيضاً: أنَّ الذُّنوب تجوز عليهم رضي الله عنهم في الجملة، ذكر بعد ذلك أنَّه إنْ حدث منهم شيءٌ من ذلك إلاَّ هناك مكفراتٌ تكفِّر ما صَدَرَ منهم من ذنوبٍ، سواء ممَّا شَجَرَ بينهم أو مِنْ الذُّنوب الفرديَّة كالسَّرقة والزنا وغير ذلك.

المكفرات ذكر المصنفُ ﵀ منها خمس مكفِّرات، وهذه المكفِّرات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التَّوبة.

والقسم الثاني: الإتيان بالحسنات.

القسم الثالث: مكفِّراتٌ تلك الذُّنوب.

قال عن القسم الأول ﵀: **(ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ)** يعني: مِنْ أحد الصَّحابة **(ذَنْبٌ)** سواءٌ كان ممَّا حَدَثَ بينهم أو فردياً **(فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ)** لأنَّهم أورع النَّاس، وأتقى النَّاس، وأعلمهم بالله - ﷻ -، وإذا تاب منه فالتوبة تجوبُّ ما قبلها كما قال ﵊: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ

قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ لَوَسِعَتْهُمْ» والله فَتَحَ باب التَّوبة، أولى النَّاس بالتَّوبة هم صحابةُ رسول الله ﷺ.

والقسم الثاني أَشَارَ إليه بقوله: **(أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ)** أي: تمحو الذَّنب، فإذا أتى بحسناتٍ فالله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وحسنات الصَّحابة أعظمُ وأفضلُ وأجلُّ من حسنات غيرهم فهي أولى لمغفرة الذَّنب؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».

القسم الثالث: لا يُبَادِر إلى التَّوبة مثلاً أو إلى الحسنات لكن هناك مكفِّراتٌ وإنْ لم يعمل الصَّالحات مِنْ التَّوبة أو مِنْ الحسنات، أَشَارَ إلى أوَّلها بقوله: **(أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ)** وهذا النَّوع خاصٌ بالصَّحابة فلفضْل الصُّحبة: الله يغفر له ذنبه وإنْ لم يتب عن الذَّنب أو لم يأت بالحسنات.

النوع الثاني قال: **(أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي)** أي: النَّبيُّ **(هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ)** لأنَّهم صحابته، وأقرب النَّاس إلى قلبه.

وشفاعة النَّبيِّ ﷺ كما في صحيح مسلم قال: «وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ - بإذن الله - مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيئاً» فجميع أهل المعاصي مِنْ أمة محمد ﷺ يشفع لهم النَّبيُّ ﷺ يوم

القيامة بألاَّ لا يُعذَّبوا في النَّار، وإذا كان هذا في جميع أمة محمد فأولى النَّاس بالدُّخول في تلك الشَّفاعة: هم صحابته رضي الله عنهم.

والنوع الثالث من الأمور التي لم يعملها قال: (**أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ**) يعني: أتته مصيبةٌ مثل: الجوعُ الذي حدث في عصر النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، أو المرض، أو الخوف كما حصل لهم في غزوة الأحزاب، وكذا ما حَصَلَ في حُنَينٍ وغير ذلك من الابتلاءات التي حصلت لهم.

قال المصنفُ: (**فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ**) يعني: في الشيء المحقق أنَّه محرمٌ مع ذلك له مكفِّرات، (**فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ**) ولا يحسب عليهم فيها ذنبٌ (**إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ**) ولا يحسب عليهم أيُّ ذنبٍ، (**وَإِنْ أَخْطَؤُوا**) مع اجتهادهم (**فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ لَهُمْ؟!**) أي: لا يحسب عليهم ذنبٌ.

فدلَّ على أنَّ عمَّا شَجَرَ بين الصَّحابة رضي الله عنهم لم يُحسب عليهم - بفضل الله - ذنبٌ، وما وَقَعَ مِنْ أفرادهم مِنْ ذنوبٍ: كالسَّرقة؛ فلهم مكفِّراتٌ كثيرةٌ منها ما بَادَروا إليها، ومنها ما يُغْفَر لهم ذنبهم وإنْ لم يُبَادِروا إليها.*

قال رحمه الله: **(ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ، مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ - مِنْ الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ)**

لما ذكر المؤلفُ رحمه الله المكفِّرات التي تكفِّر ما قَدْ يَبْدُر من بعض الصَّحابة سواء كانوا أفراداً أو جماعات، ذكر بعد ذلك ما تأثير هذه السَّيئات على حسناتهم العظيمة؟

فقال: **(ثُمَّ الْقَدْرُ)** أي: ما يُحْصُونه على الصَّحابة من خطايا **(الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ)** يعني: مِنْ فِعْلِ بعض الصَّحابة كالسَّرقة والزنا وغير ذلك، الجواب عنه بوجهين غير التَّوبة، وغير المكفِّرات السَّابقة:

الجواب الأول: أنَّ هذا **(قَلِيلٌ نَزْرٌ)** شيءٌ بسيطٌ جداً؛ فالنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مَكَثَ في المدينة عشر سنوات، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولم يحكم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في حياته سوى عشر حكومات فقط» فعشر حكومات في عشر سنوات معنى ذلك: أنَّه مجتمعٌ عظيمٌ، ليس فيه منكراتٌ ولا فواحش؛ لذلك قال: « قَلِيلٌ نَزْرٌ » أي: شيئاً لا يُذكر مع هذه السَّنوات الطِّوال رضي الله عنهم.

والجواب الثاني: أن هذه شيئاً قليلٌ **(فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ)** الفضيلةُ: الأمر الحسن العظيم، والمحاسنُ: ما زادوه على ما

يجب، ومثَّل المصنفُ رحمه الله للفضائل بثلاثة أمثلة، ومثَّل للمحاسن بثلاثة أمثلة محاسن.

فقال عن أمثلة الفضائل: (**مِنْ الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ**) هذا المثال الأول، وهذه فضيلةٌ عظيمةٌ للصَّحابة رضي الله عنهم فمَنِ يَبْدر منه شيءٌ؛ فهو مؤمنٌ بالله ورسوله، والمؤمن بالله ورسوله موعودٌ بالجنَّة.

والمثال الثاني قال: (**وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ**) وهذه فضيلةٌ عظيمةٌ؛ إذْ الجهاد أيضاً صاحبه موعودٌ بالجنَّة كما قال سبحانه: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]، وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[التوبة: ١١١] فكيف بالجهاد مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؟ أعظمُ وأفضلُ.

والمثال الثالث من فضائلهم قال: (**وَالْهِجْرَةِ**) فالهجرةُ ثوابُها عظيمٌ، فكيف بترك الدِّيار مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؟ هذه أعظمُ وأعظم.

ثم ذكر ثلاثة أمثلة لمحاسنهم، المثال الأول قال: (**وَالنُّصْرَةِ**) فهم نصروا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم منهم مَنْ كان من الأنصار لما هاجر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، ومنهم مَنْ نصروه في الغزوات، بل قُتِلُوا دونه، بل شُلَّت يد أبي طلحة في الدِّفاع عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في أحدٍ.

والمثال الثاني على المحاسن قال: (**وَالْعِلْمِ النَّافِعِ**) فالصَّحابة رضي الله عنهم هم أعلم هذه الأمة؛ لصدق نيتِهم وإخلاصهم وصحبتهم للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولقوة

فهمهم لمعاني القران والسُّنَّة، لذا أوَّل ما يُفسَّر به القران والسُّنَّة بعد الوحيين أقوال الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنَّهم أعلم بالواقع.

والمثال الثالث لمحاسنهم قال: **(وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ)** والله عز وجل ذكر في كتابه شيئاً مِنْ أعمالهم قال: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ ونيتهُم: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ وهذه العبادة أثَّرت على أجسادهم فقال سبحانه عن وصفها: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وذكر الله عز وجل أيضاً طُوْلَ قيامهم في اللَّيل ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠] فهم يصلُّون نصف اللَّيل وأحياناً ثلُث اللَّيل، فهم خيرُ عبَّاد أهل الأرض.

فإذا كانت هذه جميعاً متوفرةٌ في الصَّحابة فلو صَدَرَ مِنْ أحدهم شيءٌ يسيرٌ فهو لا يُذكر في جنب هذه الأمور العظيمة رضي الله عنهم وأرضاهم.*

قال ﵀: **(وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِيناً أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ)**

ساق المصنفُ ﵀ هذا الكلام؛ لبيان: منزلةُ الصَّحابة في الأمم، ومنزلةُ الصَّحابة أيضا في هذه الأمة.

فلمَّا بيَّن معتقد أهل السُّنَّة والجماعة فيهم مِنْ ذكر فضائلهم ومحاسنهم وإلى غير ذلك، ختمها بعد ذلك بمكانتهم، يعني: يستحقون جميع ما ذكرناه سابقاً.

قال: **(وَمَنْ نَظَرَ)** أي: نظراً عقلياً إضافةً إلى ما جاء في الحديث من فضائلهم، مثل: «خُيْرُ النَّاسِ قَرْنِي» وغير ذلك **(فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ)** أي: في حياة الصَّحابة وما قدَّموه للإسلام مِنْ: الجهاد والنُّصرة ونشره **(بِعِلْمٍ)** لأنَّ مَنْ يَسبَّ بعض الصَّحابة أو الصَّحابة جميعاً قد يكون سببه الجهل؛ فإذا عَلَمَ منزلتهم أعرض عن سبِّهم بل مدحهم، **(وَعَدْلٍ)** أي: لم يظلم الصَّحابة؛ لأنَّ الرَّافضة ظلموا الصَّحابة مع معرفتهم بقدر الصَّحابة ومكانتهم ﵃، فمن مدح الصَّحابة جمع بين العلم والعدل، ومن مدح الصَّحابة وأحبَّهم ورضي عنهم: انتفع عنه الجهل في هذه الباب والظلم، فالتَّرضي عنهم ومحبتهم منقبةٌ للمترضي.

قال: (**وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ**) مثل: الصُّحبة، والسَّبق في الدِّخول للإسلام، وقِتَال الملائكة معهم، والهجرة، وما مَنَحَهم الله ﷻ لهم مِنْ: العلم النَّافع، وما وُفِّقوا له من العمل الصالح، قال: (**عَلِمَ يَقِيناً**) أي: لا شكَّ فيه، فإذا جمع بين الأحاديث في فضلهم والنَّظر العقلي تبيَّن له عدَّة أمورٍ:

الأمر الأول ذكره بقوله: (**أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ**) فهم الدَّرجة الثَّانية بعد الأنبياء، فهم أفضلُ مِنْ حواري عيسى عليه السلام، وأفضلُ مِنْ موسى، أي: ممن آمن مع موسى عليه السلام، وأفضلُ مِنْ نوحٍ ممن آمن به، وهود وغير ذلك.

والأمر الثاني: يتبيَّن له (**لَا كَانَ**) أي: ليس في الأمم السَّابقة مثلهم؛ فدلَّ على أنَّهم أفضلُ السَّابقين واللَّاحقين من غير الأنبياء.

الأمر الثالث: الذي يتبين له قال: (**وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ**) أي: لن يُوجد بعد الصَّحابة أحدٌ سيكون مثلهم في الفضائل، وذلك أنَّه لن يأت نبيٌّ في هذه الأمة بعد نبيِّنا محمد ﷺ، فهو بابُ خيرٍ فُتِحَ لهم ثم أغلق على مَنْ بعدهم، ولقول النَّبيِّ ﷺ: «خُيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي» .

والأمر الرابع ذكره بقوله: (**وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ**) يعني: أنَّ هذه الأمة صفوةُ الأمم، والصَّحابة صفوةُ هذه الأمة فهم صفوةٌ من صفوة؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي» .

والأمر الخامس أَشَارَ إليه بقوله: **(الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ)** أي: أمةُ محمد ﷺ؛ لقول الله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي» فتبيَّن له أنَّهم خيارُ من خيارٍ، أي: أنَّهم هم خير النَّاس بالخيريِّة يعني: صفة الخيريَّة.

والأمر السادس ذكره بقوله: **(وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ)** أي: أعلاها منزلةً عند الله، فإذا كانت هذه الأمة منزلتُها عاليةٌ عند الله؛ فأعلى مَنْ في الأمة هم: الصَّحابة.

فانظر لهذه المآثر العظيمة للصَّحابة رضي الله عنهم ممَّا يوجب محبَّتهم يقيناً في القلب، والتَّرضي عنهم، والذَّب عنهم رضي الله عنهم.

ويكون المصنفُ رحمه الله بهذا قد انتهى من اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة في الصَّحابة رضي الله عنهم.*

قال ﷺ: (**وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ - كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا ...**)

(**وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**) الكَرامة: شيءٌ خارقٌ للعادة، وانقسم النَّاس فيها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إنْكارها وهم المعتزلة، قالوا: فلو حدثت لدلَّ على أنَّه نبيٌّ، وهذا قياسٌ باطلٌ؛ لأنَّ النُّبوة منزلةٌ أخرى.

والقسم الثاني: مَنْ غلا فيها؛ فَعَبد مَنْ ظهرت منه كرامة.

القسم الثالث: - وهم أهل السُّنَّة والجماعة - يُصدِّقون بالكرامة وما يجري فيها على أيدي النَّاس بشرط أنْ يكون ذلك مِنْ أولياء الله.

والكرامةُ إذا ظهرت لشخصٍ لا يدل على أنَّه أفضل النَّاس أو أفضل أهل مجتمعه، وإنَّما هي نعمةٌ مِنْ الله مَنْ أتته شكرها يرتفع، ومَنْ أتته وكَفَرَها هَلَكَ، والإيمان بالكَّرامة عند أهل السُّنَّة يؤمنون بأمرين فيها:

الأمر الأول قال: (**التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ**) أي: الاعتقاد بالقلب بصحة الكرامات، واشترط المؤلفُ لها أنْ يكون ولياً كما قال: «بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ» والوليُّ كما أخبر الله ﷻ عنه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا

خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝﴾ [يونس: ٦١ - ٦٢]

فكلُّ مؤمنٍ متقيٍّ فهو مِنْ أولياء الله سواءٌ ظهرت على يديه كرامة أو لا؟

والأمر الثاني ممَّا يجب به مِنِ كرامات الأولياء أَشَارَ إليه بقوله: (**وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ**) أي: على أيدي الأولياء (**مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ**) يعني: أمرٌ خرق العادة، فعند النَّاس لا يُمكن حدوثُه فَحَدَث، أي: أنَّ الأمر الثاني: أنَّ الكرامة إذا وَقَعَت يؤمنون بها، كما قد صدَّقوا بها في القسم الأول.

ثم بعد ذلك بيَّن أنواع الكرامات، وأنَّ الكرامات تنقسم الى قسمين:

القسم الأول: كرامةٌ ذهنيةٌ.

والقسم الثاني: كرامةٌ جسديةٌ.

وَأَشَارَ إلى القسم الأول بقوله: (**فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ**) يعني: يظهر له علمٌ لم يظهر لغيره (**وَالْمُكَاشَفَاتِ**) يعني: شيءٌ مخفيٌّ ظَهَر له.

مثال العلوم: مثل لو ظهر لشخصٍ أنَّ الذي في بطن زوجته من الحَمْلِ ذكرٌ هذا علمٌ، وكذلك ما ذكره ابن القيم عن شيخ الإسلام: «أنَّه يكتب في اليوم الواحد ما يكتبه العلماء من أهل عصره في اسبوع» هذه كرامةٌ؛ لأنَّه خَرَقَ العادة وغير ذلك.

ومثال المكاشفات: مثل لما انكشف لعمر بن الخطاب أمر السَّرية وهي في الشَّام فقال: «يا سرية الجبل الجبل» يعني: يا سارية الْزم الجبل لئلا يفتك بكم العدوُّ، وأنواع العلوم والمكاشفات هذه عقليَّةٌ وذهنيةٌ.

وَأَشَارَ إلى القسم الثاني بقوله: **(وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ)** يعني: جسمُك يعمل شيئاً خارقٌ للعادة، مثل: المشي على البحر، ومثل: ما قصَّه الله ﷻ علينا في حال مريم بقوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾[مريم: ٢٥] فهذه امرأةٌ وَضَعَت حملها في الغَّالب تكون مجهدةً، ومع ذلك: هزَّة النَّخلة فبهزٍّ لها تحركت جميع النَّخلة وتساقط الثمر هذه كرامةٌ، **(وَالتَّأْثِيرَاتِ)** مثل: لو أنَّ شخصاً يقرأ على أبرص؛ فيُشْفى ويزول بَرَصُه، فهذا قرأته أثَّرت ... وهكذا.

ثم مثَّل بعد ذلك المصنفُ رحمه الله بمثالٍ للكرامة، فقال: **(كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ)** يعني: في الأمم السَّابقة **(فِي سُورَةِ الْكَهْفِ)** يعني: مِنْ أصحاب الكهف لما لَبِثوا ثلاثمئة وتسع سنين لم يموتوا ولم يجوعوا ... وهكذا هذه كرامةٌ.

قال: **(وَغَيْرِهَا)** مثل ما ذكره الله: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ومثل مريم عليها السَّلام تَهزُّ النَّخلة ... وهكذا.

قال: **(وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ)** أي: ممَّا جاء في الكرامات **(مِنَ الصَّحَابَةِ)** أي: ممَّا وَقَعَ في عهد الصَّحابة من الكرامات وهي قليلةٌ؛ لأنَّ مِنْ الحكم في الكرامات: التَّثبيتُ، والتَّأييد، والإعانة، وزيادة الإيمان، والصَّحابة رضي الله عنهم عندهم النَّبيُّ ﷺ يثبِّتهم ويعنيهم؛ فلا يحتاجون للكرامة.

قال: **(وَالتَّابِعِينَ)** قال شيخ الإسلام ﵀: «وهي أكثر منها في عهد الصَّحابة؛ ليُثَبَّتوا على هذا الدِّين وليقوى إيمانُهم، **(وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ)** يعني: مِنْ أتباع التَّابعين وأتبعاهم ومن بعدهم.

ثم بعد ذلك قال: **(وَهِيَ مَوْجُودَةٌ)** أي: الكرامة **(فِيهَا)** أي: في هذه الأمة **(إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** لأنَّ العلَّة موجودةٌ إلى يوم القيامة وهي: الوليُّ، فما دام فيه وليٌّ فالكرامة ممكنةٌ.

وما يجري على بعض السَّحرة والمشعوذين مِنْ رَفْعِ الأثقال، والمشي على النَّار، وسحب الأحمال الثَّقيلة بأسنانٍ ونحو ذلك فهذا نوعٌ مِنْ السِّحر؛ لأنَّ فاعله ليس معروفاً بالصَّلاح والتَّعبد وقيام اللَّيل وغير ذلك، فسبب الكرامة الولاية.*

قال رحمه الله: **(ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...)**

ساق رحمه الله هذا الكلام؛ لبيان: طريقة طلب العلم عند أهل السُّنَّة والجماعة، وكيفية العمل الصالح؟

قال: **(ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)** أي: مع سَبَقَ بالاعتقاد الصحيح في الأسماء والصفات عليهم أيضاً أنْ يطلبوا العلم في غير الأسماء والصفات، وكيفية طلب العلم؟ قال: **(اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)** يعني: البحث عن الكتاب والسُّنَّة في طلب العلم.

(بَاطِنًا) أي: في الأمور الباطنة في أعمال القلوب، مثل: الخوف والتَّوكل والخشية والإنابة والتَّوبة وغير ذلك نطلُبها من الكتاب والسُّنَّة مثل: أنَّ الخشية لا تكون الى لله ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ [البقرة: ١٥٠]، والتَّوكل لا يكون إلاَّ على الله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾[المائدة: ٢٣].

(وَظَاهِرًا) أي: نطلب العلم في أعمال الجوارح الظَّاهرة، مثل: الصَّلاة والحجِّ وتلاوة القرآن نسير في ذلك على ما أتى به الكتاب والسُّنَّة.

وأيضاً طريق آخر في طلب العلم بما لا يُناقض الطَّريق الأول قال: **(وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ)** يعني: الأقوال والأعمال **(السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ)** أي: الصَّحابة الذين سبقوا في الدخول في الإسلام والأعمال الصَّالحة **(مِنَ**

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) نتبع أيضاً آثارهم، مثل: النِّداء الأول ليوم الجمعة شَرَعَه عثمان رضي الله عنه، والنَّبيُّ ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» وأيضاً مثل: الاقتداء بهم في كثرة العبادة كما قال الله عز وجل في وصفهم: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] فهذا هو المنهج الصحيح السَّليم المؤدِّي إلى رضى الله عز وجل أنْ يكون العلم نابعاً من الكتاب والسُّنَّة وعن سلف هذه الأمة من الصَّحابة ومَنْ بعدهم.

ثم بعد ذلك بيَّن إذا حصَّلنا العلم فماذا نفعل به؟ قال: **(وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)** أي: العمل بها **(حَيْثُ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي)** يعني: تمسَّكوا بسنَّتي لما أخذتم العلم تمسَّكوا به **(وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا)** هذا تأكيدٌ تمسَّكوا، وتأكيدٌ آخر **(وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)** النَّواجذُ: الأربعة الأضراس الأخيرة في كلِّ فكٍّ، وللإنسان ستة عشرة ناجذاً، وأقوى الأسنان هي النَّواجذ؛ لذلك قال: «وَعَضُّوا عَلَيْهَا» بأقوى شيءٍ تمسَّك، ومع التَّمسك هذا أدخلها في نواجذك وعضَّد عليه، أي: تمسَّك بقوة بالعلم الصحيح النَّابع من الكتاب والسُّنَّة.

ثم بيَّن النَّبيُّ ﷺ بعد ذلك النَّهج الخطأ في العلم والعمل، فقال: **(وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ)** يعني: لا تبتعدوا عن الكتاب والسُّنَّة إنْ

ابتعدتم ضللتم، قال ابن القيم رحمه الله: «واعقل البشر - يعني: النَّبيُّ ﷺ - لو لم يأته الوحي لضلَّ قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ: ٥٠] »

قال: (**فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ**) يعني: كلُّ مالم يُشرع في الدِّين فهو بدعة، وعاقبة البدعة (**وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**) فليس هناك بدعةٌ فيها هدايةً، فمن ابتدع ضلَّ، ومن تمسَّك اهتدى.*

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَيُؤْثِرُونَ: كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ ...)**

ساق المصنفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الجملة؛ لبيان: فيما إذا تعارض كلام أحد من النَّاس مع الكتاب أو السُّنَّة، فما الذي يقدَّم؟

ذكر أولاً مقدمةً لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك، المقدمة قال فيها: **(وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ)** كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وكما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «أَحْسَنُ الحَدِيْثِ: كِتَابُ الله» فأهل السُّنَّة يعلمون أنَّ كلام الله صدقٌ، يعني: يجب أنْ يؤخذ به.

ثم منهجهم في السُّنَّة: **(وَخَيْرَ الْهَدْيِ)** أي: الطرق **(هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ)** فلو خالفهم أحدٌ يعلمون أنَّ خير الهديِ هديُ محمد ﷺ.

فإذا تعارض كلام أحد من النَّاس مع الكتاب والسُّنَّة بيَّن المصنفُ أنَّ منهج أهل السُّنَّة والجماعة إذا خالف الكتاب قال: **(فَيُؤْثِرُونَ: كَلَامَ اللَّهِ)** أي: يُقدِّمون ويُعظِّمون ويبدؤون بكلام الله ويقدِّمونه **(عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ)** مثل: الله جَلَّ نهى عن الربا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨] فلو ظهر شخصٌ وقال: الربا مباحٌ؛ نؤثر كلام الله على كلام غيره من النَّاس ونقول: الربا محرمٌ.

(وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ) مثل: النَّبيُّ ﷺ لم يتخذ مناسبةً لميلاده؛ فنقدِّم هَدْيَه على هَدْيِ من أتَّخذ يوماً لميلاده، ولتقديمهم الكتاب والسُّنَّة على كلام كلِّ أحدٍ نالوا شرفَ اسم عظيمٍ:

الشرف الأول قال: **(وَلهَذَا سُمُّوا: أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)** لأنَّهم يقدمونهما على كلام كلِّ أحدٍ.

ولكونهم - أي: أهل السُّنَّة والجماعة - مجتمعين ومتَّفقين على هذا المنهج القويم قال المصنفُ: **(وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ: لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ)** فجميع أهل السُّنَّة على هذا النَّهج، ثم استطرد وقال: **(وَإِنْ كَانَ لَفْظُ «الْجَمَاعَةِ» قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ)** يعني: وإن كان هذا اللفظ عرفاً له معناً آخر لا يُطلق إلاَّ على القوم المجتمعين في مكانٍ واحدٍ. وأهل السُّنَّة متفرقون في الآفاق فلو تفرقوا في الآفاق نقول: هم مجتمعون؛ لأنَّهم متفقون على هذا المنهج القويم: تقديم الكتاب والسُّنَّة على غيره من المناهج أو الأقوال وغير ذلك.

ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنْ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟» لأنَّهم متَّفقون على الأخذ بكلام الله ورسولِه ولو خالف ذلك كلام الصَّحابيِّ.*

قال رحمه الله: (**وَالْإِجْمَاعُ: هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ - مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ، بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ - مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ ...**)

لما ذكر المصنفُ رحمه الله أنَّ منهج أهل السُّنَّة والجماعة إتباع الكتاب والسُّنَّة، ذكر بعد ذلك وقال: هناك أيضا أصلٌ ثالثٌ، وهذا الأصل يعتمد على نصٍّ وهو الإجماع لذلك قيل: «لا إجماع إلاَّ بنص».

قال: (**وَالْإِجْمَاعُ: هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ**) يعني: الكتاب، والسُّنَّة، والأصل الثالث: الإجماع (**الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ**) يعني: يجب أنْ يُعْمل به (**فِي الْعِلْمِ**) أي: في المسائل العلمية النَّظرية، مثل: إجماع أهل السُّنَّة على أنَّ الله يُرى في الآخرة، (**وَالدِّينِ**) أي: مِنْ الأمور النَّظرية والعملية، مثل: إجماع المسلمين على أنَّ قبلة أهل المدينة إلى الجنوب فيأخذ بهذا الإجماع؛ لصحته.

ثم ذكر بعد ذلك الفائدة من التَّمسك بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، قال: (**وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ**) أي: إذا اختلفوا في شيءٍ يرجعون لهذا الميزان كما قال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وكما قال سبحانه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠]، (**جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ، بَاطِنَةٍ**) من أعمال القلوب

(**وَظَاهِرَةٍ**) من الجوارح، قال: (**مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ**) أي: الإجماع حجَّةٌ في أمور الدِّين، أما الدنيا فلا يُنازِع أهل الدنيا في دنياهم.

ثم بعد ذلك بيَّن ما هو الإجماع الذي يؤخذ به، فقال: (**وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ**) أي: ويُعْمل به: (**هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ**) في القرون المفضَّلة؛ (**إِذْ بَعْدَهُمْ**) أي: بعد القرون المفضَّلة (**كَثُرَ الِاخْتِلَافُ**) فيقل أنْ يجتمع النَّاس على مسألةٍ حادثةٍ، (**وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ**) فلا نستطيع حصر مَنْ خالف وممَّن أجمع في هذه المسألة، أما في القرون المفضَّلة فكان أكثر أهل العلم في المدينة، فينظر من كان في المدينة وما قوله في المسألة، وما أجمعوا عليه يُؤخذ ... وهكذا.*

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ: يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ، وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَالْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ، مَعَ الْأُمَرَاءِ - أَبْرَاراً كَانُوا أَوْ فُجَّاراً -، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ)**

(ثُمَّ هُمْ) أي: أهل السُّنَّة والجماعة **(مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ)** وهي اتِّباع الكتاب والسُّنَّة والإجماع لا يقتصرون فقط على العلم، بل يكون مع العلم عملٌ ومِنْ تلك الأعمال التي تكون مرادفةٌ للعلم قال: **(يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)** في كلِّ جملةٍ ممَّا سيذكره ردٌّ على طائفة.

قوله: «يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» المعروفُ: كلُّ ما أتى الشَّرع به ورأس ذلك التوحيد، «وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» المنكرُ: كلُّ ما نهى الشَّرع عنه ورأس ذلك الشرك، وهذه العبارة ردٌّ على المرجئة الذين لا يرون العمل مع العلم، وبه أخذ من اعتقد ذلك المعتقد من أهل التَّصوف، فليس عندهم أمرٌ بالمعروف ولا نهيٌّ عن المنكر.

وقوله: **(عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ)** هذا ردٌّ على الخوارج والمعتزلة؛ لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الخروج والمعتزلة هي الخروج على الحاكم، ومنهم مَنْ تأثر بذلك المعتقد فيسعى إلى القدح في الحاكم جهراً ظنَّاً منه أنَّ ذلك مِنْ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممَّا توجبه الشريعة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشترط فيه: الإخلاص، والمتابعة ومِنْ المتابعة: المناصحة للحاكم بينك وبينه لا فضيحته على رؤوس الأشهاد.

ثم بعد ذلك ذكر أيضاً أنَّ أهل السُّنَّة - لما أخذوا بالكتاب والسُّنَّة والإجماع - (**وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ ...**) إلى آخر الجملة هذه فيها ردٌّ على الخوارج الذين يرون أنَّ الإمام إذا كان فاجراً فهو كافر، أما معتقد أهل السُّنَّة كما قال المصنفُ: (وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ) يعني: خَلْفَ كلِّ إمامٍ برَّاً كان أو فاجراً.

والمقصود من إقامة الحجِّ مع الإمام؛ لأنَّ الحجَّ كان النَّبيُّ ﷺ يقود الحجيج فيه، فذهب بعض أهل العلم إلى أنَّه يجب أنْ تكون الرَّعية تسير خَلْفَ الإمام في الحجِّ، فلا ينفرون من عرفة إلى مزدلفة إلاَّ بعد أنْ يَنْفر الإمام، ولا ينصرفون من مزدلفة إلى منى إلاَّ بعد أنْ ينصرف الإمام ... وهكذا، وذهب بعض أهل العلم - وهو الراجح - إلى أنَّ المسير خَلْفَ الإمام مستحبٌ وليس بواجبٍ.

قال: « وَالْجِهَادِ » أهل السُّنَّة أيضاً يرون إقامته ولو مع الإمام الفاجر؛ لأنَّ فجوره على نفسه، وبالجهاد رفعةٌ للإسلام والمسلمين وكما قال عليه الصَّلاة والسَّلام «إِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ» .

قال: (**وَالْجُمَعِ**) أيضاً خلافاً للخوارج والمعتزلة؛ لأنَّه في السَّابق كان يخطب الجمع هو الإمام سواء كان أمير البلدة أم الإمام الأعظم، فالخوارج يرون أنَّه إذا كان فاجراً لا يصلُّون خلفه، أما أهل السُّنَّة فيصلون خلفه، وقد صلَّى ابن عمر خَلْفَ الحجَّاج مع ظهور ظُلمه وفسقه، (**وَالْأَعْيَادِ**) كذلك يصلُّون خَلْفَ البرِّ والفاجر في الأعياد، فإذا جاز في الجمع فمن باب أولى في الأعياد، قال: (**مَعَ الْأُمَرَاءِ أَبْرَاراً كَانُوا**) أي: كثيرو البِّر والطَّاعة (**أَوْ فُجَّاراً**) أي: كثيرو الفُجور والعصيان.

ثم قال: (**وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ**) يعني: على صلاة الجماعة، وفي هذا ردٌّ على الرَّافضة الذين يرون أنَّ الصَّلاة لا تقام جماعةً إلاَّ خَلْفَ الإمام المعصوم إذا خَرَجَ، وهو إمامٌ وهميٌّ لا حقيقة له، والقصد من ذلك إبطال شرائع الإسلام.

أما أهل السُّنَّة والجماعة فيحافظون على الصَّلاة خَلْفَ الإمام ولو كان من أهل الفسق؛ لأنَّ المصلحة عظيمةٌ وهي الاجتماع وقوة للمسلمين.*

قال ﵀: **(وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا - وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ - »...)**

لما بين المصنفُ ﵀ أنَّ العلم الذي يحصِّلُه طالب العلم مُقْتَبسٌ من الكتاب والسُّنَّة يجب أنْ يقارنه عملٌ، ومن الأعمال التي يجب أنْ تقارن بذلك العلم: النَّصيحة.

لذلك قال: **(وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ)** أي: أنَّ النَّصيحة مِنْ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة ويعتبرونها ديناً لا تزلُّفاً، ولا رياءً، ولا سمعةً ولا غشَّ فيها **(لِلْأُمَّةِ)** أي: على جميع فئاتها مِنْ العامَّة والأمراء فيها، فالنُّصح للعامَّة مثل: أمرهم بالصَّلاة يعتبرونه ديناً، ومثل: النُّصح للوالي يعتبرونه ديناً كما قال ﵊ في صحيح مسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»، ثم بيَّن أنَّ تمام النَّصيحة للأمة تشتمل على أمرين:

الأمر الأول: أنَّهم لا يتركون المسلم وحده في المعاصي، وإنَّما يكونون عوناً له على الطَّاعة، وَأَشَارَ إلى هذا بقوله: **(وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ)** أي: يُكمِّلُه فلا يتركون المسلم وحده في همِّه وحزنه ومعاصيه **(يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)** أي: يجب أنْ تشدَّ من عضد أخيك المسلم **(وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ)** يعني: يدخل هذا في هذا يُكمِّله.

والأمر الثاني للنَّصيحة: أنْ يكون فيها حبٌّ للمسلم، وعطفٌ له ورحمةٌ، واستدل بقول النَّبيِّ ﷺ، **(وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ)** يعني: **محبَّتهم** **(وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ)** يعني: يعطف عليه، يرحمه ويعينه.

ثم شبَّه - أي: النَّبيُّ ﷺ - إعانة المسلم ورحمته وعطفه **(مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى)** فإذا أتى ألمٌ في أيِّ مكانٍ في الجسد تزيد حرارة ذلك الجسد **(وَالسَّهَرِ)** ما ينام يعني: جزء منه فيه مرضٌ.

وكذلك المسلم يحبُّ أخاه المسلم، ويعطف عليه، ويرحمه كما أنَّ الجسد يسهر وترتفع حرارته؛ لقوة التَّماسك والعطف فيه.*

قال رحمه الله: **(وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ: مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»)**

يذكر المصنفُ رحمه الله هنا شيئاً مِنْ تطبيق ما عَلِمَه أهل السُّنَّة والجماعة ممَّا هو مِنْ معتقدهم، فمن معتقدهم هنا في قلوب الجوارح أمران:

الأمر الأول: **(وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ)** الدِّين ينقسم إلى قسمين: صبرٌ وشكرٌ، نصفٌ للصَّبر ونصفٌ للشكر.

فمن معتقد أهل السُّنَّة والجماعة الصَّبر عند البلاء، وكلُّ إنسانٍ مبتلى قال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: ٢] وأخبر سبحانه بأنَّ الصَّابر أجره بغير حساب، ولا يوجد شيءٌ من أعمال القلب أجره بغير حساب سوى: الصَّبر، وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦]، ووعد الله الصَّابر بثلاثة أمور:

الأمر الأول: بثناء الله عليه.

والأمر الثاني: بتنزل الرَّحمات عليه.

والأمر الثالث: أنَّه مِنْ عباد الله المهتدين، قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧]، والصَّبر

متنوع سواء الصَّبر على الخوف، أو الجوع، أو نقص الأموال، أو الثَّمرات، أو الأنفس.

والأمر الثاني القلبي أيضاً: (**وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ**) والمراد: الشُّكر عند النِّعمة، وأخبر الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أنَّ الله خلقنا؛ لنشكره قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨] **فكلُّ طاعةٍ هي شكرٌ لله، وكلُّ معصيةٍ هي وَالعِيَاذُ بِاللهِ جحدٌ لشكر نعم الله.**

وأيُّهما أفضلُ عند الله: الصَّابر عند البلاء، أو الشَّاكر عند الرَّخاء؟ أفضلُهما أتقاهما، فالله عَزَّ وَجَلَّ أثنى على سليمان بقوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠] وهو شاكرٌ؛ لأنَّه من الرسل الأغنياء، وقال عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ- وهو الصَّابر عند البلاء -: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ٤٤].

والمراد بالأتقى: أنَّ مَنْ زاد شكره في الرَّخاء على الصَّابر عند البلاء فهو أفضل، ومن كان صبره عند البلاء أقوى من الشَّاكر عند الرخاء فهو أفضل، فإذا جمع العبد بينهما فهو الأكمل إذا شكر عند الرَّخاء وصبر عند البلاء.

ثم قال: (**وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ**) هذه منزلةٌ أعلى من منزلة الصَّبر، وهو الرضى يعني: يَحمدُ الله على ما أصابه، ويشكره على ما ادَّخر الله له عَزَّ وَجَلَّ له؛ بسبب تلك المصيبة هذه منزلةٌ عظيمةٌ لذلك قال: (بِمُرِّ الْقَضَاءِ) لأنَّ القضاء ينقسم إلى قسمين:

حلوٌ وهو ما يُصيب المرء مِنْ النِّعم والعافية وغير ذلك، ومرٌّ ما يُصَاب به مِنْ المرض والجوع وغير ذلك، فلو أنَّ شخصاً فقيراً يَصبر، ويفرح بهذا الفقر هذه هي المنزلة العالية عند المصائب.

ثم بعد ذلك انتقل المصنفُ رحمه الله إلى أوصافٍ أخرى لأهل السُّنَّة والجماعة، قال: (**وَيَدْعُونَ**) يدل على أنَّهم متصفون بتلك الصفات، وإنَّما يدعون منزلةً أعلى منها (**إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ**) أي: إلى كلِّ خُلُقٍ كريمٍ، مثل: البَّشاشة في الوجه والحِلم وغير ذلك، فهم يدعون إلى تلك الصِّفات الجميلة، (**وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ**) يعني: يدعون الآخرين إلى أنْ يعملوا الأعمال الحسنة، مثل: الصَّدقة، إكرام الضيف، وتفريج الكروبات وغير ذلك.

ثم قال: (**وَيَعْتَقِدُونَ: مَعْنَى قَوْلِهِ** ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**») أي: أنَّهم يعتقدون عقيدةً أنَّ الإنسان لا يَكْمُل إيمانه إلاَّ بحسن خلقه، فلو أنَّ رجلاً صالحاً عابداً عالماً ولكنه سيءٌ الخلق فهذا إيمانه لا يَكْمُل، وإذا كان عنده علمٌ يسيرٌ وهو ذو أخلاقٍ عاليةٍ فقد يَصِلُ إلى كَمال الإيمان، أي: أنَّ كَمال الإيمان مقيدٌ بحسن الخلق.

فهم - أي: أهل السُّنَّة - يدعون النَّاس إلى تلك الخَصلة ويحققونها في أنفسهم، أي: يعتقدون أنَّ حُسْنَ الخلق عبادةٌ وهذا ممَّا يجهله كثيرٌ مِنْ النَّاس.*

قال ﵀: **(وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ)**

يذكر هنا ﵀ في هذه المسائل الثلاث ما هي طريقة أهل السُّنَّة والجماعة في المسيئين إليهم.

المسألة الأولى قال: **(وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ)** يعني: لو أنَّ أحداً من ذوي أرحامك قطعك منهج أهل السُّنَّة والجماعة أنْ تصله، والصِّلة المراد بها: أنَّ مَنْ قطعك تأتيه وتزوره وتصالحه، أما إذا زرت مَنْ يزورك مِنْ أهل الأرحام يسمى برٌّ ومكافئةٌ قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ» يعني: إذا زاره أحدٌ يزور مِنْ أرحامه «وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» فهذا منهج أهل السُّنَّة والجماعة عند من يقطعك مِنْ أرحامك.

المسألة الثانية: **(وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ)** هذه في الأرحام وغير الأرحام، المراد بها: لو أنَّ أحداً أخذ حقاً لك ثم جاءك حقٌّ له هل تدفعه له، أمْ تأخذه مقابل ما أخذه منك؟

مثالُ ذلك: لو أنَّ شخصاً أجيراً عند غني، فلم يدفع له رواتب ثلاثة أشهرٍ، وهو يعمل في محلٍّ تجاريٍّ، ويبيع ويأتيه مالٌ لذلك الغني فهل يختلس مِنْ ذلك المال ويقول: هذا جزاء ما حرمني إيَّاه أم يدفعه للغني

فيعطيه ذلك المال مَنْ حرمه حقُّه - وهو الرَّاتب -؟ منهج أهل السُّنَّة أنْ تعطي من حرمك، يعني: إذا أساء أحدٌ إليك بالحرمان لا تُقصِّر عليه في حقِّه تعطيه إيَّاه.

المسألة الثالثة: **(وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ)** إذا أساء إليك أحدٌ بالظلم، عند أهل السُّنَّة والجماعة يخترون خير الأمرين وهو العفو، وإنْ كان القصاص جائزٌ ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] لكن العفو أولى وأفضل قال سبحانه: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ البقـرة: ٢٣٧].

ثم بعد ذلك ذكر شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدَّة مسائل في منهج أهل السُّنَّة والجماعة في بَذْل الخير للآخرين، فقال: **(وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ)** يعني: أنَّ برَّ الوالدين عندهم ديانةٌ وهو أجلُّ الأعمال، وهو بابٌ مفتوحٌ له من السَّماء لك، ووعد النَّبيُّ ﷺ أنَّ مَنْ برَّ بوالدته أنَّ جزاؤه الجنَّة «الْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا» .

وقوله: **(بِبِرِّ)** البرُّ: هو كثرة المعروف لهم، وبَذْل الخير لهم، يعني: ليس البرَّ أنْ تعطيهم شيئاً من معروف بل الإكثار مِنْ المعروف لهم مِنْ: المال، والبَّشاشة، وحُسْنِ الكلام وغير ذلك، وهو أوجب الواجبات بين المخلوقين وأعظمها أجراً، وليس أحقَّ بالبرِّ والجميل عليك أولى من الوالدين.

والأمر الثاني من الإحسان قال: **(وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ)** يعني: تَصِلُهم وهذا خيره عظيمٌ في المسند «الرّحِمُ مُعَلّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ

اللَّه وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّه» وتوعَّد الله ﷻ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - باللَّعنة لمن قطع رَحِمَه.

قال: (**وَحُسْنِ الْجِوَارِ**) كذلك أهل السُّنَّة يُحسنون للجار، والجار لا يخلو:

القسم الأول: أنْ يكون مسلماً قريباً، فهذا له ثلاث حقوق: الإسلام، والجيرة، والقرابة.

القسم الثاني: أنْ يكون مسلماً جاراً، فهذا له حقَّان: الإسلام، والجيرة.

القسم الثالث: أنْ يكون غير مسلمٍ وهو جار فله حقُّ الجيرة، أي: أنَّ الجار يُحسن إليه مهما كان، ووصى الله به ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» لأنَّ الجار يطَّلع على عورات جاره، فالواجب عليه السِّتر والنُّصح وإظهار جميل الجار عند الآخرين.

ثم بعد ذلك ذكر المصنفُ أنَّ مِنْ معتقد أهل السُّنَّة قال: (**وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى**) يكفي قول النَّبيِّ ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» والنَّبيُّ ﷺ قال: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَة وَالْمِسْكِين لَهُ صَدَقَة: كَالْقَائِمِ لا يَفْتُر، وَالصَّائِمِ لا يُفْطِر» فواجب على المسلم أنْ يُعوِّض اليتيم حزن فَقْدِ أبيه.

قال: (**وَالْمَسَاكِينِ**) أي: كذلك أهل السُّنَّة والجماعة يُعوِّضون المسكين ممَّا فَقَدَه من مالٍ؛ فيواسونه وله حقٌّ من المال، ومَنْ أراد كثرةَ المال وراحةَ البال والقربَ من الله؛ فليقرب من المسكين.

ثم قال: (**وَابْنِ السَّبِيلِ**) وهو المسافر يُحسَن إليه؛ لكونه وَقَعَ في كربةٍ، وهي كربةُ الغُربة مع الفقر.

ثم قال: (**وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ**) أي: والرفق بالعبيد والإيماء، فلا يُكلَّفون ما لا يطيقون، ويُحسَن إليهم في القول والعمل، النَّبيُّ ﷺ - كما في صحيح البخاريِّ - يقول: «إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ» أي: خَدَمَكُم إخوانٌ إليكم؛ فأحسنوا إليهم.*

قال ﵀: **(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ؛ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سِفْسَافِهَا، وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ)** .

يذكر هنا ﵀ أربعة أمور يَكثر وقوعها عند بعض النَّاس، بيَّن أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة لا يفعلون ذلك بل ينهون عنها:

الأمر الأول قال: **(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ)** بالقول، والمراد به: الافتخار مثل: أنا ابنُ فلان، أو أنا عنْدي مالٌ كثيرٌ، أو جاه ونحو ذلك؛ لأنَّ أهل السُّنَّة منهجهم التَّواضع.

الأمر الثاني الذي ينهون عنه قال: **(وَالْخُيَلَاءِ)** ويكون هذا بالفعل، يختال في المشية في الالتفات في الجلوس وغير ذلك، وأهل السُّنَّة لا يختالون بل يتواضعون.

والأمر الثالث قال: **(وَالْبَغْيِ)** أي: الظُّلم، فأهل السُّنَّة ينهون عن الظُّلم؛ لأنَّهم أهل عدل فلا يظلمون أحداً بالقول - بالبهتان فيه -، أو بالفعل.

الأمر الرابع الذي ينهون عنه ذكره بقوله: **(وَالِاسْتِطَالَةِ)** أي: التَّطاول والتَّرفع **(عَلَى الْخَلْقِ؛ بِحَقٍّ)** مثل معه سببٌ أنْ يتطاول على النَّاس، مثل: الغنى أو الجاه أو الجمال ونحو ذلك، فأهل السُّنَّة حتى وإنْ كان هناك

موجبٌ للتَّرفع على النَّاس لا يترفعون، (**أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ**) يعني: لا يتطاولون على النَّاس حتى وإنْ كان فيه غير موجب للتَّطاول، مثل: الفقير عندهم أيضاً لا يتطاول؛ لأنَّه ليس هناك موجبٌ للتَّطاول، وكذلك الوضيع في نسبه أو جاهه وغير ذلك، فهم على كل حال يتواضعون للخلق ولا يتطاولون عليهم سواء كان فيهم سبب للتطاول أم لا؛ فالجميع محرمٌ.

ثم بعد ذلك لما ذكر شيئاً من منهج أهل السُّنَّة والجماعة في تعاملهم مع الآخرين، قال: (**وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ**) أعطاك قاعدةً عامةً، فكلُّ ما فيه معالي الأخلاق ممَّا لم يسبق مثل: الصِّدق، وأداء الأمانة، والوفاء بالوعد، فإنَّ أهل السُّنَّة يأمرون به، (**وَيَنْهَوْنَ عَنْ سِفْسَافِهَا**) أي: ينهون عن رديء الأخلاق مثل: الكذب، والخيانة، وإخلاف الوعد وغير ذلك.

ثم بعد ذلك بيَّن أنَّ ما يفعلونه مع الآخرين إنَّما هو دينٌ يحتسبون ذلك عند الله؛ لذلك قال: (**وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ**) أي: أهل السُّنَّة من الأقوال الحسنة (**أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا**) من الأفعال الحسنة (**أَوْ غَيْرِهِ**) من الأفعال السيئة؛ (**فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ**) مخلصون فيه لله مطيعون للنَّبيِّ ﷺ، أي: أنَّهم يتبعون الكتاب والسُّنَّة في العبادات والمعاملات.*

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَطَرِيقَتُهُمْ: هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً - وَهِيَ الْجَمَاعَةُ - ...)**

لما بيَّن المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات، وفي البَّعث والنُّشور، والصَّحابة وغير ذلك، وبيَّن أيضاً ما هو منهجهم في تلقي العلم وأنَّهم يعملون بما علموا، ذكر بعد ذلك ما هو طريقهم؛ لأنَّ كلَّ طائفة لها طريقٌ كما قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[الأنعام: ١٥٣].

قال: **(وَطَرِيقَتُهُمْ)** أي: أهل السُّنَّة والجماعة **(هِيَ)** وقال: هي لأنَّ الطَّريق يُذكَّر ويؤنَّث «وَطَرِيقَتُهُمْ» أي: الدَّين الذي سلكوه **(هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ)** ودينُ الإسلام يطلق أيضاً على ما أتت به الرُّسل فإبراهيم دينه الإسلام قال سبحانه: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، وسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

ثم قيَّد أنَّ المراد بالإسلام هو ما أتى به النَّبيُّ ﷺ لذلك قال: **(الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ)** وهذا الطَّريق - وهو طريق الإسلام - الذي بعث الله عَزَّ وَجَلَّ به محمداً ﷺ ليس خاصاً بأهل السُّنَّة والجماعة؛ فيدخل فيه بعض الفرق التي لم تصل إلى الكفر، فكأنَّ المؤلفُ قال: وإذا أردَّت أنْ تُخصص أهل السُّنَّة والجماعة من أتباع محمد ﷺ فسأذكرهم لك.

فقال: (**لَكِنْ**) لا يدخل فيما سأذكرهم لك في الأوصاف إلاَّ أهل السُّنَّة والجماعة، وتبتعد بقيت الطَّوائف التي لا تصل إلى الكفر (**لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ**) أنَّ اليهود ستفترق إلى إحدى وسبعين فرقة، وأنَّ النَّصارى ستفترق إلى اثنتين وسبعين فرقة، و(**أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**) اتَّفق أهل العلم على أنَّ اليهود والنَّصارى لا يدخلون في الثلاث والسبعين فرقة، قال: (**كُلُّهَا فِي النَّارِ**) - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - أي: كلُّ تلك الفرق في النَّار لكن منها ما يُخلَّد، ومنها ما لا يُخلَّد في النَّار.

وهذه الثلاثة وسبعون فرقة الصَّواب عدم تعيينها؛ لأنَّه قد تظهر فرق غير تلك الفرق، وإنَّما نؤمن بالثلاث والسبعين فرقة من غير تحديدٍ لها، قال: (**إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**) يعني: الوصف الأول وهو وصفهم في الآخرة أنَّها هي النَّاجية في الآخرة هذه لأهل السُّنَّة والجماعة.

الوصف الثاني قال: (**صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ:** «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**») أي: أنَّهم يسيرون على هَدِي النَّبِيِّ ﷺ وعلى هَدِي صحابته وليس ذلك إلاَّ لأهل السُّنَّة والجماعة، فبهذا أخرج جميع الطَّوائف غير أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأنَّها لا تقتدي بهديِ النَّبِيِّ ﷺ ولا بهدي صحابته.

لما كان هذا حالهم في الآخرة ناجون وفي الدنيا متبعون قال: (**صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ**) يعني: الحقيقي الصَّافي الخالي من البدع،

أو من إنكار النصوص وغير ذلك (**الْخَالِصِ عَنْ الشَّوْبِ**) الأول: **محضٌ** معينٌ عذبٌ، والثاني: فيه منبعٌ لكن هذا المنبع كالمنبع الأول صافي أيضاً، فهم يتَّبعون هذا المنبع الصَّافي الذي لا شَوْبَ فيه.

لما كان هذا حالهم صاروا (**هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**) لأنَّهم أخذوا حقيقة الإسلام، ولم يلتفتوا إلى الشَّوائب التي حوله ممَّا تدور حوله مِنْ إنكار نصوص الصِّفات، أو البدع أو غير ذلك، وبهذه الأوصاف السَّابقة تخرج جميع طوائف هذه الأمة ولا يبقى إلاَّ أهل السُّنَّة.*

قال ﷀ: (**وَفِيهِمُ: الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَفِيهِمُ: أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُوا الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ: الْأَبْدَالُ - وَمِنْهُمُ: أَئِمَّةُ الدِّينِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ -.**)

لما ذكر المصنفُ ﷀ أنَّ طريق أهل السُّنَّة والجماعة: هو الإسلام الخالص من الشَّوب، ذكر بعد ذلك حتى تتمسك بمنهج أهل السُّنَّة والجماعة ولتطمئن على الطَّريق الذي أنت سائرٌ فيه، بيَّن لك أنَّ هذا الطَّريق الذي تسير عليه سَارَ عليه، ودعا إليه، وتمسَّك به صفوةُ هذه الأمة وهم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول قال: (**وَفِيهِمُ**) أي: في أهل السُّنَّة الذي أنت سائرٌ على نهجهم (**الصِّدِّيقُونَ**) المراد بالصِّدِّيق: الذي صَدَقَ في قلبه وقوله وعمله، وعلى رأسهم أبو بكر ﷄ، (**وَالشُّهَدَاءُ**) أي: أهل السُّنَّة فيهم الشُّهداء مثل: حمزة ﷄ، وجعفر الطَّيار وغيرهما، (**وَالصَّالِحُونَ**) أي: أهل السُّنَّة فيهم الصَّالحون مثل: الفضيل بن عياض ﷀ، وسعيد بن المسيَّب وغيرهما، فهؤلاء من أهل السُّنَّة من الصَّحابة الصادقين وغيرهم، وأنت معهم - بإذن الله - على هذا النَّهج.

القسم الثاني أَشَارَ إليهم بقوله: (**وَفِيهِمُ**) أي: في أهل السُّنَّة (**أَعْلَامُ الْهُدَى**) يعني: رؤوس الهداية، (**وَمَصَابِيحُ**) يعني: ما يُستضاءُ (**الدُّجَى**)

يعني: الظَّلام، يعني: الذين يزيلون عن النَّاس الجهل، أي: العلماءُ الذين اشتهروا على مرِّ العصور مثل: الإمام البخاريِّ، ومسلم، والتِّرمذيِّ، وأبي داود، والنَّسائي، وكشيخ الإسلام المصنفِ رحمه الله، وابن القيم، والذَّهبي هؤلاء من أهل السُّنَّة، فليس أنت وحدك في الطِّريق، وأمثال هؤلاء **(أُولُوا الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ)** التي أُثِرت عنهم مناقبهم وأعمالهم العظيمة، **(وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ)** مِنْ: عبادتهم، وعلمهم، وصلاحهم، ونقاء عقيدتهم وغير ذلك.

والقسم الثالث: الذين هم صفوة الأمة وهم على معتقد أهل السُّنَّة والجماعة قال: **(وَفِيهِمُ: الْأَبْدَالُ)** والمراد بالأبدال: العلماء الصَّالحون الذين بدَّلوا حال النَّاس من الجهل للعلم ودعوا إليه، مثل: الشَّيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وغيره، **(وَمِنْهُمُ)** يعني: من هؤلاء الأبدال **(أَئِمَّةُ الدِّينِ)** كأهل المذاهب الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشَّافعي، والإمام أحمد **(الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ)** وأنَّهم سلكوا الطَّريق المستقيم **(وَدِرَايَتِهِمْ)** أي: فهمهم للعلم ونشرِهم له، فهؤلاء من أهل السُّنَّة والجماعة أيضاً.

فمحال أنْ يكون الصِّدِّيقون، والشُّهداء، والصَّالحون، وأئمة الهدى، والأبدال: أنَّهم على ضلالةٍ، بل مَنْ خالفهم هم على الضَّلالة، أي: افرح بأنَّ الله جَعَلَ معتقَدك كمعتقدهم، وتمسَّك بما ساروا عليه.*

قال ﵀: **(وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»)**

لما بيَّن المصنفُ ﵀ أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة فيهم أفذاذٌ من هذه الأمة مِن النبيين والصِّدِّقين والشُّهداء والصَّالحين، وفيهم أئمة الهدى، وفيهم الأبدال، قال: **(وَهُمُ)** مع ذلك هم **(الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ)** يعني: تمسَّك بمذهب أهل السُّنَّة والجماعة؛ فهم المنصورون **(الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ)** أي: في الثناء عليهم **(لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي)** أي: جماعةٌ، ولا يشترط في هذه الجماعة أنْ تكون في مكانٍ واحدٍ بل حتى ولو كانوا متفرقين في الأرض **(ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ)** أي: منصورين كما قال سبحانه: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: ٢٨]، ومع نصرتهم ليس فيهم ضعفٌ؛ لذلك قال: **(لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ)** أي: مَن لم يتَّبع طريقهم لا يضعفون بل هم متمسِّكون، وأيضاً **(وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ)** أي: لا يضعفون حتى ولو لم ينصرهم أحدٌ.

وهذه الطَّائفة - بحمد الله - موجودةٌ **(حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)** والمراد إلى آخر الزمان؛ فدلَّ على حِفْظِ الله ﷻ لأهل السُّنَّة والجماعة فلم يندثروا مِنْ الأرض.

ولما بيَّن أنَّهم منصورون كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، وأنَّهم أتباع الرُّسل قال: (**فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ**) لأنَّها طائفةٌ فذَّةٌ مصطفاه منتقاه مختارةٌ من ربِّ العالمين، وَهَبَ الله ﷻ لها الهداية (**وَ**) ندعوا ربَّنا باستمرارٍ (**أَلَّا يَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ**) لأنَّ مَنْ كان مِنْ أهل السُّنَّة والجماعة مَنَحَه الله ﷻ شيئاً عظيماً وهو الهداية، فندعوه ألاَّ تزول عنَّا هذه النِّعمة.

ثم قال: (**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ**) على ما سَبَقَ مِنْ بيان مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، ومِنْ اتِّباعنا له (**وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ**) فهو خيرُ الخلق أجمعين (**وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**) يعني: يا رب سلَّمهم مِنْ كلِّ مكروهٍ لما بيَّنه لنا من طريق الحقِّ.

ويكون المصنفُ رحمه الله بهذا قد انتهى من هذا المتن العظيم الذي لا يوجد مثله في بيان معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في ذكر النُّصوص والتَّرتيب، وجمعه للمسائل ودقَّة ألفاظه، فجزاؤه الله خيراً على ما قدَّمه للإسلام والمسلمين، فهو يعتبر من الأبدال في هذه الأمة؛ فقد بدَّل حال النَّاس مِنْ البدع والخُرفات إلى بيان مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

وهذا المصنَّفُ مِنْ أجمع وأنفع مصنَّفات شيخ الإسلام رحمه الله؛ إذْ لا يكاد يوجد مصنَّفٌ مِنْ مصنَّفاته يُحفظ ويُشرح كهذه العقيدة الجامعة؛

لذلك نحثُّ أنفسنا وغيرنا أنْ نداوم على قراءتها؛ لأنَّ فيها تعظيم الربِّ - ﷻ -، ومَنْ عَرَف الله بأسمائه وصفاته: عظَّمه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

نسأل الله ﷻ أنْ يجعلنا وإياكم مِنْ أهل العلم، العارفين بالله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.*